



المشروع القومي للترجمة

الدبلوماسية الفاعلة

تأليف : بيتر مارشال

ترجمة : أحمد مختار الجمَّال

مراجعة وتقديم : السيد أمين شلبى

توطئة : نبيل عياد

899





على الرغم من تعدد الكتابات عن الدبلوماسية والعمل الدبلوماسى، فإن القليل منها هو الذى يعالجها فى ضوء المتغيرات التى لحقت بالعالم، وبشكل خاص الثورة المعلوماتية والتكنولوجية، فضلا عن التحولات الثقافية والسياسية والاقتصادية، الأمر الذى كان له أبلغ الأثر على مفهوم الدبلوماسية وأدائها. ومن هنا كانت الحاجة لكتابات تعيد تحديد المفهوم الحديث للدبلوماسية وتوضيح ما هو مطلوب منها على المستويين النظرى والعملى لكى تتلاءم مع هذه التغيرات. ونعتقد أن هذا الكتاب إنما يلبى هذه الحاجة، ويفى بمتطلبات العمل الدبلوماسى للقرن الواحد والعشرين ويحدد مفاهيمه ويقدم دليلا للمشتغلين به ويشرح كيف تغير العالم وما هو مطلوب من الدبلوماسى والنظرية الدبلوماسية للتوافق مع هذه التغيرات. كما يستمد قيمته من خبرة كاتبه فى العمل الدبلوماسى فى مجالات الدبلوماسية الثنائية والمتعددة الأطراف، وهى الخبرة التى واصلها على المستوى الأكاديمى بالتدريس فى أكاديمية الدراسات الدبلوماسية بجامعة ويستمنستر.

تصميم : مروى يونس

المشروع القومى للترجمة

الدبلوماسية الفاعلة

تـألـيـف : بيتـر مارشـال
تـرجـمـة : أحمد مختار الجمَّال
مراجعة وتقديم : السيد أمين شلبى
توطئـة : نبيل عياد



٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

العدد : ٨٩٩

– الدبلوماسية الفاعلة

– بيتـــــر مارشــــــال

– أحمد مختار الجمّــال

– السيــد أميـن شلبــى

– نـبـيـل عيــاد

الطبعة الأولى : ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب :

Positive Diplomacy

by : Sir Peter Marshall

This title was originally published by

Palgrave Macmillan Ltd

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084.

المحتويات

توطئـــة

لم يمر وقت على الإنسانية دون معرفتها بالدبلوماسية أو حاجتها إليها ولو تحت مسميات وألقاب أخرى . فالعمل من أجل السلام والأمن والازدهار حاجة وحلم دءوبان ، وحاجتنا فى العالم العربى ، بل العالم قاطبة إلى الدبلوماسية الناجحة الخلاقة ماسة وملحة . ولا يخلو الوطن العربى – وكذلك العالم – من دبلوماسيين أكفاء وأفذاذ ، لكن الاستشراف والتخطيط والتضافر عوامل غير متوافرة دائما ، ويأتى هذا الكتاب بتضافر مؤلفه ومقدمه ومترجمه ليساهم فى جهد مبارك لخير الإنسانية والوطن العربى الذى قدم الكثير لخير تلك الإنسانية وأمنها ورفاهها عبر رحلته الحضارية العمرانية الفكرية ، وعبر أجيال من دبلوماسييه البارعين .

وإذ نتطلع نحو آفاق من التحديات يرهص بها عالم اليوم المدلهم والواعد نتطلع أيضًا إلى جيل جديد من دبلوماسيينا يختزن حكمة أساتذته ويعى تيارات المعاصرة ويتزود للمستقبل بصيرة وعلما وكفاءة ومهارات . ويقينا أن ذلك هو ما حدا بالمترجم الفطن سعادة السفير الدكتور أحمد مختار الجمّال إلى النهوض بمهمة تقديم هذا العمل إلى قراء العربية على صعوبة الترجمة التى ذلل قيادها وألان عريكتها بتقديم نص عربى رائق وسلس .

وإن كان لى من كلمة موخزة عن مؤلف الكتاب ، الصديق الكريم السير بيتر مارشال ، فهو بالإضافة إلى كونه قطبا لصداقة جمعتنى به ما ينيف على عشرين عامًا فهو قطب دبلوماسى مرموق فى بلاده مثلها خير تمثيل وأصدقه على أرفع المستويات وأرهفها حساسية يشهد بذلك سجله المهنى وإسهامه فى تطوير عدد كبير من المنظمات الدولية والإقليمية ، ذلك الفيض الذى أثراه بسجل أكاديمى كان لأكاديمية لندن الدبلوماسية كان لها شرف التعرف باكرا إلى قدرات السير بيتر وخبراته ومهاراته الفريدة ممهورة بشخصيته الأخاذة الموحية فدعته إلى إلقاء سلسلة من المحاضرات القيمة التى ازدادت تألقا وقيمة عبر السنين بهمته وبفضل القرب من طلاب الأكاديمية

الذين ما فتئوا عاما بعد عام يمثلون الأسرة الدولية بأعدادهم وأعراقهم وآمالهم ، والذين كان للأكاديمية فرصة تعريفهم بتاريخ الدبلوماسية وأجهزتها ومتطلباتها فى أطرها العالمية والإقليمية والوطنية المتشابكة وتزويدهم بالمعلومات والمهارات الآنية والمستقبلية بما فيها علم الإدارة وتقانة المعلومات التى كان لأكاديمية لندن السبق فى إدخالهما مع مساقات أخرى متعددة ضمن منهج الدراسات الدبلوماسية .

من بوتقة تلك التجربة تبلورت تلك المحاضرات التى هى عماد هذا الكتاب الذى بات مرجعا أساسيا لطلابنا وللعديد من طلاب الدراسات الدبلوماسية بل ولممارسيها ، ولمن فاتته فرص الاستماع إلى محاضرات السير بيتر والاستمتاع بها والاستفادة منها ، ففى صفحات هذا الكتاب الكثير من حكمة مؤلفه المتكاتفة مع حكمة أجيال من الدبلوماسيين الحكماء والمستفيدة من أخطاء غير الحكماء منهم ، أو من الساسة الذين لم ينهلوا من نصح سفرائهم وتوصياتهم ، كما يتفوق الكتاب ويتفرد بعرضه الحصيف الشيق لطبيعة الدبلوماسية الجديدة وما تعرضت له من "غزوات" ثمينة على الدبلوماسى أن يلم بها ويفيد منها فى إطار عالم متغير وضمن مؤسسات ومنظمات عالمية وإقليمية سياسية واقتصادية أفرد المؤلف لبعضها (كالأمم المتحدة والاتحاد الأوروبى) حيزا مستفيضا بالضرورة بالإضافة إلى مفاهيم محورية كالسيادة الوطنية والقانون الدولى تعطى الكتاب مع تفصيله لتاريخ الدبلوماسية ومؤسساتها وأجهزتها بعدا فكريا ونظريا مهما تتضاعف أهميته مع تلك الأقسام التى تعنى بالجانب العملى كصنع السياسة الخارجية واكتساب المهارات الدبلوماسية وإرساء "القواعد العشر" عظيمة الفائدة فى كل ممارسة دبلوماسية يومية ، بل وكأسلوب حياة .

إن تضافر تلك المزايا التى توليها أكاديمية لندن جل الاهتمام منذ تأسيسها حريصة على إقامة توازن ، بل تناغم بين النظرية والتطبيق والتاريخ والاستشراف يجعلنى أحتفى بهذه الترجمة التى تقدم لدبلوماسيينا العرب الناشئين ولقراء العربية عامة مخزونا من المعرفة والتجارب والنصائح ممهورا بأسلوب شيق أدبى وروح رائقة متفائلة مرحة تجعل من هذا الكتاب مدخلا لا غنى عنه إلى دبلوماسية إيجابية فاعلة .

نبيل عياد

مدير أكاديمية لندن الدبلوماسية

جامعة وستمنستر

تقديم المراجع

على الرغم من تعدد الكتابات عن الدبلوماسية والعمل الدبلوماسى، إلا أن القليل منها هو الذى يعالجها فى ضوء التغيرات التى لحقت بالعالم، وبشكل خاص الثورة المعلوماتية والتكنولوجية، فضلا عن التحولات الثقافية والسياسية والاقتصادية، الأمر الذى كان له أبلغ الأثر على مفهوم الدبلوماسية وأدائها. ومن هنا كانت الحاجة لكتابات تعيد تحديد المفهوم الحديث للدبلوماسية وتوضيح ما هو مطلوب منها على المستويين النظرى والعملى لكى تتلاءم مع هذه التغيرات. ونعتقد أن هذا الكتاب الذى بين يديك إنما يلبى هذه الحاجة، و يفى بمتطلبات العمل الدبلوماسى للقرن الواحد والعشرين ويحدد مفاهيمه ويقدم دليلا للمشتغلين به ويشرح كيف تغير العالم وما هو مطلوب من الدبلوماسى والنظرية الدبلوماسية للتوافق مع هذه التغيرات . كما يستمد قيمته من خبرة كاتبه فى العمل الدبلوماسى (١٩٤٩-١٩٨٣) فى مجالات الدبلوماسية الثنائية والمتعددة الأطراف ، وهى الخبرة التى واصلها على المستوى الأكاديمى بالتدريس فى أكاديمية الدراسات الدبلوماسية بجامعة ويستمنستر بلندن .

وفى البداية يستهدف المؤلف ابتكار إطار فكرى يساعد الدبلوماسيين على اكتساب القدرة على أن يسهموا، ليس فى تنفيذ السياسة الخارجية فحسب، وإنما فى تشكيلها أيضا، وهو يركز على تدريب الدبلوماسيين الشباب، وإن كان ينبه إلى أن هذا ليس بديلا عن الدراسة الأكاديمية الجادة لمادة الشئون الدولية لأن الاثنين يتداخلان بشكل لا يمكن معه الفصل بينهما .

ويهتم المؤلف بأن يميز بين الدبلوماسية القديمة ذات الطابع النخبوى التى تتسم بالسرية والتى استمرت حتى نشوب الحرب العالمية الأولى، وكانت نتاج النظام الدولى الذى ظهر مع سلام وستفاليا عام ١٦٤٨ والتى ركزت على مسئولية القوى الأوروبية ونفوذ القوى العظمى، بحيث اختلفت عن الدبلوماسية الجديدة التى تتسم بالعلانية

والشعبية وتتأثر باتجاهات الرأى العام وتهتم بدور الحكومات فى إدارة الشئون الاقتصادية والاجتماعية وتأثير حجم الصفقات وسرعة الاتصالات.

وباعتبار أن الكتاب هو معالجة الدبلوماسية فى ضوء التغيرات التى لحقت بالعالم فإنه يولى أهمية للتغيرات التى طرأت على القرن العشرين وأثرت على الدبلوماسية وعلى التفاعل بين الأمم وساعدت على الانتقال من الدبلوماسية القديمة إلى الدبلوماسية الجديدة عبر سلسلة من الغزوات والقضايا الجديدة التى يحددها فى: تهديدات البيئة، والمخدرات والإرهاب والأمراض، وغزو التكنولوجيات، وتعدد العاملين الدوليين الذين أصبحوا جزءا من إدارة العلاقات الدولية، حينما لم يعد الأمر يقتصر على الملوك والوزراء والدبلوماسيين المحترفين بل تعداهم إلى رءوساء الوزراء والوزراء بكافة تخصصاتهم، مما يعكس الاعتماد المتبادل بين الشئون الخارجية والداخلية، ودخول هيئات ومؤسسات فى العملية الدبلوماسية مثل الهيئات التشريعية ولجان المعونات الخارجية والتعاون الدولى وجماعات المصالح والهيئات العلمية والأكاديمية.

وعلى الرغم من الدور المؤثر الذى يؤديه الفاعلون الجدد فى العملية الدبلوماسية، إلا أن ثمة ما يميز الدبلوماسى المحترف عنهم، أن لديه واجب أعلى فيما يتعلق بتقديم المشورة الدالة على الولاء وغير المتحيزة لوزير الخارجية وغيره من الوزراء كما أن عليه مسئوليةً فريدةً فيما يتعلق بتنفيذ السياسة بعد إقرارها.

وفى رأى المؤلف إن هذه الغزوات أثرت بعمق فى الدبلوماسية فى معانيها المختلفة ووسعت بشكل كبير مضمون الشئون الدولية وغيرت من طبيعتها. ففيما كانت الدبلوماسية القديمة أشبه بالفن أصبحت الدبلوماسية الجديدة أشبه بمشروع تجارى وأصبح الدبلوماسى أشبه بخبير العلاقات العامة ومستشار المبيعات والمحلل الرسمى والشخصى وكاتب العمود الصحفى.

ولأن أى دبلوماسى يجب أن يكون ملما بما تقوم به الأمم المتحدة وما يمكن حثها على أن تقوم به ، فإن المؤلف يرصد تطور التنظيم الدولى من عصبة الأمم إلى الأمم المتحدة ويعتبره مشروعا كان يمكن أن ينهار لو لم يكن قد تم تصوره بشكل سليم. ولهذا فهو لم يستمر على قيد الحياة فحسب بل إن الدول الأعضاء قد تزايدوا أكثر من ثلاث مرات. ورغم العديد من الحروب فى السنوات الخمسين الأخيرة إلا أنه أمكن

تجنب كارثة نشوب حرب ثالثة على نطاق الحربين العالمتين الأولى والثانية. ويستخلص المؤلف فى تقييمه للتنظيم الدولى إلى أنه لا ينبغى أن ننكر على الأمم المتحدة بعض الفضل على هذه النعمة كما لا يجب أن نعزو كل الفضل للأمم المتحدة، وأنه ليس من الحكمة أن نفترض أن المجتمع الدولى يمكن أن يستغنى عن الأمم المتحدة فى القرن الواحد والعشرين. وهنا يذكر المؤلف بعض الإنجازات المهمة للأمم المتحدة مثل دورها فى مجال عمليات حفظ السلام.

وباعتبار الدور الذى قامت به أوروبا عبر تاريخها فى صياغة الدبلوماسية الدولية، فقد كان من الطبيعى أن يركز المؤلف على ما يسميه " هندسة العمارة الأوروبية ما بعد الحرب "، وأن يعتبرها أحد الظواهر المؤسسية التى لابد أن تدخل فى حسبان الممارس الدبلوماسى اليوم، وهو يعتبر أن هذه الأهداف قد اعتمدت على ثلاث دعائم هى البحث عن الهوية والبحث عن الأمن والفلسفة التى قام عليها التكامل الأوروبى وبناء الجماعة الأوروبية ثم الاتحاد الأوروبى.

وباعتبار الاقتصاد العالمى مظهرا مؤسسيا لاهتمام الدبلوماسيين فإن المؤلف يسجل مفارقة يجب التوقف عندها ، فبينما أصبح العالم خاصةً بعد انهيار الاتحاد السوفيتى يتجه باطراد نحو آليات السوق، إلا أن الثقة فى تأثير قوى السوق تتعرض لهجوم متزايد، كما ينبه إلى ارتباط التعاون الأمنى بالتعاون الاقتصادى وأهمية إدراك التفاعل بينهما .

وقد حرص المؤلف على مخاطبة المشتغلين بالدبلوماسية وصاغ لهم عشر قواعد للسلوك والعمل الدبلوماسى وهى تمثل خلاصة خبرته الدبلوماسية. كما يثير المؤلف سؤالا حاسما وهو : هل يصنع الدبلوماسيون السياسة الخارجية أم ينفذونها ؟ وهو يجيب على هذا السؤال بأن الدبلوماسيين المحترفين هم أبعد ما يكونون عن الاستمتاع باحتكار تشكيل وتنفيذ السياسة الخارجية. أما دورهم المميز فهو مسئوليتهم عن أداء عملهم بأكبر قدر ممكن من الكفاءة . ونود أن نعلق على هذا الاستخلاص الذى ذهب إليه المؤلف بأنه رغم أن من التعريفات التقليدية الدبلوماسية أنها " إداة تنفيذ السياسة الخارجية"، إلا أننا نعتقد أن الدبلوماسى المحترف بما يقدمه من معلومات وتحليلات لحكومته إنما يسهم كذلك فى تشكيل قراراتها ومواقفها الخارجية .

ويثير الكتاب قضيةً فى غاية الأهمية تتصل بمعنى من المعانى بهذا السؤال الأخير، وهو هل أثرت التطورات الأخيرة التى لحقت بالدبلوماسية نتيجة ثورة الاتصالات ودخول فاعلين جدد فى العملية الدبلوماسية على أهمية وضرورة الدبلوماسى، والتى جعلت الرؤساء ووزراء الخارجية يتصلون بعضهم ببعض مباشرة، بل ويصلون إلى تفاهمات دون حاجةٍ إلى مبعوث دبلوماسى؟ ويحسم المؤلف هذا التصور فيصفه بأنه "مضلل إلى حد كبير"، فما هو مهم ليس هو التطورات الخارجية ولكن المهم هو تحليلها وتفسيرها وبيان تأثيرها على مصالح الدولة ، كما أنه ليس من المهم تألق لقاءات الرؤساء فيما يعرف بمؤتمرات القمة" ولكن المهم هو مدى الإعداد المسبق لهذه المؤتمرات، وأكثر من هذا متابعة قراراتها، وهو ما لايمكن أن يقوم به إلا الدبلوماسى المحترف والمقيم . واتصالا بهذا المفهوم يرى المؤلف أن اتصالات وزيارات وزراء الخارجية ليست استبعادا أو تخطيا للسفراء بل هى فى الحقيقة تتويجًا وإثرا لعمل السفير وشاهدا على جهوده الدائبة فى دفع علاقات البلدين .

ونبه الكتاب إلى حقيقةٍ جوهريةٍ فى تطور الدبلوماسى وشحذ قدراته وإثبات كفاءته ، ألا وهى التدريب الذى لا يجب أن يقتصر على فترة واحدة فى تاريخ الدبلوماسى وإنما هو عملية يجب أن تمتد طوال مدة خدمته، وهو ما يفسر إنشاء الكثير من وزارات الخارجية لمعاهد دبلوماسية لتدريب دبلوماسييها ليس فقط فى مراحلهم الأولى بل والمراحل المختلفة لخدمتهم الدبلوماسية .

وأخيرا فإن أهم ما يميز الطبعة العربية لهذا الكتاب - إلى جانب الترجمة الدقيقة المحترفة - أنه قد توفر لها مقومات العمل المتكامل، فالمؤلف والمترجم والمراجع سفراء أمضوا حياتهم المهنية فى الممارسة الدبلوماسية واكتسبوا خبراتها، وعملوا فى أهم عاصمتين (دبلوماسيا وسياسيا) وهما لندن وواشنطون، وجمعوا مع هذا الدراسة الأكاديمية والكتابة فى قضايا العلاقات الدولية فضلا عن تدريس الدبلوماسية فى المعاهد والأكاديميات المتخصصة .

ولهذا نأمل أن يمثل الكتاب إضافةً للمكتبة العربية وأن يكون مرجعا وعونا للمشتغلين بالعلاقات الدولية بوجهٍ عامٍ وبالدبلوماسية على وجهٍ أخصٍ .

السيد أمين شلبى

المعادى : يونية ٢٠٠٥

تصدير

تحتاج النهضة التى شهدتها الدراسات الدبلوماسية فى الجامعات البريطانية إبان السنوات العشر الأخيرة (يشير المؤلف إلى الفترة من١٩٨٧ إلى ١٩٩٧-المترجم) إلى بعض الإيضاحات. ففى خلال الحرب الباردة أدى الخلاف الأيديولوجى والأثر المحبط لميزان الرعب وتجميد الوضع الراهن،إلى خلق مناخٍ معادٍ للمفاوضات من أجل تسوية خلاقة شاملة للمنازعات السياسية التى أحدثت انقسامات بين الدول العظمى وحلفائها. صحيحٌ أن الأزمات تشعبت - فى كوبا وبرلين والشرق الأوسط ، إلا أن الدبلوماسية البارعة أدت دورها فى التخفيف من أسوأ آثارها. ومن المفارقات أن المجال الذى كانت فيه الدبلوماسية فعالة كما تمثلت فى التفاوض حول اتفاقيات الحد من السلاح، حيث نشأ تطابق فى المصلحة فى تجنب الحرب التى تنشب إما بالصدفة أو عن عمد، قد أدى إلى نتائج مهمة. ولكن ما عجزت الدبلوماسية عن عمله - بغير تقصير من ممارسيها - كان تحقيق إنجاز كبير فى نزع السلاح. وكان مستوى التوتر وعدم الثقة عاليا بحيث لا يسمح بهذه الميزة.

ومع هذا فمع نهاية الحرب الباردة وتسليم كل العالم تقريبا بأن التعددية الديموقراطية والسوق الحرة هى لبنات البناء لنظام عالمى جديد ومستقر، فإن الدبلوماسى بعد أن تحرر من قيود الدفاع عن المصلحة القومية وتأكيدها فى سياق من الحرب الباردة، كان عليه أن يؤدى وظيفته فى عالمٍ قائمٍ على الاعتماد المتبادل الذى بدأ يتشكل بشكل متزايد فى مفهوم السيادة وواقعية الحدود الوطنية. فالدبلوماسية - كما يقول سير فيكتور ويلسلى - لم تعد مكبلة بالأغلال، وممارسوها - كما يؤكد بحق سير بيتر مارشال - عليهم أن يتعاملوا، ليس مع المعانى الضمنية السياسية والاجتماعية لاقتصاد كوكبى فحسب وإنما أيضا - ضمن أشياء أخرى - مع قضايا حقوق

الإنسـان والبيئـة والجريمـة الدوليـة. وهذه المهـمة مـعقدة بسبب انتشـار تكنولوجيا المعلومـات فى كل مكان وظهـور حـشـد من الفـاعلين الدوليـين الجـدد يتـراوحـون بين الشركات متعددة الجنسيات إلى منظمات الإغاثة الإنسانية.

ولهذا على الدبلوماسى الحديث أن يكون مثقفا بل متعدد الثقافات. ففضلا عن مهارات التفاوض التقليدية والفضائل التقليدية فى التحضر وضبط النفس، على الشاب المستجد فى السلك الدبلوماسى لأية دولة أن يكتسب فهما عميقا لمناطق الخبرة الفنية والتى "لم يكن على من سبقوه من الدبلوماسيين أن ينقبوا عنها أو يفكروا فيها بعمق". (ويلسلى). وفى هذا السياق فإن كتاب سير بيتر مارشـال لديه الكثير مما يسهم به. إنه الشـخص الاستثنائى أو الدبلوماسى الذى تحول إلى باحث اهتم بأن يتأمل فى خبرته باعتباره ممارس متميز على أمل أن يعد جيلا جديدا إعدادا أفضل للتعامل ، ليس مع عالم "البرقيـات والغضب" فـحسب، ولكن أيضـا مـع عـالم يمر فى الوقت نفسه بتحـول اجتماعى واقتصادى.

ويعترف سير بيتر عن طيب خاطر، بأنه فى أيامه لم يكن هناك الكثير المتاح من "الإرشاد البنيوى" للدبلوماسى المبتدئ. فقد نشأ جيله – مثل نظيره الجيل الأكاديمى – على النصـوص الكلاسـيكيـة لهـارولد نيكلسـون Harold Nicolson، وكـان بعض ذوى الفطنة يعتمدون على كتابات منظِّر القرن السابع عشر فرانسوا دى كالليير François de Callières، التى أحيـاها فى السـبـعينات من القرن العـشـرين زمـيلى السـابق فى جامعة ليستر، موريس كينزسوبر Maurice Keens-Soper وزميله الكندى كارل شوايزر Karl Schweizer .

واليوم ، فإن العدد الكبير من مديرى برامج الدراسـات الدبلوماسية وما يستتبعه ذلك من زيادة المطبوعات العلمية يعتبر شـاهدا كافيا على شعبية الموضوع وكذلك على الاعتـراف بالحـاجـة إلى تدريب رسـمى فى فن الدبلومـاسـيـة. وهذان التطوران همـا استجابةٌ جزئيةٌ للطبيعة المتغيرة للمشروع الدبلوماسى وتسليما بأن دبلوماسية متقدمة تجمع بين المهارات التقليدية والفهم الفنى هى أمر جوهرى ليصبح العالم مجتمعا دوليا أكثر تسـامحـا ومدنية. إن الميزة الكبرى لكتـاب سير بيتر مـارشـال هى أنه يجمع بين

عرض تفصيلى لعمل الدبلوماسى وبين شرح لكيفية تغير العالم وما هو مطلوب لكى يمكن للنظرية الدبلوماسية والممارسة الدبلوماسية أن تتوافق بنجاح مع هذه التغيرات. وفى هذا الصدد، فإن كتاب "الدبلوماسية الإيجابية" هو أكثر من مجرد دليل تعليمى، فالفطنة والأناقة يوحيان بشكل موفق بالتحليل الرائع. ولاشك أن الدبلوماسيين الطموحين والممارسين الحاليين (ورؤسائهم السياسيين)، فضلا عن أولئك الذين يسعون إلى فهم العلاقات الدولية بوجه عام، سيقرءون هذا الكتاب ليحقق لهم المنفعة والمتعة.

جاك. إ. سبنس

الزميل المشارك والمدير السابق للدراسات

بالمعهد الملكى للشئون الدولية بلندن

تمهيد

هذا الكتاب هو مجموعة من المحاضرات التى ألقيت على شكل دورات استمرت سبع سنوات بالأكاديمية الدبلوماسية بلندن التابعة لجامعة ويستمنستر وقد صممت المحاضرات بحيث تشجع أولئك الذين التحقوا بالسلك الدبلوماسى أو الذين يطمحون للالتحاق به، لكى يتبعوا منهجا محترفا فى تعاملهم مع العلاقات الدولية. والهدف الأساسى هو اكتساب القدرة على صنع السياسات. كما أن المقصود منها استكمال الدراسة الممتدة والصارمة للشئون الخارجية التى يجب أن تشكل جزءا من تدريب أى دبلوماسى ، والتى تعتبر أيضا سمة متنامية للتعليم العالى بوجه عام.

وفى المملكة المتحدة يميل التدريب الرسمى الأولى إلى الاصطدام بسرعة بالتيار الوطنى ، ومن ثم التعرض لعدم الرغبة وطنيا لتخصيص الموارد الضرورية له. وهناك عدد كبير من الدبلوماسيين ذوى الخبرة، الذين لا تقتصر خبرتهم على التقاليد الأنجلوسكسونية النفعية، وهم يؤمنون بأن التدريب الوحيد الذى له قيمة حقيقية والذى يمكن لأى دبلوماسى أن يتلقاه هو التدريب أثناء العمل on the job. وبالطبع هناك ميزة كبيرة من مراقبة الأساتذة المحترفين وهم يعملون. وحتى عندما لا تكون هذه الميزة متوفرة بأبعادها الثلاثة، فإن البدائل ذات البعدين لها قيمتها. فسير الحياة وسير الحياة الذاتية وهما يمتزجان كما يحدث، وذكريات الماضى والنوادر مع التحليل (وإن كان يميل نسبيا إلى تفضيل العنصرين الأولين على حساب العنصر الثالث) تعتبر مصدرا ثمينا للدبلوماسى الشاب.

ومع هذا، فحتى لو خضع التدريب الرسمى منذ بداية الحياة الوظيفية لتقلص فوائده باطراد، فإن هذا ليس نهاية المطاف. فالحقيقة القائلة بأنه لا بديل عن الخبرة فى ظهور رسام عظيم وتطور فنه، لا تعنى أنه لا مكان هناك لكلية الفنون. وحتى عندما

يكون الاستعداد الشخصى والموهبة والذوق على درجة عالية من التفوق، فإن الأسلوب technique ما زال المجال المثمر للقدرة على التعبير والدراسة الجماعية. وأولئك الذين اندمجوا فى دراسة صارمة ونظامية للعناصر المختلفة لحرفة ما، يجب - إذا تساوت الأشياء الأخرى - أن يتمتعوا بميزة عن أقرانهم الذين لم يدرسوا. وتكمن المشكلة فى كيفية وضع الحدود المفيدة لمثل هذا المدخل لعمل الدبلوماسى. وهذه الحدود ستختلف - كما سبق أن ألمحنا - طبقا لضغوط الظروف السائدة والموارد المتاحة، وكذلك لمزيد من الخصائص الوطنية المتأصلة.

وعلى مستوى أكثر تفصيلا هناك مصدران للتردد بخصوص احتمال ترجمة ناجحة لمفهوم تنمية القدرة على تحويل السياسة إلى حلقة دراسية مستمرة. أولا: إلى أى مدى يحمل المجتمع الدولى اليوم خصائص مشتركة أو عالمية بالفعل تتعلق بالقوة الكافية والدوام بحيث تسمح بتقديم عرض واقعى شامل "لمقدرة السياسة"، وليس إرشادات ونصائح جزئية تصوغها دول بعينها لتناسب احتياجاتها الخاصة؟ ثانيا : هل تختلف الدول اختلافا شاسعا بحيث لا يمكن للوصفة العامة لتنمية "مقدرة السياسة" إلا أن تخاطر بعدم الارتباط بالموضوع؟ فيما يتعلق بالسؤال الأول فإن الاعتماد المتبادل العالمى ومدى قيام الأعمال التجارية بعقد صفقاتها مع أطراف متعددة وليس ثنائيا - وبأساليب بذلت ممارسة الأمم المتحدة الكثير لتوحيدها قياسيا - يعنى أن هناك مجالا كبيرا فى موضوع المادة والإجراءات مما يستثير اهتمام كل دبلوماسى تقريبا، بصرف النظر عن الدولة التى يمثلها. علما بأن الأرضية المشتركة واسعة ومتنامية. ودراستها فى بداية الحياة الدبلوماسية ليست مرغوبة فحسب ولكنها جوهرية. وفى "الدبلوماسية القديمة" التى طبقتها القوى الأوروبية قبل نشوب الحرب العظمى عام ١٩١٤ ظهر كم هائل من الموضوعات المادية الجماعية والمداخل المهنية الجماعية لها، بحيث اشتملت الأوضاع المتنوعة "للدبلوماسية الجديدة" للقرن العشرين على شبكة من الاهتمامات والممارسات المشتركة على نطاق العالم كله.

وبالنسبة للسؤال الثانى، فإن أية دولة مهما كان حجمها، ومهما كان مدى انغماسها الدولى ومهما كان قدر نشاطها الدبلوماسى المحترف، فإنها تواجه فى نهاية المطاف الحقائق المتعلقة بالمادة والعملية الدولية نفسها. وقد ابتكر أحد رواد الاقتصاد

البريطاني ويدعى ألفرد مارشال (وللأسف لا أستطيع أن أدعى أنه من أقربائى) أداة أسماها "المؤسسة الممثلة" وسيلةً لدراسة حال الأوضاع فى أية صناعة بعينها أو سوق معين[1]. واستخدمت هذه الأداة بشكل خاص فى توضيح الاعتبارات التى يضعها المديرون والمنظمون الفرادى فى حسبانهم عندما يقررون مستوى إنتاجهم. وفى الدبلوماسية يختلف اختيار "المؤسسة الممثلة" طبقا للموضوع قيد البحث. ومع هذا فإن الدراسة الدولية للدبلوماسية فى لندن تقدم أمثلة عديدة حيث يمكن أن تعتبر المملكة المتحدة هى "المؤسسة الممثلة" بشكل معقول. إلى درجة أنه إذا تعذر أن تكون كذلك، فإن خبرة المملكة المتحدة وممارستها يمكن أن تكون ذات قيمة للدارس فى لندن عندما يصل إلى نتائج تتعلق ببلده.

وهناك عوامل أخرى تحبذ الدراسة الدولية للدبلوماسية فى لندن. أولا: الارتباطات بالكومنولث، بما فى ذلك الأساليب والتقاليد المشتركة، بالإضافة إلى أن التجربة البريطانية مناسبة للدبلوماسيين من دول الكومنولث الأخرى. ويبلغ عدد الدول الأعضاء فى الكومنولث ٥٠ عضوا. ثانيا: تعتبر بريطانيا من الدول القليلة التى شهدت مثل هذا التغيير الكبير فى وضعها الدولى سواء بشكل نسبى أو مطلق خلال القرن العشرين. والقوى التى تعمل فى هذا التغيير الكبير تستحق الدراسة، وكذلك الخلفية العامة التى تتاح لصنع السياسات فى الأحوال الحديثة وما توفره من فهمٍ عميقٍ لاندماج بريطانيا فى الشئون العالمية.

والدبلوماسية، كما أكدت هذه المحاضرات، هى مسألةٌ جماعيةٌ. وينطبق الشىء نفسه على التدريب. ويعتبر رد فعل الدارسين أمرا حيويا فى التكيف المستمر للحلقات الدراسية المنتظمة والبرامج المتخصصة. فما يتعلمه الدارسون من بعضهم البعض قد يكون فى أهمية ما يتعلمونه من الجلسات الأساسية فى قاعة المحاضرات. وما يقدمونه من تعليقات على محتوى الحلقة الدراسية ونظامها يعتبر مرشدا لا محيص عنه فى تشكيل المنهج الدراسى.

ومهما كانت الصعوبات وأوجه النقص فى التدريب الدبلوماسى، فإن هناك اعتبارا عاما يؤثر فى صالح الاستمرارية ويتمثل فى تعقد الاعتماد المتبادل الحديث وما يتبعه

من تعقد صنع السياسة الخارجية. فالعالم فى حاجة إلى سياسة خارجية حكيمة وحذرة ومسئولة من كل حكومة. ومن الممكن التوصل إلى ذلك إذا تلقى الدبلوماسيون تدريبا مناسبا. ويدور هذه الأيام حديث طويل عن ضرورة "الحكم الرشيد"[٢] وهو مصطلح شامل يمتد بطريقة أو بأخرى إلى النطاق الكامل للشئون العامة، ويؤكد الخضوع للمحاسبة الإدارية والديموقراطية. وفى عالم قائم على الاعتماد المتبادل فإن النقاش ينطبق بشكل مباشر على إدارة السياسة الخارجية بقدر ما ينطبق على السياسة الداخلية.

٨ وهناك اعتبار شخصى شجعنى أيضا على أن أواظب على هذه المحاضرات. فعندما التحقت بالخدمة الخارجية البريطانية عام ١٩٤٩، على عكس الموقف السائد اليوم، لم أتلق أى تدريب أساسى من أى نوع. فلم تكن هناك أية آلية لمثل هذا التدريب، فيما عدا فى مجال مهم هو اللغات"الصعبة". وكان علينا أن نخوض فى حمام السباحة من جانبه العميق. وعندما عينت لأول مرة بعد عدة سنوات فى منصب رئيسى مشرفًا على الشئون المالية والإدارية فى إحدى البعثات الدبلوماسية فى الخارج - وكانت فى بغداد - لم يكن هناك أى إرشاد بنيوى عما هو متوقع منى. ومع هذا ففى ذلك الوقت ظهر كتاب بعنوان وزارة الخارجية البريطانية The Foreign Office أعده لورد سترانج Lord Strang وكان وكيلا دائما لوزارة الخارجية وأحيل إلى المعاش منذ مدة قصيرة[٣]. ومن صفحات هذا الكتاب استطعت أن أكون فكرة دقيقة، وإن تكن مخيفة، عما يحتويه. وتعلقت بوجه خاص بحكم لورد سترانج بأن المشرف على الشئون المالية والإدارية للبعثة "هو رجل مشغول دائما ويتعرض أحيانا للمضايقات". ومع انغماسى فى الواجبات الملقاة على عاتقى فى بغداد فإن حقيقة هذا القول فرضت نفسها علىّ. وعند عودتى إلى منزلى فى نهاية يوم عمل لم يكن على زوجتى إلا أن تسمع إشارةً منى إلى "سترانج"، لتفهم أن هناك حاجة لتناولى المقويات المعتادة.

ولا يوجد فى أى ميدان للجهود المهنية أهمية أكبر للتعلم من الآخرين كما فى الدبلوماسية. فالقدوة والتشجيع يحتلان لب الفعالية الدبلوماسية. وجوهر ما تسعى هذه المحاضرات إلى نقله يكمن - بمعنى ما - فى الملكية المشتركة لكل الممارسين الدبلوماسيين. إننى أشعر بامتنان كبير لزملائى فى الخدمة الدبلوماسية البريطانية،

ولزملائى فى الأمانة العامة للكومنولث، الذين يخدمون فى مؤسسة من أكثر مؤسسات العالم شحذا للخيال، وكذلك لزملائى فى الأمم المتحدة، سواء أكانوا أعضاء فى مختلف الأمانات العامة أم ممثلين لبلادهم، الذين يرون الولاء لقضايا وفرص الاعتماد المتبادل بمثابة مفتاح لخدمة مجتمع الدول والحكومات التى يختارونها.

وعلى وجه التحديد كم أشعر بامتنان خاص لجامعة وستمنستر، وللأكاديمية الدبلوماسية بلندن، التى استطاع مديرها الدكتور نبيل عياد أن يطور عبر السنين نموذجا متميزا من التدريب الدبلوماسى. إننى أشعر بأنى مدين بعمق للبروفسور جاك سبنس، مدير الدراسات بالمعهد الملكى للشئون الدولية بشاتام هاوس، لقيامه بقراءة النص وإسهامه بالتصدير. وأنتهز هذه الفرصة لأسجل امتنانى للمعهد الملكى للشئون الخارجية (شاتام هاوس) على ما أتاحه لى خلال سنتين حافلتين بالحوافز والمساعدات والتشجيع. وإن تكرار ذكر شاتام هاوس فى مراجع الكتاب بوجه خاص هو مؤشر لقيمة عمله من أجل المهنة الدبلوماسية.

كما أننى أشعر بامتنان شديد لمسز سالى مورفت بإدارة البحوث والتحليل بوزارة الخارجية والكومنولث، فقد قرأت مسودة الكتاب وأبدت عددا من التعليقات الثمينة. وأشكر أيضا جزيل الشكر مستر إيان سوتار، رئيس إدارة المكتبة والسجلات بوزارة الخارجية والكومنولث على المساعدة فى رؤية المسودة من خلال إطارها الرسمى، وكذلك على ما أبداه من ملاحظات مستنيرة فيما يتعلق بتطبيق تكنولوجيا المعلومات على الممارسة الدبلوماسية وهو ما قدمه فى الندوات السنوية لجامعة وستمنستر التى نظمتها الأكاديمية الدبلوماسية والرابطة الدبلوماسية بلندن.

لقد أعيد طبع الرسم الكاريكاتيرى بريشة لورنز فى فرونتيبيس بإذن كريم من مؤسسة مجلة نيو يوركر. وأشعر بإمتنان لإيجل ستار للسماح بإعادة طبع إعلانهم، وكذلك لوايد ورلد فوتوز للإذن باستخدام الرسم الكاريكاتيرى..

لقد قامت ألكسندرا ماكلويد بمكتب الأمم المتحدة ومركز المعلومات فى لندن بتقديم مساعدة عظيمة فى توفير وثائق الأمم المتحدة. وإننى أعبر عن إعجابى الشديد بما أبدته من فطنة فى إخراج عدة مسودات مطبوعة للنص، وكيفية التعامل مع خط

اليد الذى وجد البعض صعوبة فى فك رموزه دون مبرر. وفى مرحلة تالية قدمت مس جو نورث أعظم مساعدة فى تنقيح المسودة وإعداد الكشاف فى نهاية الكتاب.

ومن الطبيعى أننى أعفى أولئك الذين ساعدونى من أية مسئولية عن أوجه النقص فى هذه المحاضرات. وأملى أنه حتى لو اعتور المحاضرات بعض القصور، فستحظى باهتمام واستخدام أولئك الذين يخدمون المهنة بأى صفة من صفاتها العديدة.

بيتر مارشال

لندن

مقدمة: العمل كهدف نهائى للدبلوماسية :

تحظى الشئون الدولية بحق باهتمام عميق من قبل الجماهير والتغطية الإعلامية. وهى تحظى بحق أيضا بدراسات واسعة ومتعمقة فى الجامعات. ومع هذا فإن المتابعين للشئون الدولية بأساليب مختلفة إنما يفعلون ذلك بوجهٍ عامٍ من منظور فحص ما يفعله الناس. ومن جهةٍ أخرى، فإننا باعتبارنا دبلوماسيين محترفين فإننا نهتم بما نفعله نحن. وعلى الرغم من أن هذا لا يقلل بأى حال من أهمية دراسة الشئون الدولية، إلا أن الأمر يتطلب منا أن نستخدم مدخلا مختلفا إلى حد ما للتوصل إلى سلسلة الظواهر نفسها. وسيظل شعارنا هو قول أرسطو المأثور: "إننا ندرس السياسة ليس من أجل المعرفة ولكن من أجل العمل".

وإذا كانت الأولوية هى فى إنجاز الأشياء فإن التوازن بين ما يريد الإنسان بشدة أن يفعله وما يرجح أن يكون قادرا على تحقيقه هو على درجة كبيرة من الأهمية. وكلما كانت الوسيلة التى يعمل من خلالها الإنسان مركبة، كلما ازدادت أهمية تأثير هذا التوازن. فالشئون الدولية أكثر تعقيدا فى طبيعتها من الشئون الداخلية لأن الوسيلة مركبة وغير مألوفة. وليس من قبيل المصادفة أن كلمتى "خارجى" foreign و"غريب" strange مترادفتان (وهما بمعنى أجنبى أيضا بالإنجليزية - المترجم) ولا ينطبق نص قانون النتائج غير المقصودة على شيء مثلما ينطبق على إدارة العلاقات الدولية.

ويقال أحيانا إن السياسة الخارجية تدور حول ما تفعله وأن الدبلوماسية تدور حول كيف تفعله. وهذا تبسيط للأمور. والواقع أن كيف تفعل الشيء قد يحدد - إلى حد كبير - ما تفعله. والطريقة التى تتفاعل بها الدول تحكمها فقط مادة الشئون الدولية بمعنى الهدف، أو الجوهر الصافى للمواقف والمصالح القومية، إذا أمكن حقا استنباط هذا الجوهر من عالم الواقع. ويحكم هذه الطريقة أيضا طبيعة المجتمع الدولى، وأسلوب

سلوك الدول والأسلوب الذى تتبعه فى تنظيم (أو عدم تنظيم) معاملاتها مع بعضها البعض. فالجوهر والعملية مرتبطان حقا ارتباطا لا فكاك منه. فالعملية تؤثر فى الجوهر كما أن اللغة تؤثر فى الفكر. وأى شخص يعمل محترفا فى إدارة الشئون الدولية لا يمكن إلا أن يركز باهتمام شديد على إجادة العملية بدرجة إجادته للجوهر نفسها.

ويقال أيضا إن الفرق بين الإدارى والمدير هو أن الإدارى يحافظ على سير الأمور، بينما المدير هو الذى يسيِّر الأمور. وعلى الرغم من أن النقد يمكن أن يوجه إلى هذا التعريف باعتباره تبسيطا مخلا للأمور إلا أنه فى حقيقة الأمر يعتبر تمييزا له قيمة عملية. فكثير من الجدل حول الدبلوماسية يقوم على أساس أنها أقرب إلى عمل الإدارى وليس عمل المدير. وهناك جمل مثل "العلاقات الدولية"، و"الممارسة الدبلوماسية"، و"البروتوكول"، و"القانون الدولى" لها رنين ساكن، بل وسلبى. وقد يكون هذا مفيدا، إذا كان يحمل الممارسين للدبلوماسية على التحلى بنوع من التواضع من حيث جعل الأمور تسير بالطريقة التى يريدونها، وبالذات حول نطاق التدخل الفعال بشكل عام، فإن مستر دين راسك وزير الخارجية الأمريكى السابق لاحظ أن الاعتراف بتعقد الشئون الخارجية هو بداية الحكمة فى الدبلوماسية. وقد ذهب تاليران رجل الدولة العظيم إلى أكثر من ذلك. فقوله المأثور الذى غالبا ما يستشهد به، وكثيرا ما يساء فهمه هو: "وفوق كل شيء أيها السادة لا داعى للحماسة على الإطلاق "Surtout, Messieurs, point dezèle"(١) (وبالإنجليزية: (Above all gentlemen no zeal at all)، بمعنى أن النشاط الخاطئ هو أسوأ من لا نشاط على الإطلاق. وعامةً يوجد مجال كبير فى الشئون الإنسانية لعدم النشاط البارع. ولكن اللانشاط يجب أن يكون ناتجا عن الفطنة وليس الجهل أو اللامبالاة. وفضلا عن ذلك، فإن هذا هو فقط جزء من الحقيقة. فالسياسة مرتبطة بالقوة. وإدارة السياسة الخارجية تمثل ممارسة القوة فى منطقة معينة من الحياة الوطنية، هى مكونها الدولى. وهذا المكون يتصف بالإيجابية والمبادرة، كما يتصف بالتعقل والتفاعل. وكان تاليران نفسه يتصف بالإيجابية. وعمل الدبلوماسى عند الممارسة يدور حول السؤال الدائم الذى لا ينفك يوجهه وزير الخارجية أو السفير: "ما هو الموقف؟ وماذا سنفعل بشأنه؟".

القدرة على صنع السياسات :

يجب أن يكون من أولى أهداف التدريب الدبلوماسي إعداد الدبلوماسي ليكون قادرا على التوصل إلى إجابة فعالة لهذا السؤال الدائم: أى المساعدة فى أن تكون سياسته قادرة، وينبغى أن يكون لدى الدبلوماسيين القدرة على أن يكونوا ممارسين:

١ - بأن يحللوا بوضوح ويفهم الموقف الدولى أو مظاهر معينة منه والتى تكون موضع اهتمامهم.

٢ - فحص خيارات السياسة المتاحة، على أساس تمكن متين من العوامل المتعلقة بالموضوع.

٣ - وضع هذه الخيارات بطريقة تسهل صنع السياسات.

٤ - أن يمتزج مثل هذا التحليل لخيارات السياسات بمجموعة من التوصيات العملية بشأن الطريقة التى تتبع، التى تقوم من جهة على الضغوط والمصالح القومية، كما تقوم من جهة أخرى على فهم للأحوال الدولية السائدة التى يجب أن تطبق عليها هذه التوصيات، ومن ثم احتمال تطبيقها بنجاح.

٥ - المساعدة بفاعلية فى الداخل والخارج فى تنفيذ السياسات عند الموافقة عليها، وهذه الوظيفة التنفيذية معترف بها على أنها متصلة اتصالا وثيقا بالوظائف الاستشارية الموضحة فى بند ١ و ٤ أعلاه.

إن مساعدة وزير الخارجية فى وضع سياسته، ثم مساعدته فى تنفيذها، يتضمن مجالا واسعا من المهارات والمقدرة لاستخدامها استخداما سليما. وبالذات فإن الأفكار الجيدة لابد من تقديمها بطريقة بحيث يتمكن الآخرون - وهم على الأرجح أرفع شأنا - من أن يفهموها ويتبنوها ويطبقوها بنجاح. والسؤال التكميلى الرئيسى الذى يحتاج الدبلوماسى أن يكون مستعدا للإجابة عليه هو:"حتى لو كانت هذه فكرة جيدة، هل ستنجح؟ وإذا نجحت، كيف؟" فلا جدوى من النظر إلى الأمام إذا لم تكن قدماك على الأرض.

إن "القدرة على صنع السياسات" هي شأن تنفيذي وكذلك شأن استشاري. فالوظائف التنفيذية والاستشارية تمتزج معا بقوة شأنها شأن الجوهر والعملية. والقيام بعمل فعال ليس مسألة مبادرات وحدها، ففلاحة البساتين لا تشمل بذر الحب فقط ولكنها تحتاج قبل ذلك إلى إعداد الأرض بعناية. "فقدرة السياسة" لابد أن تعكس استمرارية الشئون الدولية والتنوع الواسع للأنشطة الدبلوماسية المتواصلة، التي تعكس بدورها هذه الاستمرارية: مثل تنمية العلاقات السياسية الجيدة، بما فيها الصلات الشخصية مع الزعماء الأجانب، وحماية وجهة النظر الوطنية والقيم الوطنية في الخارج، وتقوية الروابط الاقتصادية مع الدول الأخرى، وتنمية الروابط الثقافية معها، وتعزيز مصالح رعايا الدولة في الخارج. وكل هذه أمور جوهرية في التبني الناجح لسياسات معينة في ميدان الشئون الدولية.

وهذا الاعتماد المتبادل لمجال واسع من الأنشطة الدبلوماسية يؤكد مظهرا متعلقا بمفهوم "القدرة على اتخاذ السياسات". "فالسياسات" هنا غالبا ما ينظر إليها على أنها لا تهتم إلا بالقضايا الكبرى الشاملة، مثل شئون الدولة والسياسة "العليا " ولكن واقع إدارة العلاقات الدولية، وإدارة الشئون الأخرى مختلف. ففي المقام الأول: يتم متابعة أهداف السياسة الخارجية بطرق متعددة، معظمها يبعث على الملل. فالعمل الهادف التفصيلي، الذي يغطي نطاقا واسعا من الموضوعات، ويكون موجها ومنسقا على أساسٍ من التقييم الواضح الشامل للمصلحة العامة، هو جوهر السياسات Policies وثانيا: فإن طبيعة السياسة politics هي أن بعض القضايا قد تبدو في ظاهرها غامضة وغير مهمة، ولكن قد تحتل فجأة العناوين الرئيسية للأنباء وقد تتسبب في أزمة دولية. وهذا الاحتمال يجب ألا يغيب عن أذهان أولئك الذين يتعاملون مع الأمور التي تبدو روتينية ومتعلقة بالعمل اليومي المتكرر.

إطار لبناء القدرة على وضع السياسات :

وهكذا فإن مفهوم "القدرة على اتخاذ السياسات" يشمل النطاق الشامل المتكامل للأنشطة المتصلة بإدارة العلاقات الدولية. ويضم المفهوم مادة الشئون الدولية من

أقصى القضايا العامة إلى أكثرها خصوصية، بغض النظر عما إذا كانت القضايا سياسية أو اقتصادية أو تجارية أو ثقافية أو قنصلية أو متعلقة "بالإعلام". أى مساندة السياسات من خلال إقناع الجماهير والمناقشة. وهذا المفهوم يضم أيضا الجوانب "المهنية" للدبلوماسية المحترفة مثل إجادة اللغات الأجنبية واكتساب المهارات الشخصية التى يحتاجها الدبلوماسى الفرد، والتمكن من تكنولوجيا تنظيم الدبلوماسية وإدارتها لدعم الأداء الجماعى. وهذا المفهوم يعترف بالأهمية القصوى لتسخير كل الجهد والخبرة الشخصية والجماعية من أجل تحقيق أهداف عملية معقولة.

ويجب أن تؤسس " القدرة على صنع السياسات" بشكل واقعى على الكفاءة المهنية للدبلوماسيين فى المجالين الاستشارى والتنفيذى. ومن الواضح أنها – إلى حد كبير – يمكن أن تكتسب فقط بفضل التلمذة المهنية والخبرة. ولكن لا يجب أن يفهم ذلك على أن التدريب الأساسى فى البداية – أو فى المراحل المبكرة من الحياة الدبلوماسية – ليس له دور مفيد يؤديه. فهناك حاجة خاصة لمثل هذا التدريب فى الدول التى تكون فيها الموارد الإدارية غير متوفرة. ويتمثل التحدى فى جعل التدريب معقولا وعمليا على قدر المستطاع. كما أن الجمع بين خلفية متينة قائمة على الحقائق وتقنية مقبولة للتحليل يمكن أن تخدم لتنمية الإطار الفكرى الذى يمكن للدبلوماسى أن يجده ذا فائدة كبيرة لعمله.

ماذا يتضمن مثل هذا الإطار؟ فى المقام الأول، بيئة الدبلوماسيين، أى ما يواجهونه فى العالم اليوم. وفى المقام الثانى، يجب أن يتعرفوا على التضاريس المؤسسية، والساحة الدبلوماسية المدعوون للعمل فيها. وفى المقام الثالث، لا بد أن يكتسبوا مهارات الاحتراف باعتبارهم أفراد، وباعتبارهم أعضاء فى الخدمة الدبلوماسية وكونهم موظفين فى الدولة، بحيث تمكنهم من العمل بفاعلية. وبمعنى آخر فإن الإطار يشمل عناصر تحليلية، وجوانب مؤسسية وعوامل تنفيذية.

هذا التقسيم تعسفى بالطبع. ومع مزيدٍ من التعسف، فإن هذه العناصر التحليلية، والجوانب المؤسسية، والعوامل التنفيذية يمكن تقسيمها إلى أقسام فرعية طبقا للخطوط التالية:

(أ) قضايا تحليلية:

(١) تطور الدبلوماسية استجابةً للتغيير السريع وتزايد الاعتماد المتبادل.

(٢) طبيعة المجتمع الدولى اليوم.

(٣) السيادة الوطنية وحدودها .

(ب) الجوانب المؤسسية:

(٤) نظام الأمم المتحدة.

(٥) الاقتصاد العالمى.

(٦) هندسة العمارة الأوروبية.

(جـ) العوامل التنفيذية:

(٧) صنع السياسة الخارجية.

(٨) تنظيم الخدمة الدبلوماسية.

(٩) اكتساب المهارات الدبلوماسية: الصياغة.

بناء الكتاب :

المحاضرات التالية ستعمل على استكشاف كل من هذه الأقسام الفرعية على حدة. والمحاضرة الأخيرة - "عشر قواعد للدبلوماسى" - لها طابع أقرب إلى النوادر والحكايات، وتسعى لتصوير - بشكل عملى - النقاط الإرشادية العشر التى خلصت إليها المحاضرات السابقة.

وإذا بدا أن هناك عنصرا مصطنعا بخصوص الإطار، فيجدر ملاحظة أن المحاضرات مصممة بحيث تلقى بشكل منفصل، سواء بشكل كلى أو جزئى. ولهذا فإن

مضمون كل محاضرة على حدة قد يكون له علاقة عملية بعمل الدبلوماسى أكثر من المحاولات - التى قد تبدو مغرية فكريا - من أجل صقل العلاقة المشتركة فيما بينها وإتقان التغطية الجماعية. ويعتبر الوضوح التصورى الإجمالى على أى حال أمرا لا يمكن الوصول إليه.

ويمكن تشكيل الهدف بشكل أكثر تواضعا. فالحاجة إلى التفكير بشكل منهجى فى الشئون العامة، باعتباره شرط للتصرف بشكل فعال بشأنها، أمر لا يحتاج إلى إيضاح. فالدبلوماسيون الشباب إذا تعودوا أن يفكروا بشكل منهجى، فإنهم يستطيعون أداء خدمة أفضل لمن يعملون معهم. وقد صممت المحاضرات بحيث تنمى القدرة على التفكير تحليليا ومؤسسيا وتنفيذيا فى الوقت نفسه. وتضم كل محاضرة عددا من العناوين الفرعية التى ذكرت فى فهرست المحتويات، وبهذا يمكن استخدامها ملخصاً للنص فضلا عن الاستعانة بها قائمةً للمراجعة، أو سلسلة من قوائم المراجعة، فيما يتعلق بصنع السياسة. وتم تصميم الإسناد الترافقى فى النص نفسه، بالإضافة إلى الشروح والمراجع، للمساعدة فى هذه العملية.

تعليق ختامى :

إن وضع "إطار للقدرة على اتخاذ السياسات" على أساس الخطوط الموضحة عاليه ليست هدفا فى حد ذاته. فهو - كما سبق أن قلت - طريقة للاقتراب من مهمة تدريب أولئك الذين التحقوا بالعمل الدبلوماسى وأولئك الذين يطمحون فى الالتحاق به. وهو ليس بديلا عن الدراسة الأكاديمية الصارمة لمادة الشئون الدولية. ولكنه أمر مصاحب لهذه الدراسة. فالاثنان يتداخلان. فهما فى الواقع وجهان لعملة تعليمية واحدة. والشئون السياسية والاقتصادية يمثلان مجال موضوع رائع لتعلم التفكير. والهدف المؤكد هو التوصل إلى عمل أكثر فاعلية، يعتمد على استيعاب العملية والمادة معا. وقد تم تلخيص الأمر بشكل قاطع فى الحكم الذى أطلقه ماكولاى Macaulay، السياسى والمؤرخ البريطانى المشهور، على ميكيافيللى Machiavelli عندما قال:

"يبدو أن صفات رجل الدولة النشيط والمتأمل قد امتزجا فى انسجام نادر وبديع. فمهارته فى سرد تفاصيل العمل لم تكتسب على حساب قدراته العامة. ولم تجعل ذهنه أقل شمولا، ولكنها ساعدت على تصحيح تكهناته وأن تضفى عليها ذلك الطابع الحى العملى الذى يميزها كثيرا عن النظريات الغامضة لمعظم الفلاسفة السياسيين[٢]".

(١)

الدبلوماسية وليدة الأزمنة المتغيرة

يصر المنظرون الدبلوماسيون على أن الدقة هى عنصر رئيسى فى إدارة الشئون الدولية. ولهذا فإنه مما يدعو إلى السخرية أن كلمة "الدبلوماسية" غير دقيقة بشكل رهيب. فلها على الأقل ستة معانٍ، أو مجموعة من المعانى، التى تتصل ببعضها البعض على الرغم من تباينها. فهى أولاً : بمعناها الشامل يمكن أن تعنى مضمون الشئون الخارجية بوجه عام، وهذا ناشئ عن الاشتقاق من كلمة "دبلوما"، وهى ورقة مطوية أو خطاب توصية، أو وثيقة، ومن ثم فهى تعنى محتوى الوثيقة. ثانيا: يمكن أن تعنى الدبلوماسية إدارة السياسة الخارجية، وهى هنا أيضا تدل على الشمول، بحيث تضم كل جوانب التأثير التى يمكن أن تمارسه دولة على دولة أخرى، بما فيها الالتجاء للقوة. ثالثا: يمكن أن تعنى الدبلوماسية إدارة العلاقات الدولية بالتفاوض. ويجب أن نلاحظ أن هذا التعريف يحصر معنى الدبلوماسية فى التفاوض، ومختلفٌ عن استخدام القوة، وفى الوقت نفسه يوسع المعنى بإدخال مفهوم الإدارة، ومن ثم الانخراط فى التعامل مع بُعد الاعتماد المتبادل الدولى، وكذلك مع تفرعات الجانب الدولى للشئون الوطنية ككل. رابعا: يمكن أن تعنى الدبلوماسية جهاز إدارة العلاقات الدولية، وخاصة الخدمات الدبلوماسية المحترفة، وهو مفهوم محدود أكثر وفنى أكثر أيضا. خامسا: يمكن أن تعنى الدبلوماسية الطريقة التى تدار بها العلاقات الدولية. والتعريف الذى تبناه الحجة البريطانى الشهير سير إرنست ساتو Ernest Satow، هو "تطبيق الذكاء والمهارة على إدارة العلاقات الرسمية بين حكومات الدول المستقلة"[١]. وهذا التعريف له استخدامه التوجيهى باعتباره معيار ينبغى أن يطمح إليه أولئك الذين يمارسون إدارة السياسة الخارجية. ولكن لا يمكن اعتباره وصفا دقيقا لمجمل التأثير الذى تمارسه دولة على الدول الأخرى.

وأخيرا، يمكن للدبلوماسية أن تعنى فن ومهارة الدبلوماسى، مع بعض المعانى الخفية الرائجة، وهى ليست البراعة فحسب، ولكن أيضا المراوغة والتظاهر والخداع. "فالدبلوماسى هو شخص يمكن أن يكون جذابا وآسرا عندما لا تكون بلاده كذلك". وقد أتخذ ستالين هذا المدخل حتى نهايته المنطقية عندما قال: "كلمات الدبلوماسى لا علاقة لها بالأعمال، وإلا أى نوع من الدبلوماسية هذه؟ إن الدبلوماسية الصادقة غير ممكنة كما أنه من غير الممكن أن يكون هناك ماء جاف أو حديد خشبى".

وإذا كانت هناك كلمة تحمل فى وقت واحد معانى المضمون، والتصرف، والشخصية، والمنهج، والسلوك، والفن، فإنه يمكن القول بحق إنها تؤدى إلى سوء الفهم. وبالطبع يمكن أن نتبنى سياسة مراوغة وأن نبرر ذلك عندما نستخدمها، فالكلمة تعنى بالضبط ما نختار أن تعنيه، لا أكثر ولا أقل[٢]. ولكن مركزية الذات هذه لها عيوبها. فالمطلوب هو مدخل قائم على تعاون أكبر، فى السعى من أجل الوضوح. والتعريفات الستة كلها أو مجموعة التعريفات لكلمة "الدبلوماسية" لها صلة بالموضوع. وفضلا عن ذلك، فان صلتها بالموضوع تتم فى وقت متزامن. وهى تؤكد بشكل جماعى المزج الحتمى بين الجوهر والعملية فى الشئون الدولية والشئون الوطنية معا. وهى تدل، بشكل جماعى أيضا، على أننا نهتم بمجال واسع من الظواهر التى يمكن أن نفكر فيها باعتبارها علم اجتماعى للعلاقات الدولية، وهو علم اجتماعى يواكب علم السياسة أو علم التربية الوطنية وعلم الاقتصاد، وما يحدث من تداخل فيما بينها. ولكن إذا لم نستخدم كلمة "الدبلوماسية" " Diplomacy " لكل هذا، فهل هناك بديل آخر؟ هناك مصطلح " Diplomatics " الذى كان يمكن أن يناسب مقتضى الحال بشكل يدعو للإعجاب. لو لم يكن هذا المصطلح قد استخدم أساسا بمعنى دراسة الشهادات والمستندات أو حل رموز الوثائق القديمة.

وإذا تعذر– ولو مؤقتا – التوصل إلى جملة شاملة تصف اهتماماتنا؛ فإننا جميعا مضطرون لأن يكون من الواضح فى أذهاننا أى من التعريفات بالذات الذى يمكن أن نلصقه بمصطلح "الدبلوماسية"، وأن نعترف بالاعتماد المتبادل لهذا التعريف المعين مع التعريفات الأخرى للمصطلح. إذ ينبغى أن نجنب أنفسنا والآخرين أية بلبلة.

الدبلوماسية وليدة زمانها: الدبلوماسية القديمة والدبلوماسية الجديدة :

يعتبر المزج الحتمى بين الجوهر والعملية أبرز صفة للدبلوماسية فى أى من التعريفات الستة الموضحة سابقًا. وأحد خصائص الدبلوماسية الرئيسية هى أنها وليدة زمانها. فالطبيعة البشرية قد لا تتغير كثيرا. والطريقة التى يتم بها تفاعل البشر قد تتمشى مع بعض النماذج المعينة العريضة. ولكن من مزايا الحضارة القدرة على تفسير التجربة الإنسانية بطريقة تؤدى إلى تراكم الحكمة، ويقود هذا إلى محاباة السلوك البناء وليس السلوك المدمر. ولا يعنى هذا أن التقدم لا يتوقف أحيانا. فالفوضى لا تستأصل أبدا. بل إن الطريقة التى تتعامل بها الأمم مع بعضها البعض تأخذ شكل خليط غير مؤكد من الاستجابات للضغوط والفرص الحالية، والتكيف من خلال مجموعة من السوابق، ووضع القواعد، ومراعاة القواعد، وإخضاع القواعد، فى مزيج لا يمكن التنبؤ به.

وإذا لم تكن هناك أمور مطلقة فى الدبلوماسية، فهناك على الأقل مقارنات لابد من إجرائها. ويمكن أن نستفيد إذا نظرنا إلى الدبلوماسية كما تمارس فى أوقات مختلفة، وأن نلاحظ الاختلافات، ونصل إلى أسباب هذه الاختلافات. ومن المفيد لنا، ونحن فى نهاية القرن العشرين، أن نتأمل الموقف من بدايته. وسنجد أن الاختلاف شاسع.

لقد ظهر – لمدة ٣٠٠ سنة، منذ نهاية حرب الثلاثين عاما فى ١٦٤٨ حتى نشوب الحرب العظمى عام ١٩١٤– نموذج مميز للدبلوماسية فى أوروبا وهو ما يطلق عليه الآن بشكل عام "الدبلوماسية القديمة" للتمييز بينه وبين "الدبلوماسية الجديدة" التى ظهرت بشائرها فى نهاية الحرب العظمى، والتى ارتبطت بوجه خاص باسم وودرو ويلسون رئيس الولايات المتحدة. لقد قام سير هارولد نيكلسون الحجة البريطانى المعروف فى الدبلوماسية بوضع قائمة بالخصائص الخمس الأساسية "للدبلوماسية القديمة" كما يلى:

الأهمية الأولى لأوروبا، والنفوذ الرئيسى للقوى العظمى التى لها مصالح أوسع و"تمتلك مالا أكثر ومدافع أكثر"، والمسئولية المشتركة للقوى العظمى فى تدبير أمور القوى الصغرى بما فى ذلك المحافظة على السلام بينها، ووجود خدمة دبلوماسية

محترفة متماثلة على قدر الإمكان فى كل دولة أوروبية، والقاعدة القائلة بأن المفاوضات السديدة لابد أن تكون مستمرة وسرية(٣).

وما علينا إلا أن نطلع على هذه الخصائص لنرى إلى أى حد تختلف الأحوال الدبلوماسية اليوم. فقد حدث توسع فى مسئوليات الحكومة فى ميدان الإدارة الاقتصادية والأحوال الاجتماعية، وهناك زيادة كبيرة فى حجم الصفقات وفى سرعة الاتصالات، وحدث نمو مشابه فى المضمون الشعبى للشئون الدولية والمدى الذى يمكن أن يصل إليه التقرب إلى الرأى العام وتشكيله. وقد اضمحلت المركزية الأوروبية بشكل جذرى بظهور مراكز قوى أخرى. وحصلت الأمم التى كانت تحت السيطرة الأوروبية على استقلالها. وفوق كل ذلك، وتحت كل ذلك نشأ الاعتماد المتبادل الذى يشكك بشكل متزايد فى واقعية مفهوم السيادة القومية ومفهوم الحدود القومية.

" فالدبلوماسية القديمة" كانت ذات طابع سياسى نخبوى غير معلن وبعيدةً عن الجمهور الثائر وكانت محايدة عقائديا، وتوجهها لنماذج التجارة والنفوذ. وكانت على استعداد للجوء للحرب باعتبارها وسيلة لتحقيق أهدافها. وفى الممالك والإمبراطوريات الأوروبية كان الأمر يتعلق بامتيازات الأسر المالكة. وفى أطروحة للفيلسوف البريطانى جون لوك عن الحكومة المدنية، أصر على أن صالح المجتمع يتطلب أن أشياء عديدة يجب أن "تترك لفطنة صاحب السلطة التنفيذية"(٤). وسار فى الاتجاه نفسه رأى أمريكى مستقل ومكتمل. فبعض المجتمعين فى مؤتمر فيلادلفيا عام ١٧٨٧ الذين كان لديهم خبرة بحقائق الشئون الخارجية بذلوا كل جهدهم لإقناع زملائهم بأن السيطرة التنفيذية الحازمة أمر جوهرى. وبينما كانوا على استعداد لأن يروا أن تترك إدارة الشئون الداخلية - إلى حد كبير - لمجلس شعب، إلا أنهم ما كانوا يأخذون هذه المخاطرة بالنسبة للشئون الخارجية. وبعد مناقشة "الضرورة المطلقة للنظام" وعدم التحقق الكافى فى الذهن الشعبى بأهميته فى الشئون القومية، كتب جون جاى Jay John فى "الأوراق الفدرالية" Federalist Paprs : "إنه من الحكمة لهذا السبب أن يقرر المؤتمر ليس وجوب أن يعهد بكل سلطة عقد المعاهدات إلى رجال قادرين وأمناء فحسب، بل يجب أيضا أن يستمروا فى مواقعهم فترة كافية حتى يألفوا الاهتمامات القومية وحتى يشكلوا نظاما ويقدموه لإدارتها".

ولم يكن "للدبلوماسية الجديدة" أى من الخصائص الغالبة "للدبلوماسية القديمة" التى سبق أن وصفناها. فقد فجرت قيود الهيمنة الأوروبية. وتوجهت اهتماماتها إلى أبعد من مجرد المسائل السياسية التقليدية. وأصبح يسيطر عليها الاهتمامات الاقتصادية ومعانيها الاجتماعية. وتستوعبها الديموقراطية وحقوق الإنسان، سواء أكانت فردية أم جماعية. وهى ذات طابع شعبى أكثر منه نخبوى. وهى تتمثل فى المصلحة الشعبية المؤكدة والمناقشات. فالصالة لها أهمية المسرح نفسها .

سلسلة من الغزوات للجبهة السياسية :

كيف يمكن للمرء - من وجهة نظر إدارة العلاقات الدولية - أن يحلل جيدا التغييرات التى طرأت خلال القرن العشرين والتأثير التى كانت لها على طريقة تفاعل الأمم مع بعضها؟ ربما كانت أنسب طريقة هى أن نفكر فى سلسلة من "الغزوات" للجبهة السياسية، حيث الأنشطة التقليدية، كما تجسدها "الدبلوماسية القديمة"، قد تجاوزتها تطورات العالم الحديث الذى تعتبر "الدبلوماسية الجديدة" استجابة لها. وهذه "الغزوات"، على الرغم من أنها مختلفة منطقيا،إلا أنها تعتمد على بعضها البعض وتتداخل فيما بينها. وهى لا تقدم نفسها فى ترتيب تاريخى دقيق. والعناصر التى تتكون منها كانت موجودة ويمكن تتبعها. ولكنها فى القرن العشرين اعتبرت ذات أهمية كبيرة، فرديا وجماعيا. ويمكن أن تصنف فى أى نظام تحليلى وتاريخى دقيق على أساس الخطوط التالية:

(أ) الغزو "الاقتصادى"، حيث يتزايد الاعتماد المتبادل والتغلغل المتبادل للاقتصاديات كما تتزايد درجة مسئولية الحكومة للإدارة الاقتصادية بحيث طغت على مضمون الشئون الدولية بطريقة لم يشهدها القرن التاسع عشر.

(ب) غزو "الاهتمام والمشاركة الشعبية"، ونتيجته أن أصبح الرأى العام مصدر اهتمام رئيسى ومكسبا أساسيا فى إدارة السياسة الخارجية.

(ج) غزو "تقرير المصير وتفكيك الاستعمار" وبه وجدت مفاهيم الديموقراطية والحكم الذاتى المألوفة فى العالم النامى نفسها ذات امتداد منطقى إلى نطاق الشعوب الخاضعة للإمبراطوريات السابقة، بما يتضمنه كل ذلك بالنسبة للتدابير الدولية المطروحة.

(د) غزو "حقوق الإنسان"، حيث أصبحت معاملة الأفراد والأقليات مسألة تثير الاهتمام الدولى، مع أبعاد سياسية وإنسانية مهمة.

(هـ) الغزو "الاجتماعى" الذى لا يركز فقط على إبراز التنمية الاقتصادية باعتبارها وسيلة لتسهيل مستوى أفضل للمعيشة، وإنما يركز أيضا على التنمية الاجتماعية وعلى المشكلات الملحة للمجتمع: مثل الفقر والبطالة وسوء الصحة والتعليم غير الكافى وعلى ما تعانى منه النساء من حرمان من المزايا والمشكلات الخاصة بالأطفال والشباب والمعوقين وكبار السن.

(و) غزو "القضايا الجديدة"، خاصةً مسألة كيفية معالجة التهديدات التى تتعرض لها البيئة، وكذلك التهديدات الجماعية الأخرى التى تتعدى الحدود القومية: مثل سوء استخدام المخدرات والإرهاب وأمراض نقص المناعة/الإيدز.

(ز) غزو "تكنولوجيا المعلومات" التى استطاعت بسرعة انتشارها فى كل مكان أن تغير العالم. وكان لا بد من أن تتغير المفردات وأن تمتد باستمرار حتى تستوعب المفاهيم الجديدة التى أظهرتها التكنولوجيا.

(ح) غزو "تعدد الفاعلين"، ومن نتائجه زيادة كبيرة فى عدد أولئك الذين أصبحوا جزءا من عملية إدارة العلاقات الدولية، فلم يعد الأمر يقتصر - كما فى أيام "الدبلوماسية القديمة" - على الملوك والوزراء والدبلوماسيين المحترفين.

وسأوجز هذه "الغزوات" بالترتيب كما يلى:

(أ) الغزو الاقتصادى :

شهد القرن التاسع عشر أوج سياسة الحرية الاقتصادية laissez-faire وهى التعبير الاقتصادى عن الحد الأدنى من التدخل الحكومى فى إدارة الاقتصاد، مع

ما يصحب ذلك من عدم التركيز على الأمور الاقتصادية في إدارة العلاقات الدولية. ومن منظور قرن لاحق نرى أن دبلوماسية القرن التاسع عشر تبدو فعلا وكأنها تدريب سياسي رقيق، يتسم بالبطء في الاستجابة للتغييرات السريعة والمكثفة في النشاط الاقتصادي، ليس داخل الدول فحسب وإنما أيضا فيما بينها. وربما كان أعمق تحليل بريطاني لأبعاد هذه التغييرات ما تضمنه كتاب "الدبلوماسية المكبلة بالقيود" Diplomacy in Fetters الذي نشر عام ١٩٤٤ لسير فيكتور ويلسلي Sir Victor Wellesley، نائب وكيل وزارة الخارجية البريطانية في الفترة من ١٩٢٥ إلى ١٩٣٦(٥). وكانت أطروحته تدور في جوهرها حول فكرة أن الثورة الصناعية قد طورت الاقتصاديات القومية إلى اقتصاد عالمي قائم على الاعتماد المتبادل والتغلغل المتبادل، وأن ذلك أدى إلى تغيير جذري في خلفية إدارة الشئون الخارجية. ومع هذا فإن جهاز الشئون الخارجية بقي ثابتا، ومن ثم توقف عن العمل بكفاءة. ويقول ويلسلي إنه في القرن التاسع عشر "لم تظهر على السطح مشكلات اقتصادية واجتماعية كبيرة يمكن أن تنال من نقاء فكر الدبلوماسيين. ولهذا لم يضطروا إلى أن ينقبوا ويفكروا بعمق".

ويرى ويلسلي أن القرن العشرين كان مختلفا. وطالما كان الممارسون الدبلوماسيون يفكرون بأسلوب سياسي تقليدي دون أن يراعوا النطاق الكامل للعوامل ذات الصلة،استمرت الدبلوماسية "مكبلة بالقيود". وهذا النقد لا يمكن أن يطبق بحال على الدبلوماسيين اليوم. فالعوامل الاقتصادية تجبرهم على الاهتمام بالحكومات طول الوقت. وأصبح الاقتصاد العالمي،الذي نناقشه في المحاضرة الخامسة مركز اهتمامهم. ولم تعد المهمة تنحصر في الاعتراف بأهمية نطاق واسع من العوامل بقدر ما تعكس هذا الاعتراف في صنع سياسة رشيدة. وقد تعامل كتاب ويلسلي بالتفصيل مع الطريقة التي تتطلبها كل هذه الاعتبارات لكي تنعكس ليس على خبرة وتدريب وتنظيم الدبلوماسيين فحسب، وإنما أيضا على جهاز الحكومة ككل وعلى إدارة العمل البرلماني. وهو يرى أن السياسة الخارجية لا يمكن التعامل معها من فراغ أو على أساس العيش من اليد للفم. وقد يوضح هذا - بالإضافة إلى أسلوبه المتسم بالاستطراد إلى حد ما - السبب في أن عمله الرائد لم ينتشر بشكل جيد حتى بين المحترفين لا في أيامه، ولا بعد ذلك. ولكن الكثير من رسالته، على الأقل فيما يتعلق بالتنظيم

الدبلوماسى، أدرج فى المقترحات للإصلاح الدبلوماسى البريطانى التى تم تبنيها فى نهاية الحرب العالمية الثانية[٦] .

(ب) غزو الاهتمام والمشاركة الشعبية :

يمكن وضع هذا المقترح باقتضاب كالآتى: كما أن الحرب هى مأساة لكل فرد وكابوس لكل إنسان، فإن الدبلوماسية هى عمل كل شخص. وكان أحد خصائص القرن التاسع عشر النقص النسبى فى الاهتمام الشعبى بالشئون الخارجية. فقد كانت هذه الشئون قاصرة فعلا على الأقلية المتعلمة. ولما كان نطاقها سياسيا إلى حد كبير ، فلم يكن اهتمامها منصبا على الرجال والنساء من عامة الشعب، ولم تكن لها أهمية كبيرة فى حياتهم اليومية. وقد نشبت حربان عالميتان، بفاصل من السلام المضطرب فيما بينهما، وأحدثا تغييرا فى كل ذلك. وتمزقت الحياة اليومية للملايين من البشر بسبب ما شهده النصف الأول من القرن العشرين من اضطرابات. وتزامن القلق من أجل تجنب مصائب الحرب مع التدويل المتزايد لوجودنا لتأكيد المضمون الشعبى للشئون الدولية.

وقد تزايد المضمون الشعبى للشئون الدولية بشكل كبير بطريقتين منفصلتين. الأولى هى وجود اهتمام شعبى معزز بقوة، واستعداد الحكومات المسئولة ديموقراطيا لمواجهته بفيض مناسب من المعلومات والإيضاحات: سواء أمام البرلمان أو وسائل الإعلام أو المنظمات غير الحكومية بكل أنواعها أو الأفراد. وهذا الفيض لابد أن يكون قوميا ودوليا. وقد لاحظ دزرائيلى Disraeli "أنه دون إعلام لا يمكن أن تكون هناك روح للرأى العام، ودون روح للرأى العام لابد أن تصاب أية أمة بالانحلال". وهذا التأكيد على الإعلام يستمد قوته – إلى حد كبير – من الشعور بأن السرية هى عيب خاص "بالدبلوماسية القديمة". وقد تحدث الرئيس ويلسون عن المواثيق العلنية للسلام والتى يتم التوصل إليها علانية"[٧]. والهدف هو أنه لا يجب مواجهة الناس بالأمر الواقع فى ميدان السياسة الخارجية، مع احتمالات العواقب الكارثية. وإنما لابد أن يلموا على الأقل بوجه عام بما يجرى، كما لابد للحكومات أن تقنع ناخبيها بتصرفاتها.

ويقودنا هذا إلى العنصر الثانى من المضمون الشعبى للشئون الخارجية، وهو نطاق التأثير على الرأى سواء داخليا أو خارجيا. وقد كان ينظر إلى حرية الصحافة على أنها تضفى على الصحفيين سلطة كبيرة، وكان ذلك يسبب ضيقا أحيانا حتى لمعظم الحكومات الطيبة. وكان ماكولى هو الذى لاحظ أن الشرفة التى يجلس فيها مراسلو الصحف قد أصبحت السلطة الرابعة فى المملكة(٨). واليوم تعتبر جهات عديدة أن التغطية الفورية للأحداث على مستوى العالم من خلال التليفزيون والإذاعة بمثابة إضفاء سلطات مبالغ فيها على وسائل الإعلام. ويعتبر البعض أن شبكة سى إن إن (CNN) التى تنقل الأنباء عبر الكبلات هى بالفعل العضو السادس عشر الواقعى من أعضاء مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وهناك نوع من القلق فى الدول النامية الصغيرة والتى مصادر معلوماتها المستقلة محدودة. ومع هذا فإن الحكومات هى التى لديها معظم إمكانيات التأثير على الرأى العام. والدعاية هى – إلى حد كبير – أحد سمات القرن العشرين بفضل انتشار التعليم وتطور وسائل الاتصال الجماهيرية. وقد وجهها الحلفاء بفاعلية كبيرة فى الحرب العالمية الأولى ضد العناصر المتذمرة داخل الإمبراطورية النمساوية المجرية. وقد وصل النازيون بالدعاية إلى درجة عالية من التأثير. وتحدث المنظرون السياسيون عن السلطة على الرأى العام باعتبارها عنصر منفصل، يختلف عن السلطة العسكرية والاقتصادية. وقد ظهرت إلى الوجود كل من المجلس البريطانى والخدمات الخارجية لهيئة الإذاعة البريطانية استجابةً للدعاية المعادية. وكانت أهميتها للدبلوماسية البريطانية كبيرة بفضل السمعة التى تحسد عليها والتى بنتها على الجودة والموضوعية(٩).

(ج) غزو الحكم الذاتى وتفكيك الاستعمار :

هناك سمة عظيمة من سمات "الدبلوماسية القديمة" وهى الانتشار الإمبراطورى للقوى الأوربية الرئيسية، سواء داخل أوروبا أو فى القارات الأخرى. وقد حدث توسع بالغ التأثير للقوة الأوروبية خارج أوروبا فى أواخر القرن التاسع عشر، فيما عرف "بالاندفاع نحو أفريقيا". وكان الاحتلال الاستعمارى الذى ترتب على ذلك قصير الأمد

من المنظور التاريخى. فالإمبراطوريات داخل أوروبا دامت فترات أطول بكثير. وقد منحت معاهدة فرساى والتدابير المتعلقة بها بعد نهاية الحرب العظمى: الاستقلال لعدد من البلاد الأوروبية، على أساس مبدإ تقرير المصير الذى ثابر على الترويج له الرئيس ويلسون وأعيد رسم خريطة أوروبا على أسس قومية وإثنية. وكانت النتائج مخيبة للآمال بعمق. ولم تتحقق تدابير الأمن الجماعى التى كانت مطلوبة لتنفيذ تسوية ما بعد الحرب ، بسبب أوجه القصور فى عصبة الأمم. ولكن مبدأ تقرير المصير احتفظ بجاذبيته القوية. وخارج أوروبا لم تشهد نهاية الحرب العظمى ازدهار تقرير المصير على النطاق نفسها. وقد أعيد تسمية عدد من المستعمرات التابعة للقوى المنهزمة لتصبح "الأقاليم تحت الانتداب" التابعة لعصبة الأمم. وتم تقسيم الإمبراطورية التركية القديمة إلى مناطق نفوذ وهى فى الحقيقة مناطق محتلة.

ولم يشهد تفكك الاستعمار دفعة حقيقية إلا بعد الحرب العالمية الثانية. وتضاعفت عضوية الأمم المتحدة إلى أكثر من ثلاثة أضعاف منذ عام ١٩٤٥، وازدهر نظام الدولة القومية بدرجة لم يسبق لها مثيل. ومع هذا فإن الاعتماد المتبادل فى الوقت نفسه تسبب بشكل متزايد فى التشكيك فى هذا النظام. وهكذا نجد فى مركز العلاقات الدولية اليوم تناقضا لا يسهل حسمه. فالرأى السائد يقف بقوة إلى جانب تفكيك الاستعمار باعتباره امتداد لمفاهيم الديموقراطية والحكم الذاتى لشعوب الإمبراطوريات السابقة. ومن جهة أخرى، تم تجاهل المفهوم القائل بأن قيام الدولة مرهون بالقدرة على ضمان الدفاع الذاتى إلى جانب القدرة على البقاء اقتصاديا، بلا مساعدة، وخاصة فى حالة عدد من البلاد الأصغر والأفقر. فالمجتمع الدولى يضم عددا من الأعضاء سيعتمدون على حماية ومساعدات الآخرين فى المستقبل المرئى. ومسألة هل وكيف يتم التدخل فى شئون مثل هذه البلاد ليس مستبعدا. والرائج وصف الدول التى تعانى من انهيار، بأنها "دول فاشلة". والصومال مثال على ذلك. ولا حاجة إلى تأكيد عدم الاستقرار الدولى الذى يتهدده ذلك ومع هذا فلم يصل إلى حد إضعاف الولاء الحاسم العام لنظام الدولة القومية.

(د) غزو حقوق الإنسان :

لا ينطبق مفهوم تقرير المصير بالطبع على البلاد أو الشعوب فحسب. فقوته الباقية مستمدة من الإيمان بحقوق الفرد، حتى وإن كانت فى كثير من الحالات لا يمكن ضمانها إلا جماعيا. ولكن لا يوجد ضمان بأن الحكم الذاتى وتقرير المصير على المستوى القومى سيؤكد حرية الفرد ورفاهيته. وتنشأ مشكلة معينة عندما تكون هناك أقليات مهمة فى داخل الأمم – سواء أكانت أقليات إثنية أم دينية أم ثقافية أم لغوية أم إقليمية – وبوجه خاص عندما تكون هذه الأقليات مرتبطة بأقليات مشابهة، أو حتى بأغلبيات، فى الدول المجاورة. هذه هى المشكلة التى عانت منها أوروبا لقرون. ومن المحتمل أن تستمر لعشرات السنين القادمة.

وبالنسبة للإدارة العملية للعلاقات الدولية، يجد القلق على حقوق الفرد فى أى مكان وفى كل مكان تعبيرا حادا له متمثلا فى الصراع الذى لم يحسم بين سيادة الدول ومقاومة التدخل الدولى فى الشئون التى تدخل أساسا ضمن الاختصاص الداخلى للدول، من جهة، والإدراك الدولى بأن الطريقة التى تعامل بها الدولة رعاياها، خاصةً أقلياتها، قد تكون ذات أهمية دولية حيوية، من جانب آخر.

(هـ) الغزو الاجتماعى :

أوضح ميثاق الأمم المتحدة بجلاء تام أن الحفاظ على السلام العالمى لا يتضمن فقط تجنب الصراع المسلح، وإنما يتضمن أيضا إجراءات لتحسين مصير الفرد ومن ثم إزالة التوترات والضغوط. والقلق الدولى فى هذا الشأن هو انعكاس لقبول الحكومات الوطنية مسئوليات على نطاق واسع جدا فيما يختص بالشئون الاجتماعية، واعترافها بأن العمل الفعال يتوقف إلى حد كبير على التعاون الدولى وكذلك على الإجراءات المحلية. وهكذا فإن حجم العمل الدولى الذى يتم اليوم فى الساحة الاجتماعية كان يمكن أن يذهل الدبلوماسيين منذ قرن من الزمن.

(و) غزو القضايا الجديدة وخاصة حماية البيئة :

إن الغزو "الاقتصادى" الذى سبق الإشارة إليه له بالطبع مضمون تقنىٌ عالٍ. وهو يتسم أيضا بمعدل تغيير سريعٍ ومتنامٍ. وقد كان هناك دائما علـماء المستقبل بشكل أو بآخر. ولكنهم ربما الآن أكثر بروزا وأعلى صوتا وأفضل فى التعبير عن همومهم. وهناك على أى حال تأكيد متزايد على "القضايا الجديدة"،التى تتطلب اهتماما فائقا بالمجتمع الدولى وبالهياكل والاتجاهات الجديدة حتى يمكن تناولها بفاعلية.

وتتمثل أهم هذه القضايا "الجديدة" فى حماية البيئة. وهذا موضوع ضخم وله أبعاد دبلوماسية واسعة. والنقطة الحيوية هى أن الاهتمام الشعبى بالتلوث واستنزاف الثروات الطبيعية قد دعا الحكومات الغربية على مدى حوالى ٢٥ سنة إلى إعطاء اهتمام متزايد لمسألة حماية البيئة. ومن الواضح أن الإجراءات العلاجية تتطلب تعاونا دوليا على نطاق واسع. ولابد أن تأخذ الحكومات فى حسبانها الجوانب العديدة للعلاقات الدولية التى تعتمد فيها المسائل البيئية اعتمادا متبادلا. وفي العالم النامى ترتبط مشكلة البيئة أساسا بالنمو السكاني والفقر وما يستتبعه من ضغط على الأرض والموارد الطبيعية الأخرى. وفضلا عن ذلك إذا كانت الإجراءات العلاجية التى يسعى إليها الغرب تشتمل على الانبعاثات المخفضة لغازات "البيت الزجاجي"، فإن ذلك سيعوق التنمية الصناعية للدول الفقيرة. وترى هذه الدول أنه يجب أن يكون هناك تعويض من تلك الدول الغنية التى أسهمت عمليات التصنيع السابقة فيها بشكل كبير فى المشكلة. وبمعنى آخر فإن حماية البيئة قد أصبحت مصدرا آخر للتوتر بين دول الشمال ودول الجنوب .

وكان من العلامات المميزة صدور تقرير عام ١٩٨٧ عن اللجنة العالمية للبيئة والتنمية،التى تشكلت عام ١٩٨٣ بناءً على طلب الجمعية العامة للأمم المتحدة برئاسة رئيسة الوزراء النرويجية مسز جرو هارلم برونتلاند Mrs Gro Harlem Brundtland. وعنوان التقرير: "مستقبلنا المشترك"، *Our Common Future*(١٠) وقد أبرز مفهوم التنمية المستدامة sustainable development: وهى التنمية التى "تلبى حاجات الحاضر دون التفريط فى قدرة الأجيال فى المستقبل على تلبية حاجاتها" وهذا المفهوم

سليم سياسيا، وربما كان أحد الأسباب أنه غامض عن عمد. وهو يشير إلى التعاون الدولى والمصروفات المتقاسمة. وقد أكدت اللجنة أن التنمية العالمية المستدامة تتطلب من "الأغنياء أن يتبنوا أساليب حياة تتناسب مع الإمكانيات الإيكولوجية للكرة الأرضية، فى استخدامهم للطاقة على سبيل المثال." وعلاوةً على ذلك فإن التنمية المستدامة "لا يمكن تطبيقها إلا إذا كان حجم السكان والنمو يتمشيان مع الإمكانات الإنتاجية المتغيرة للنظام الإيكولوجى".

وكان للجنة نفوذ فى تعبئة المجتمع الدولى لتناول المسائل البيئية المتعددة الجوانب على أساس أكثر تماسكا. وعقد مؤتمر بشع للأمم المتحدة عن المسائل البيئية فى ريو دى جانيرو عام ١٩٩٢ - بعنوان "مؤتمر الأرض" - وكان قد تم عقد إطار اتفاقية عن التغيير المناخى واتفاقية عن التنوع البيولوجى قبل ذلك بقليل. وفى المحاضرة الخامسة مزيد من بحث علاقة القضايا البيئية بالجوانب الأخرى للاقتصاد العالمى[١١].

وهناك قضايا "جديدة" أخرى،ليست لها نفس النطاق العالمى، ومع هذا فإنها تثير اهتماما كبيرا على مستوى العالم وتتطلب معالجة دولية تعاونية وليس عملا قوميا فحسب. ومن هذه القضايا يمكن أن نذكر ثلاثة أمثلة بارزة: الإرهاب، خاصةً حينما ينشأ نتيجة اختلافات دينية أو أيديولوجية، أو ينبع من إنكار ملحوظ لحقوق الإنسان، وانتشار أمراض نقص المناعة/الإيدز. وتقدر تجارة المخدرات غير المحدودة على نطاق العالم بما قيمته ٥٠٠ بليون دولار، وهو ما يعادل ٥٠ فى المائة من إجمالى الإنتاج المحلى للمملكة المتحدة[١٢].

(ز) غزو تكنولوجيا المعلومات :

كما توحى هذه السلسلة من "الغزوات"، يأخذ الاعتماد المتبادل كثيرا من الأشكال. ولكن لا شىء "عَوْلَم" حياتنا مثل التطورات الثورية فى السنوات الخمس والعشرين الماضية أو نحو ذلك، ليس فى الاتصالات نفسها فحسب، ولكن أيضا فى إدماج عمليات بث المعلومات ومعالجتها والتى كانت منفصلة من قبل. ولقد كان التقدم سريعا جدا

وكانت احتمالات حدوث مزيد من التغيير ملحوظة بحيث كان من الصعب فصل الحقيقة عن الخيال، وفصل التنبؤ الرصين عن الوهم. فتكنولوجيا المعلومات هى المحك للحياة الحديثة.

وقد وضع ستيوارت إلدون Stuart Eldon، عضو الخدمة الدبلوماسية البريطانية،أخيرا كتابا بعنوان "من القلم الريشة إلى القمر الصناعى" From Quill Pen to Satellite [١٣] لخص فيه التغييرات التى أتت بها هذه التطورات فى عمل وزارات الخارجية. وقد امتزجت العملية بالجوهر امتزاجا لا فكاك منه فى هذا الميدان،كما فى غيره من الميادين. ومن المحتم أن إدارة العلاقات الدولية ستخضع أكثر لضغط الوقت. وسيظهر محتواها الشعبى. وستحتاج إلى أن تستغل التطورات فى تكنولوجيا المعلومات، بقدر ما ستعجز عن تفادى التأثر بها. وكما سبق أن ذكرنا فإن هذه التطورات قد أصبحت كثيفة وسريعة بالفعل. بل إنها ستزداد كثافة وسرعة فى المستقبل.

(ح) غزو تعدد الفاعلين :

إن النتيجة الحتمية للتوسع الضخم فى الاتصالات الدولية أن أولئك المندمجين فى إدارة هذه الاتصالات قد ازداد عددهم بشكل كبير. ولكن هذه الزيادة هى مسألة سبب ومسبب. وعلى أساس المقترح النظرى(جدا) بأن الزيادة الكبيرة فى عدد الدول ذات السيادة وفى نطاق العمل الذى يتم بين الحكومات لم يؤد إلى إحداث تغيير من الدبلوماسية "القديمة" إلى الدبلوماسية "الجديدة"، إلا أنه أحدث زيادة نتيجة لذلك فى عدد الدبلوماسيين والمسئولين فى المنظمات الدولية. فالدبلوماسية كان يمكن أن تصبح صناعة نمو على هذه الأسس وحدها. ولكن الانتقال إلى الدبلوماسية "الجديدة" قد واكبه نمو كبير جدا فى اهتمام الجمهور، واندماج فى العلاقات الدولية. ولم يصبح عدد الفاعلين كبيرا جدا فحسب، ولكن كان التنوع أيضا كبيرا، وشمل ذلك السياسيين والأروقة، ووسائل الإعلام والمنظمات غير الحكومية من كل نوع. وفضلا عن ذلك،عندما لم يعد مفهوم العلاقات الدولية مقتصرا على النشاط بين الحكومات، وتوسع ليشمل إجمالى تأثير دولة على دولة أخرى، أو بالأحرى تأثير حضارة على حضارة أخرى، فإن

النمو فى عدد الفاعلين أصبح أكبر. ولابد أن يشمل التعدد المصدرين المرئيين والخفيين وحتى السياح والأنشطة المتعلقة بكل العلاقات. وحسب لغة المسرح ، فإن المسرحية لم تعد دراما كلاسيكية على مسرح صغير، ولكنها تحولت إلى فيلم ملحمى يعمل فيه الآلاف.

أبعاد التحول من الدبلوماسية القديمة إلى الدبلوماسية الجديدة :

الغرض من هذا المسح "لغزوات" المنظر الواجهة السياسية هو شرح التحول من "الدبلوماسية القديمة" إلى "الدبلوماسية الجديدة" استجابةً للتغييرات المهمة فى الشئون الإنسانية التى شهدها القرن العشرين. وعلى الرغم من أن كل من "الغزوات" مهمة فى حد ذاتها،إلا أن تأثيرها الجماعى هو الذى أدى إلى تحول العلاقات الدولية. فهى مزيج قوى جدا من المادة والعملية. وهى مجتمعة قد أثرت بعمق فى الدبلوماسية فى كل معنى من معانيها الستة التى أشرنا إليها فى صدر هذه المحاضرة. فقد وسعت بشكل كبير مضمون الشئون الدولية. كما أنها أدت إلى تعقيد كبير فى إدارة السياسة الخارجية. كما أنها عقدت أيضا إدارة العلاقات الدولية لأنها جعلت البديل المخيف للحرب أكثر تدميرا بشكل غير محدود. أما عن جهاز إدارة العلاقات الدولية، فقد أصبحت الدبلوماسية أشبه بمشروع تجارى، بينما كانت فى الأيام الخوالى فى ظل "الدبلوماسية القديمة" شبيهة أكثر بالفن(١٤). وعلى الوتيرة نفسها فإن الطريقة التى تدار بها العلاقات قد مرت بتحول عميق. وأخيرا، فإن "الغزوات" سواء أكانت جماعية أو تراكمية، قد أحدثت تغييرا عميقا فى المهارات والمعرفة المطلوبة للقيام بعمل الدبلوماسى، بينما لم تغير بالقدر نفسه الصفات الشخصية التى يحتاجها الدبلوماسى رجلا أو امرأة للقيام بها بنجاح.

والمحاضرات التالية تسعى لتوضيح الانطباع المشترك لكل هذه التغييرات فى العمل الدبلوماسى، مسجلةً التحول من "الدبلوماسية القديمة" إلى "الدبلوماسية" الجديدة. وتراعى المحاضرات التتابع الذى جاء فى المقدمة، والذى يناقش وضع إطار لتنمية القدرة على المساعدة فى وضع السياسة، وهو مطلب رئيسى للدبلوماسى. وتحلل المحاضرتان الثانية والثالثة الآثار العملية للتحول من الدبلوماسية القديمة إلى

الدبلوماسية الجديدة، سواء بالنسبة لطبيعة العالم اليوم أو للمشكلات التى تواجهها الحكومات الوطنية فى تنظيم جهودها للتعامل معها. وهى تغطى على التوالى "طبيعة المجتمع الدولى اليوم" و "السيادة الوطنية وحدودها". وتنتقل المحاضرة الرابعة إلى الجوانب المؤسسية، فتناقش الأمم المتحدة والتعبير المؤسسى الرئيسى "للدبلوماسية الجديد" والعنصر الحيوى فى عالم اليوم القائم على الاعتماد المتبادل. ولا يمكن لأحد أن يتصور أن كل شئوننا يمكن أن يتم تناولها حصرا بالأمم المتحدة أو عن طريقها هى ومنظماتها، التى ترتبط بها فى نظام الأمم المتحدة. فالأمم المتحدة شرط ضرورى ولكنه ليس كافيا للإدارة المناسبة لعالم اليوم. فما الذى يكون شرطا كافيا؟ بالطبع،ليس هناك إجابة واحدة. والطريقة العملية لمعالجة القضية هى النظر إلى حقيقة الاقتصاد العالمى والتدابير التى تحتاجها الحكومات لإدارتها، بالاعتراف الكامل بالعوامل غير الاقتصادية - أى العوامل الاجتماعية والتنموية والبيئية والأمنية - التى لها صلة بالموضوع. هذه هى مهمة المحاضرة الخامسة.

وتتناول المحاضرة السادسة "هندسة العمارة الأوروبية"، وهى مجموعة غير عادية من التدابير التى لا تؤثر فقط على قارة أوروبا، من الناحية الجغرافية ، ولكنها تؤثر أيضا على الأطلنطى وعلى روسيا وكذلك اليابان. ولا يعكس هذا أهمية البعد الأوروبى "للدبلوماسية القديمة" والتحول إلى "الدبلوماسية الجديدة" فحسب، ولكنه يعكس أيضا العنصر الأوروبى الحيوى فى ضمان سلام ورفاهية العالم مستقبلا. وملحق المحاضرة السادسة يستعرض اتفاقية السلام الخاصة بالبوسنة والهرسك من وجهة نظر الجوانب المؤسسية المرتبطة بها.

وتقترب المحاضرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة من "الدبلوماسية الجديدة" من جانبها التنفيذى. كما أنها تعود مرة أخرى إلى الظواهر التى غطتها المحاضرات الست الأولى على التوالى من وجهة نظر صنع السياسة الخارجية، وتنظيم الخدمات الدبلوماسية المحترفة، وأخيرا مهارات الدبلوماسى الفرد. وقد يختلف ميزان التأكيد بين المادة والعملية فى هذه المحاضرات الأربع - إلى حد ما - عن الميزان فى المحاضرات الست السابقة. ومع ذلك يبقى المزج بين الجوهر والعملية لا فكاك منه.

ولأسباب تم ذكرها فى المحاضرات، فإن عام ١٩٩٥ كان عاما مثمرا بشكل خاص لدراسة تطور "الدبلوماسية الجديدة"، ولا سيما ما يتعلق بالأمم المتحدة فى عام يوبيلها الذهبى، والموقف فى أوروبا فى أعقاب الحرب الباردة وانهيار يوغوسلافيا السابقة.

(٢)

طبيعة المجتمع الدولى اليوم

تتبعت المحاضرة السابقة تطور الدبلوماسية من "الدبلوماسية القديمة إلى الدبلوماسية الجديدة" خلال القرن العشرين،استجابة لسلسلة من "الغزوات" القائمة على الاعتماد المتبادل والخاصة بالواجهة السياسية بواسطة ظواهر "غير سياسية"، مدفوعة بتفاعل الصالح العام والوعى العام والثورة فى الاتصالات. فما يواجهه الدبلوماسيون اليوم مختلف إلى حد كبير عما واجهه من سبقوهم منذ قرن مضى. فصنع السياسة يجب أن يضع فى الاعتبار مجموعة من الظواهر الأوسع والأسرع فى التغيير، وأن تعمل تحت الأضواء المبهرة للإعلام. وعلينا أن نكون واضحين على قدر الإمكان بالنسبة لطبيعة المجتمع الدولى اليوم.

وهذه المحاضرة تناقش أربعة مقترحات تلخص التحول من "الدبلوماسية القديمة" إلى "الدبلوماسية الجديدة"، وتوضح ما ينبغى على الدبلوماسيين ومن هم فى خدمتهم أن يضعوه فى حسبانهم بدرجة لم تكن مألوفة فى القرون الماضية:

(أ) كلمة "دولى" لا تعنى أبدا كلمة "بين الحكومات".

(ب) التمييز بين الشئون الخارجية والشئون الداخلية قد لفه الغموض، وقد ظهر مع بداية الاعتماد المتبادل وتأثيره على كل مناحى الحياة.

(جـ) هذا هو عصر الرجل العادى والمرأة العادية.

(د) تزايد ما هو مطلوب من الحكومات فى وقت تضمحل فيه باستمرار قدراتها على تقديم ما هو متوقع منها فى المجالين الداخلى والخارجى.

وسيتم بحث هذه الافتراضات كل على حدة. أما عن الجوانب الأخرى للاعتماد المتبادل، فإن تأثيرها الجماعي والتراكمي، وليس تأثيرها الفردي، هو الذى يخدم فى تشكيل المجتمع الدولى اليوم، ومن ثم فى تشكيل صنع السياسة بطريقة فعالة. وستركز هذه المحاضرة على الجانب العملى للتحليلات، وبهذا تساعد على تمهيد الطريق للمسح فى المحاضرة الثالثة الخاص بأبعاد سيادة الدولة و"شرعية" أنشطة الدولة فى ميدان السياسة الخارجية.

ما بين الحكومات وما بين الدول

عندما ظهرت كلمة "ما بين الدول" (أو كلمة "دولى") لأول مرة فى نهاية القرن التاسع عشر، كانت الكلمة تعنى عملا "ما بين الحكومات". وهناك تكرار للمعنى لا ضرورة له فى هذا التبسيط المريح. ولا يوحى هذا بأنه لم يكن هناك صلة عبر الحدود لم تأخذ شكل المعاملات فيما بين الحكومات. وكان الموقف أقرب إلى وجود قدر كبير من مثل هذا الاتصال، ولكنه كان أساسا اتصال ذا طبيعة خاصة وليست قومية أو متصلة بالدولة،ومن ثم كان متسما بأنه بين الحكومات. وهذا الاعتماد المتبادل أثر على هذه الحالة فى جانبين. أولا، زاد نطاق الأمور التى تؤثر فى المواطن بشكل فردى كما تؤثر فى الاقتصاد أو المجتمع ككل، زيادة كبيرة وهذه الأمور لسبب أو لآخر أصبحت من بين الاهتمامات المباشرة للحكومات. ثانيا، نما المكون الخارجى لحياة الأمة نموا كبيرا حتى إنه أصبح عاملا رئيسيا فى اهتمامات الحكومة، بصرف النظر فعلا عن مضمونه الدقيق المتعلق بما بين الحكومات. وبهذا كان التغيير له طابع النوع والدرجة معا.

ولهذا فإن التمييز بين ما هو بين الدول وما هو بين الحكومات لا يتعلق بمجرد جدل نظرى. فالإدارة الرشيدة للعلاقات الدولية تهتم بالمحافظة على العلاقات الدولية وتقويتها مع تجنب مصادر الخلاف والنزاع، ومن ثم البعد عن خطر الاحتكاك أو ما هو أسوأ بين الأمم. فأى مصدر للخلاف أو النزاع، مهما كان هذا المصدر غامضا، لابد أن يكون محل اهتمام المسئولين عن السياسة الخارجية وعن المحافظة على الأمن

والرفاهية فى البلاد. لقد استطاع الاعتماد المتبادل أن ينشر شبكته على نطاق واسع. وفى النماذج الدبلوماسية البسيطة، قد توجد مصادر الخلاف فى الأمور "السياسية" حصرا بطريقة أو بأخرى وفى السياسات الخاصة بها، والتى تتبعها حكومات استبدادية ذات سيادة تتسم بالسرية والتى تحكم البلاد باقتصاديات مكتفية ذاتيا إلى حد ما. وفى الظروف الدولية الأكثر تعقيدا قد تنشأ التوترات بسبب مشكلات اقتصادية. فالاقتصاد متعلق بالندرة. وحيث لا توجد ندرة، لا حاجة للاقتصاد. أما إذا وجدت الندرة، فإنه توجد منافسة بين الاستخدامات الممكنة ومستخدمى الموارد محل النقاش.

وباعتبار أن الحكومات أهم الشخصيات المعنوية فى العلاقات الدولية، فإنها لا تعبر فقط عن السياسات السياسية والاقتصادية المتنافسة، وإنما أيضا عن الاختلافات الايديولوجية والدينية. وقبل القرن العشرين انعكست هذه المنافسات والاختلافات فى العلاقات بين الحكومات. وفى مقال لافت للنظر ظهر فى صيف ١٩٩٣ فى مجلة الشئون الخارجية *Foreign Affairs* التى يصدرها مجلس العلاقات الخارجية، وجه الأكاديمى الأمريكى البارز البروفسور صمويل هانتنجتون **Samuel Huntington** السؤال التالى: هل نحن نواجه الآن "صدام حضارات"؟ **clash of civilisations**. ومن رأيه أن المصدر الأساسى للصراع فى السنوات القادمة لن يكون ذا طابع ايديولوجى أساسا أو اقتصادى أساسا: فالانقسامات الكبرى بين البشر والمصدر الغالب للصراع ستكون ذات طابع حضارى. وسيعم صدام الحضارات السياسة العالمية"(١).

وكما كان متوقعا،فإن اطروحة البروفسور هانتنجتون لم تمر بلا اعتراض. ومع هذا فإن رسالتها الأساسية رسالة لا يمكن للدبلوماسيين أن يتجاهلوها ببساطة. وقد استمرت الدول القومية والحكومات باعتبارهما فاعلين رئيسيين فى إدارة العلاقات الدولية. ولكن – كما سبق أن لاحظنا – يوجد الآن عدد كبير من الفاعلين. ولهذا يجب أن نفتح أذهاننا لأى من العوامل التى يجب أن تستحوذ على اهتمامنا قبل غيرها فى لحظة معينة. وربما كانت كلمة "دولى" تحتاج إلى إعادة تعريف، ينتقص من قيمتها ولا يكون تعريفا محايدا ، بحيث يوضح أنها "تميل ، أو قد تميل ، إلى التسبب فى صعوبات فى عالم قائم على الاعتماد المتبادل". وقد لاحظ أحد الخبراء بضجر قائلا: "إن الشئون الدولية هى شيء لعين يتلوه شيء لعين آخر." وقد وصف الروائى البريطانى المرموق إ. م. فورستر **E.M. Foster** السياسة الحديثة بأنها "برقيات وغضب".

الشئون الخارجية والداخلية

يمتد عدم الدقة في المعاني المتعددة التي تحيط بمصطلح "الدبلوماسية" وهو ما أشرنا إليه في المحاضرة الأولى، إلى مسألة التعريف – لأسباب تتعلق بالإدارة والعمل – بما هو مقصود بالشئون الخارجية ، التي عادة ما يكون هناك وزير رفيع المستوى أو وزير دولة مسئول عنها دستوريا. إن ما نتحدث عنه في الواقع هو المكون الخارجي للحياة الوطنية، والذي قد يسود في ظروف الاعتماد المتبادل الحديث. ومن هنا فإن المفهوم التقليدي بأن الشئون الخارجية هي تخصص قائم بذاته وشديد الغموض، ويمكن أن يبتعد عن باقي الشأن العام وأن يتم التعامل معه منفصلا عنه، هو مفهوم لم يعد بعد الآن يصمد أمام التمحيص النقدي. فقد وضح منذ ما يقرب من قرن أن عناصر هذا المكون الخارجي يجب النظر إليها في علاقتها بهذه الجوانب من العمل الداخلي المتصلة به، بمثل ما ينظر إلى عموم الشأن الخارجي الذي يعتبر وزير الخارجية المحرك الأساسي له والموصي له بكل تركته. وبمعنى آخر، على المرء أن يتناول الشئون الخارجية من وجهة نظر أنها "أمر يتعلق بشئون،ومن وجهة نظر أخرى على أن هذه الشئون أمر يتعلق "بالخارج" ومن هنا كانت ضرورة وجود جهاز فعال للحكومة لإدارة السياسة الخارجية، وهذا الموضوع سنعود إليه في المحاضرتين السابعة والثامنة. ولكن هناك وجهة نظر أخرى، وبخاصة مثلا في حالة الدول الصغيرة التي تدخل في تجمع دولي متكامل بشكل وثيق مثل الاتحاد الأوربي، حيث المكون الخارجي لا يمثل الذيل الذي يهز الكلب ولكنه يمثل الكلب نفسه.

ففي حالة المملكة المتحدة، يوحي هذا بتشابه عجيب مع الموقف قبل إنشاء وزارة الخارجية البريطانية عام ١٧٨٢(٢)، فقد تطور مكتب وزير الدولة منذ العصور الوسطى. وفي القرن السابع عشر كان هناك وزيران رئيسيان للدولة وكل منهما مسئول عن جوانب من الشئون الداخلية والخارجية معا. واعتبارا من عام ١٧٤٠ انقسمت مهامهما إلى مجالات جغرافية تقريبا، شمالية وجنوبية.وتمشى هذا بوجه عام مع تقسيم أوروبا إلى دول كاثوليكية وبروتستانتية خلال حرب الثلاثين عاما كانت الإدارة الشمالية تغطي الإمبراطورية الرومانية المقدسة وهولندا واسكندنافيا وبولندا وروسيا، بينما الإدارة

الجنوبية تغطى فرنسا ودول أمريكا اللاتينية وتركيا. وخلال القرن الأول الذى طبقت فيه "الدبلوماسية القديمة"، كانت السياسة الخارجية لبريطانيا تدار بما يتمشى مع السياسة الداخلية. ونتيجة لإصلاحات ١٧٨٢، تحولت الإدارة الشمالية لتصبح المكتب الخارجى (أو ما يعادل وزارة الخارجية - المترجم)، وتحولت الإدارة الجنوبية لتصبح المكتب الداخلى (أو وزارة الداخلية)، ولكن مع مسئوليته عن المستعمرات (وكان قد انخفض عددها إلى ١٣، نتيجة لحرب الاستقلال الأمريكية). وكان المبرر لتقسيم العمل هذا منذ ٣٠٠ عاما هو الحميمية بين مختلف جوانب المكونات الخارجية والداخلية للحياة الوطنية، مهما كان الإجمالى النسبى لأحد المكونات على الآخر. وكلما كانت هذه الجوانب معقدة كلما كان من الصعب تحقيق هذه الحميمية بشكل كاف.

عصر الرجل العادى والمرأة العادية

قد يبدو من الغريب وصف القرن العشرين،الذى شهد من قبل أهوالا لا يمكن تصورها عانى منها الفرد، بأنه عصر الرجل العادى والمرأة العادية. إن هتلر وستالين وحتى ماو لابد أنهم كانوا متنافسين على لقب "أعظم عدو للجنس البشرى". ومن المؤكد أن ما أحدثته حربان عالميتان، والوصول إلى الذروة بإلقاء قنبلتين ذريتين على اليابان، لا يمكن مقارنتها بالنسبة للبؤس الإنسانى، بأى معاناة سابقة للبشرية. فقد كان المزيج من التكنولوجيا والبيروقراطية والأيديولوجية أمرا مهلكا بوجه خاص. وكان القرن العشرون أكثر القرون دموية فى التاريخ. وعلى الرغم من أنه خلال الخمسين سنة الأخيرة نجت البشرية من أى تكرار للحربين العالميتين اللتين نكبتا النصف الأول من القرن، إلا أن عشرات الملايين من البشر لاقوا حتفهم نتيجة للصراع. واعتبر خطر التدمير النووى وتطوير أسلحة أكثر شرا للدمار الشامل وتحسين فاعلية الأسلحة الكيماوية والجرثومية،أبشع شهادة على تطبيق التقدم التقنى فيما يعود بالضرر وليس المنفعة على البشر. والإرهاب - وهو أصلا كارثة - يمكن أن يصبح أسوأ بكثير إذا استطاع أن يصل إلى الأسلحة المتقدمة جدا. والهجرة الإجبارية هى أوضح دليل على الحرمان المستشرى بين سكان العالم المتزايدين بسرعة.

ولكن ليست هذه هى القصة بأكملها. فالحياة لن تخلو أبدا من الخطر والعوز. كما أنه ليس من قبيل الاستنارة محاولة وضع صحيفة تستهدف المنفعة وتوازن بين الألم واللذة فى جيل واحد ومقارنته بجيل آخر. فاهتمامنا منصب على أبعاد إدارة العلاقات الدولية بالنسبة لخصائص المجتمع الدولى اليوم. وفى هذا الشأن يبدو الافتراض بأن عصرنا هو عصر الرجل العادى و المرأة العادية افتراضا أساسيا. وربما كان أهم جانب يختلف فيه المجتمع الدولى عن موقف "الدبلوماسية القديمة" إنما يتمثل فى وضع النساء ، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا. وقد شهد القرن العشرون خطوات واسعة،ليس فى التحرر السياسى والاجتماعى لنصف الجنس البشرى فحسب، وإنما أيضا فى وضعه الاجتماعى. فمنذ مائة عام مضت كان من الطبيعى التحدث عن "الرجل العادى" عند الإشارة إلى السكان ككل. أما اليوم، فإنه حتى مع تأكيد الذكور المتعصبين بأن كلمة "الإنسان" (ومعناها أيضا الرجل) man يجب النظر إليها على أنها تشمل "المرأة" إيضا، فإن هذه الجملة تبدو مزيفة بشكل واضح. وبالطبع هناك طريق طويل لابد من قطعه قبل أن يعتبر وضع المرأة مساويا للرجل، فى أى تعريف يكون مقبولا. ولكن التجمع الكبير فى بكين فى سبتمبر ١٩٩٥، بمناسبة المؤتمر الرابع للأمم المتحدة عن المرأة كان رمزا للتقدم الذى تم إحرازه بالفعل. وقد أشرنا إلى هذا الحدث بتفصيل أكثر فى المحاضرة الخامسة.

والافتراض بأن عصرنا هو عصر الرجل العادى والمرأة العادية يمكن تقسيمه إلى ستة افتراضات فرعية:

(أ) أصبح مصير ورفاهية الفرد، أكثر من أى عهد مضى، بمثابة بؤرة الاهتمام العالمى بصنع السياسات، بالنسبة للشئون الداخلية والشئون الدولية معا.

(ب) حققت حقوق الإنسان أولوية لم يسبق لها مثيل من قبل.

(ج) المدخلات غير الحكومية فى إدارة العلاقات الدولية أكبر من أى وقت مضى.

(د) متوسط مستوى المعيشة حاليا هو الأعلى فى التاريخ.

(هـ) على الرغم من أن الأصولية تعتبر دائما فى المناقشات السياسية مثيلا للتعصب والطغيان والإرهاب، فإنها لا يجب أن تعتبر مجرد مرادف للاغتراب أو التطرف. بل إنها إنذار بأن الأفراد هم الفيصل النهائى للسياسات.

(أ) بؤرة صنع السياسات :

إن أولى هذه الافتراضات الفرعية يعكس الخصائص البارزة "للدبلوماسية الجديدة"، والقرن العشرين الذى تخدمه، وهى الدور الذى بدأ الفرد يحتله فى أولويات صنع السياسات، قوميا ودوليا. وقد تم التأكيد على رفاهية الفرد فى ديباجة ميثاق الأمم المتحدة بشكل مباشر وواضح بعيدا جدا عن "الدبلوماسية القديمة". إن أفكار الديموقراطية والمسئولية الديموقراطية لها تاريخ طويل ومشرف. فإعلان الاستقلال الأمريكى يتحدث عن أن الحياة والحرية والسعى وراء السعادة هى حقوق لا يمكن التفريط فيها. ولكن فى أوروبا وفى الإمبراطوريات فى القارات الأخرى حيث السيطرة، كانت المسألة مسألة سيادة وخضوع أكثر منها حكومة مسئولة ومواطنين. ففى العالم القديم، والعالم الحديث نفسه، كانت العبودية هى البنية التحتية لمؤسسات الديموقراطية. وبعد التسامح المسموح به فى الفجوة بين الطموح (أو الهدف) والواقع، نجد أن "الدبلوماسية الجديدة" قد حققت الكثير لجعل الحاضر عصرا تكون فيه الحياة مجزية أكثر لعامة الشعب. و"الحكم الرشيد" "Good governance" هو تعبير عن قبول الذين تم انتخابهم للمسئولية الشاملة لإدارة الشئون لما فيه صالح الفرد وليس الدولة. واللازمة المرتبطة بقبول هذه المسئولية هى الاعتراف بأن القدرة على القيام بها بما فيه رضاء عامة الناخبين هو المصدر النهائى للشرعية الديموقراطية.

وهناك جانب من التركيز على الفرد وله أهمية خاصة فى إدارة العلاقات الدولية، وهو الاهتمام بالجانب الإنسانى. فالاستجابة الدولية السريعة والسخية للتخفيف من وطأة الكوارث، سواء أكانت كوارث طبيعية أم من صنع الإنسان، كانت مظهرا بارزا للعالم القائم على الاعتماد المتبادل. ويمكن أن نرجع كثيرا من الفضل فى هذا إلى التليفزيون، باعتباره وسيلة لقيامه بإذاعة الفظائع التى تصيب الإنسان نتيجة هذه الكوارث

إلى غرف المعيشة فى أنحاء العالم، مما يساعد على التحفيز لتوفير الموارد المالية لمساعدة جهود الإغاثة. ولكن هذا النبض من التعاطف الإنسانى ليس أمرا منعزلا أو سريع الزوال. فهو مرتبط بالجهود المطردة الضرورية لمساعدة جهود التنمية فى الدول النامية. فالتعاون فى التنمية الدولية عمل كبير ومركب. ومع هذا فإن الاحتياجات التى يتطلبها هذا التعاون تبدو أنها تتجاوزه.

وكذلك لا تعتبر الهموم الإنسانية شيئا منفصلا عن السياسة الاقتصادية وأنها مفروضة عليها بطريقة أو بأخرى . فهى كامنة فى الاتجاهات الاجتماعية، وقد افترض مؤسسو النظرية الاقتصادية وجودها شرطًا ضروريًا لتنفيذ توصياتهم. وقد وصف آدم سميث **Adam Smith** فى الصفحة الأولى لأطروحته العظيمة بعنوان "ثروة الأمم" ***Wealth of Nations*** بأنه "أستاذ سابق للفلسفة الأخلاقية فى جامعة جلاسجو". وكانت عقيدته الأساسية باعتباره فيلسوف أخلاقى تقوم على أن جميع مشاعرنا الأخلاقية تنشأ من "التعاطف"، الذى كما يقول "يقودنا إلى الدخول فى مواقف الآخرين فنتقاسم معهم مشاعرهم التى تستثيرها هذه المواقف"(٣).

(ب) حقوق الإنسان :

وحتى إذا اعتبر المجتمع الانسان بؤرة صنع السياسات،فإن هذا يختلف عن أن نضمن له أو لها الحريات الأساسية التى تجعل الحياة مجزية أكثر. فالإنسان لا يجب أن يكون مجرد أحد موضوعات اهتمام المجتمع، ولكن لابد أن يكون هو الأساس.

وبهذا المعنى، فإن القرن العشرين، بكل مثالبه، يستحق لقب عصر الرجل العادى والمرأة العادية. إن توافق الآراء الذى انعكس فى المداولات ونصوص تأسيس الأمم المتحدة ينص على أن الفرد ينبغى أن يطمح إلى التقدم الاجتماعى ومستويات أفضل وأن تقدم له المساعدة لتحقيق ذلك "فى نطاق حرية أوسع"(٤). من هنا جاء الالتزام بالتعاون الدولى فى "تنشيط وتشجيع احترام حقوق الإنسان للجميع دون تمييز بسبب العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين". وللمرة الثانية، فإن هذه المشاعر لم تظهر على

المسرح كاملة النمو. فهى نتاج قرون من الأفكار والضغوط والتضحيات. كما أن وضعها فى وثائق، مهما كانت جادة، ليس ضمانا لتنفيذها. ومع هذا فإنها تمثل، إلى حد غير مسبوق فى التاريخ، الغرض المعلن للمجتمع الدولى باحترام الفرد وتنمية إمكانياته.

(ج) المؤسسات الديموقراطية :

هناك مظهر رئيسى "للدبلوماسية الجديدة" هو أن يطبق على المجتمع الدولى مبادئ الديموقراطية وإقامة المنظمات للتعبير عنها، وخاصةً عصبة الأمم والأمم المتحدة. وفى الوقت الذى لا يمكن فيه الافتراض بأن إقامة هذه المنظمات كان يهدف فقط إلى دعم عصر الرجل العادى والمرأة العادية، فإن العمل الجيد للمنظمات الدولية الديموقراطية كان مع ذلك وثيق الصلة بالموضوع. فالديموقراطية فى الدول ذات السيادة، التى يمكن أن تضم دولا ذات طابع استبدادى لا يمكن – كما سبق أن قدمنا – أن تضمن حرية الفرد داخل هذه الدول الاستبدادية. ولكن ضغط الرأى العام الدولى يعزز الضغوط داخل كل دولة لضمان حقوق الإنسان واحترام الفرد. وبمعنى آخر فإن الرجل العادى والمرأة العادية لديهما مصدر للمساندة فى الخارج من نوع لم يسبق وجوده. فالحركة المناهضة للفصل العنصرى anti-Apartheid هى أبلغ مثال لهذا. فهذه المساندة كانت أيضا عاملا له أهمية كبرى للشعوب المضطهدة فى ظل الإمبراطورية السوفيتية السابقة. وهو ما ينطبق على كثير من الدول اليوم.

(د) المشاركة فى صنع السياسة الخارجية :

لقد أوضحنا وجهة النظر بأنه يوجد الآن عدد كبير من الفاعلين فى إدارة العلاقات الدولية. ومدخلات هؤلاء الفاعلين تختلف اختلافا بينا. فهذه المدخلات قد تكون مباشرة أو غير مباشرة. وهى مهمة باعتبارها عوامل تؤخذ فى الحسبان عندما تصنع الحكومات سياساتها، وهناك احتمالات أن تزيد أهميتها. وقد أشرنا إلى الأبعاد العملية فى المحاضرتين الرابعة والسابعة، وتتناول الأمم المتحدة وتشكيل السياسة الخارجية.

والنقطة ذات الصلة فى السياق الحالى ليست فى أن نطاق المشاركة الشعبية فى تحديد السياسة الخارجية أصبح أكبر فحسب، ولكن فى أن السياسات الحكومية القائمة على استشارات ومساندة شعبية مصيرها إلى الفشل أيضا. ويمكن النظر إلى معاهدة ماستريخت على أنها أشبه بحالة كتاب مقرر للاستشارات غير الحكومية فقد الصلة تماما برأى الناس العاديين.

وعلى الرغم من أن معاهدة ماستريخت لافتة للنظر باعتبارها مثالاً للمشاركة غير الكافية من جانب الناخبين، وهم مختلفون عن الحكومات، فقد طواها النسيان بانهيار الإمبراطورية السوفيتية. وانتهت سبعون عاما من القهر والتلقين والرعب، بنى خلالها جهاز من السيطرة غاية فى التعقيد، وتميزت النهاية بفشل الحكومات وانهيار النظام الذى حرصت على الدفاع عنه. ولم تتحطم الإمبراطورية السوفيتية بفعل قوى خارجية ولا حتى بثقل عدم كفاءتها. لقد قام الناس العاديون بتنحيتها جانبا.

(هـ) مستوى المعيشة والتنمية البشرية :

إن صلاحية الافتراض بأن عصرنا هو عصر الرجل العادى والمرأة العادية يحتاج إلى اختبار،ليس من ناحية التطلع أو الالتزام الجماعى فحسب، ولكن أيضا بالنسبة للنتائج. فقد حقق القرن العشرون نتائج باهرة. إذ ارتفعت مستويات المعيشة ولم يقتصر ذلك على العالم المتقدم،إنما تعداه إلى عدد من الدول النامية، بطريقة جعلت المستفيدين يشعرون بالامتنان بينما كانوا فى الغالب لا يميلون إلى أخذ الأمور على علاتها.

ولا يعنى هذا أبدا أننا نوحى بأن مشكلات الفقر والعوز فى العالم قد تم حلها. فهذا أبعد ما يكون عن الواقع، ولكن الاحتمالات الاقتصادية والفنية وحتى السياسية ما تزال ماثلة حتى الآن بحيث يمكن الوصول إلى الحد الأدنى من المستوى المقبول للوجود فى متناول سكان العالم المتزايدين ككل. ويتمثل أحد أهم التطورات فى السنوات الأخيرة فى نمو النشاط الاقتصادى فى أكثر دول العالم ازدحاما بالسكان وهى الصين والهند.

وقد وصل معدل نمو إجمالى الناتج القومى للصين فى السنوات العشر الماضية إلى حوالى ١٠ فى المائة سنويا. ووصل المعدل فى الهند عن الفترة نفسها إلى أكثر من ٥ فى المائة وهو إنجاز ملحوظ طبقا للمستويات التقليدية للاقتصاديات الغربية. وهاتان الدولتان تضمان معا ثلث سكان العالم، ومن ثم يفترض أنهما تواجهان صعوبات لا حل لها بسبب مجرد عدد السكان وحده. وقد قيل إن أغنى إقليم صينى وهو كانتون الجنوبية كانت قد وعدت بالقضاء على الفقر بحلول عام ١٩٩٧عندما تعود للصين جارتها هونج كونج، التى تتمتع بأكبر دخل للفرد فى العالم. وإذا كانت الصين والهند قد استطاعتا تحقيق تقدم كبير، فإن مناطق الفقر المدقع فى أجزاء أخرى من العالم، وخاصة فى أفريقيا تطرح على المجتمع الدولى مشكلة أقل تطابقا.

وهناك التنبوءات متفائلة متكررة عن احتمالات النمو طويل الأجل لإجمالى الناتج المحلى ودخل الفرد فى العالم. وحسب أى تحليل "موضوعى" فإن هذه التبوءات، إذا كانت أقرب إلى الدقة فى أى مكان، فإنها ستولد الموارد لسد احتياجات مستوى كريم المعيشة للجميع. ومع هذا فإن أهم جملة هنا هى "التحليل الموضوعى". فكلما ارتفعت المستويات ارتفعت التوقعات. ويحدث الشىء نفسه لمدى المقبولية فيما يتعلق بما يشكل مستوى معيشة مقبول. فالمشكلة ذاتية كما أنها موضوعية.

وبالطبع فإن مستوى المعيشة ليس هو مسألة دخل الفرد وحده. فميثاق الأمم المتحدة، كما سبق أن ذكرنا، تحدث عن التصميم على "دعم التقدم الاجتماعى والمستويات الأفضل للمعيشة فى حرية أكبر"، وبمفهوم أوسع. وفى السنوات الأخيرة قام البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة بمزج مؤشرين آخرين – تعليم الكبار وتوقع الحياة – مع القوة الشرائية لإصدار دليل للتنمية الإنسانية. وفى عام ١٩٩٥ قدم البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة، فى سياق مؤتمر الأمم المتحدة للمرأة فى بكين مؤشرين جديدين لدراسة النوع الاجتماعى والتنمية،الأول هو دليل النوع الاجتماعى،الذى يتواءم مع دليل التنمية الإنسانية بحيث يظهر الاختلاف بين الرجل والمرأة. والمؤشر الثانى هو مقياس تمكين النوع الاجتماعى، الذى يقيم تقدم المرأة من الجانبين الاقتصادى والسياسى. وكلا المؤشرين يشيران إلى أن عدم المساواة فى النوع الاجتماعى Gender (أى فى الأدوار الاجتماعية للرجل والمرأة – المترجم) هو ظاهرة عالمية.

وقد علق المؤرخ ارنولد توينبى Arnold Toynbee بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بقليل بأن عصرنا هو أول جيل منذ فجر التاريخ تجرأ فيه الجنس البشرى فى إيمانه بأنه من العملى توفير مزايا الحضارة للجنس البشرى بأكمله. ويعتبر من قبيل التكهن ما إذا كان توينبى ومعاصروه سيشعرون بالثقة نفسها فى هذا الاحتمال إذا كانوا قد علموا أن سكان العالم سيزيد بأكثر من الضعف قبل نهاية القرن. ومع هذا فإن ما حدث قد دل على أن طموحات خمسين عاما مضت لم تكن فى غير موضعها تماما.

فقد تحدث توينبى عن مزايا الحضارة، وهو مفهوم أوسع من مستوى معيشة أفضل، حتى عندما يؤدى إدراج أدلة كيفية مثل دليل التنمية الإنسانية إلى تكملة المعايير الاقتصادية البحتة. ووجهة النظر هذه تستحق التأمل. فالارتفاع فى مستوى المعيشة قد لا يكون خيرا مطلقا، فهو أقل إشباعا عندما يتم تناوله اعتباره وسادة، ويؤدى إلى انهيار فى الكفاءة والحيوية التى أنتجها لأول وهلة. ويمكن للأمن الاجتماعى أن يبطل الدافع للإسراف والاستعداد لتقديم تضحيات. إن إتاحة القروض على نطاق واسع يخدم العملية الإنتاجية بلا شك، ولكنه قد يعطى الإشباع أولوية على حسن التدبر. فالمديونية الطوعية قد تكون مؤذية فى آثارها مثل المديونية غير الطوعية. والنزوع إلى الاستهلاك مسألة تتعلق بالتركيز على الذات. وما يشار إليه بشكل ممتع على أنه "روح الرواد الأوائل" وهو الشعور بأن الجهود التى سبق أن بذلها الأجداد تبرر سهولة الحياة التى ينعم بها الأحفاد – هو مثال كلاسيكى للنجاح الذى يحمل معه بذور فنائه. وبشكل إجمالى، فإن الارتفاع السريع فى مستوى المعيشة قد يواكبه انهيار فى الفضائل المدنية التقليدية، وفقدان الهدف المشترك والإيمان. ولا يمكن أن نسمى ذلك تقدما.

وذات يوم كانت كلمة التغريب (Westernisation أو إضفاء الصبغة الغربية) مرادفة للتقدم. ولكن النصف الثانى من القرن العشرين شهد هذا القبول الآلى فى ظل مزيد من التحدى. كما أنه فى ظروف الاعتماد المتبادل الحديث، فإن سلطة الدولة تشكل عقبة فى سبيل التقدم فى بعض الجوانب،أكثر منها مصدرها الوحيد كما كان الحال فى القرون الماضية – وقد بحثنا هذه النقطة فى المحاضرة الثالثة – ولهذا توجد مقاومة متزايدة للمعادلة المبسطة بربط التغريب بالتقدم. وقد حدث انبعاث جديد لما هو معروف "بالقيم الآسيوية"، وتم التعبير عنه باقتصاديات ناجحة للغاية للدول المطلة على المحيط

الهادى. ويقول سفير سابق لسنغافورة: "الديموقراطية إحدى الفضائل فى سلة من الفضائل التى لها وزنها". ومن غير المحتمل أن يكون المقابل الآسيوى للديموقراطية هو نفسه النموذج الغربى(٥). فهو يركز أكثر على السلطة والخير المشترك. وقد كتب مستر ديفيد هاول David Howell – رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس العموم – نشرةً بعنوان "التشريق أو إضفاء الصبغة الشرقية"(٦). فيجب أن يكون واضحا لدى الغرب سبب تبنى قيم "كونفوشيوس"، وخاصةً ما يتعلق منها بتأكيد الوشائج الأسرية المتينة، التى يرى مستر هاول أنها ليست مظهرا بارزا للمجتمعات فى شرق آسيا فحسب، ولكنها أيضا عنصر رئيسى لنجاح اقتصادياتها. وعلى أية حال، فإنه من الفطنة بالتأكيد توقع بعض ردود الفعل السلبية فى الغرب، إن لم يكن أيضا فى أماكن أخرى، لما يعتبر انهيارا للفضائل المدنية، ونموا للتجاهل الفاضح للالتزامات وتركيز مبالغ فيه على الحقوق التى يبدو أن "التقدم" يسمح بها،إن لم يكن يشجعها فى الواقع.

(و) الأصولية Fundamentalism والقدرة على استيعاب التغيير :

إن خبرة الحياة لا توحى بأن التقدم سيكون خاليا من العقبات أو المساوئ. فمن الواضح أن التطورات العظيمة للقرن العشرين بما فى ذلك "الدبلوماسية الجديدة" قد جعلت مصير الفرد مجزيا أكثر، إلا أن هناك ثمن لابد من دفعه. ما هو الخطر الرئيسى الذى يجب على المهتمين بصنع السياسة الخارجية أن يأخذوه فى الحسبان؟ ربما كانت الإجابة البسيطة هى: "هل أسباب الضيق والعناء التى فرضها التغيير السريع على الناس، وخاصةً التغيير المستحدث من الخارج الذى يشعر أولئك الذين يقاسون من هذا العناء بأنهم لا سيطرة لهم عليه"، من الواضح أن التغيير أحدث تأثيرا متفاوتا على أولئك الذين تأثروا به، فقد تسبب فى العناء والضيق داخل العائلات وداخل المجتمعات المحلية وبين الأجيال وبين المهن. وقد ينظر إليه على أنه تهديد للقيم الراسخة. وسيكون التهديد أعظم إذا نظر إليه على أنه شكل من أشكال العدوان من الخارج، حتى وإن كان قد اتخذ طابعا ثقافيا أو اقتصاديا وأكثر منه عسكريا. والتغيير يجب أن يتمشى مع الميول الفطرية وليس ضد هذه الميول، فالناس يحتاجون إلى

الجذور، ويحتاجونها حتى يتغذوا. ويعتبر الارتباك والاستياء من أعراض التغيير الذى يتم دون اعتبار لمشاعر السخط.

وعلى ضوء هذا يمكن "للأصولية" أن تكون مصطلحا مضللا، وخاصةً أنه غالبا ما يستخدم فى مناقشة الإرهاب والروح القتالية. ومع هذا فإنه ليس مرادفا للشعور بالاغتراب أو العنف أو التطرف. وهو أقرب أن يكون تحذيرا مفيدا بأن القدرة على استيعاب التغيير غير متعادلة. فالتغيير السريع قد يثير رد فعل قويا ومذهلا. وبالنسبة لصانعى السياسات فإن الأصولية هى تذكير بأن القيم الأساسية يجب أن تحترم، وأن الرجل العادى أو المرأة العادية هما مستودع لهذه القيم الأساسية، مهما كان عدم الوضوح فى تعبيرهما فى أى موقف معين، وأن المواطن الفرد ، بصفته مستودعا للقيم الأساسية، فإنه من المحتمل أن تكون له الكلمة الأخيرة.

الضغط الواقع على الحكومات لإرضاء جماهير ناخبيها :

النتيجة العلمية لكل مظاهر المجتمع الدولى اليوم – مثل الاعتماد المتبادل والتعقيد والتغيير السريع والمعلومات الآنية والتأثير المشترك ليس للدول فحسب ولكن أيضا للثقافات بل والحضارات – يجعل مهمة الحكومات شديدة الصعوبة فى المجال الخارجى والمجال الداخلى أيضا. فالقضايا التى على الحكومات أن تتناولها والإجراءات التى يجب أن تتخذها تكتنفها صعوبات كبيرة ومتزايدة. ومع هذا يجب أن يضاف إلى ذلك العنصر الأكثر ذاتية، فى الدول الديموقراطية على الأقل، للناخبين الأكثر إلحاحا والأقل صبرا، بما يعكس قدوم عصر الرجل العادى والمرأة العادية. فالناخبون يطلبون المزيد والمزيد من حكوماتهم فى الوقت الذى يزداد عجز الحكومات عن الاستجابة لمطالبهم. فالتطلعات المتزايدة للناخبين تواكبها تزايد الضعف الحكومى. ومن المفهوم سبب ادعاء المنتخبين للحكم، من آن لآخر، بأن البلاد "لا يمكن حكمها".

واحتمال عدم الاستقرار فى مثل ما يقدمه هذا الموقف لا يحتاج إلى تأكيد. ومع ذلك لا يعنى هذا الإيحاء بأنه لا توجد غير نتيجة واحدة وهى إنكار الناخبين المتزايد "لشرعية" الحكومات الوطنية. فالفشل المتكرر الواضح للحكومات قد لا يؤدى

فقط إلى الاستهتار بالحكومات والسياسيين ولكن أيضا إلى إدراكٍ أكبرٍ لمقدرة الحكومات على تلبية التوقعات المتزايدة. وعلى الأقل هناك افتراض مقنع فيما يبدو بأن هناك فجوة متنامية بين الخدمات المطلوبة من الحكومات الوطنية من جهة، وبين الخدمات التى تقدمها بالفعل من جهةٍ أخرى، وأن هذه الفجوة ستشجع إدراك أن توفيرها حكوميا ليس دائما هو الحل. فجوهر سياسة الحرية وعدم التدخل قائم على أساس أنه لكى تحكم بطريقة أفضل من الضرورى أن تحكم بالحد الأدنى. وهذه السياسة فى الماضى قد تكون ركزت الاهتمام على التخلص من القيود على حرية الفرد. ولكن هذا المبدأ ينطبق أيضا على الإدعاء بتنظيم كل شىء مركزيا بما يستتبع ذلك من فرض معدلات عالية من الضرائب. فالحكومة "الكبيرة" باعتبارها المورد الشامل (للخدمات) ربما تكون قد وصلت إلى ذروتها فى الستينات. وربما يكون هناك ميل مرة أخرى لصالح المجتمع المدنى، وهو مفهوم مفاده أن المواطنين يتكفلون بحياتهم، مع توقع بأن الحكومة لا تفعل أكثر من ضمان الأمن والإمساك بالجرس (لدقه عند الخطر). والمجتمع المدنى الدولى هو امتداد للمدخل نفسه(٧).

نظام عالمى جديد أم فوضى ؟

أدت عملية الأمم المتحدة عام ١٩٩١ المعروفة "بعاصفة الصحراء" لطرد العراق من الكويت، والتى جاءت بسرعة فى أعقاب انهيار الكتلة السوفيتية ونهاية الحرب الباردة، لإنعاش الآمال فى نظام عالمى جديد. وهناك مراجع عن "نهاية التاريخ"(٨)، تمثل النصر "النهائى" للديموقراطية الليبرالية واقتصاد السوق على الشمولية والاشتراكية. وهذا التفاؤل - أو بالأحرى الشعور بالانتصار - سرعان ما تم الاعتراف به باعتباره مؤشر. وكان مصير يوغوسلافيا السابقة أبلغ دليل على تهديد الفوضى العالمية الجديدة، أكثر منه النظام العالمى الجديد. فقد حاصر الصرب من البوسنة: سراييفو فى إبريل ١٩٩٢، مع إعلان نيتهم على "خنقها". وهناك مثال مرعب لما حدث. فهناك إغراء - من زاوية الحقبة التاريخية وليس الوحدة الزمنية التحكمية - باعتبار بداية القرن العشرين فى ٢٨ يونيو ١٩١٤، عندما اغتيل ولى عهد عرش هابسبرج فى سراييفو على يد إرهابى من

الصرب، مما أدى إلى نشوب الحرب العظمى. ويمكن اعتبار أنها انتهت أيضا فى سراييفو فى إبريل ١٩٩٢ . وبمعنى آخر فإن القرن الواحد والعشرين سيرث قلاقل ناتجة عن نهاية الحرب الباردة وخلط متزايد بين نظام الدولة والاعتماد المتبادل. ودلائل المستقبل فى هذا التحليل كئيبة. فقد نواجه احتكاكا وسخطا لا نهاية لهما دون أن تكون هناك أرضية مشتركة ووسائل لمواجهتها بشكل جماعى.

ولكن هذه النظرة التشاؤمية يجب ألا تمر بلا تحدٍّ. فالمجتمع الدولى لابد أن يتعلم أن ينظم نفسه ليتعامل مع الموقف الذى يواجهه. فإذا نجحت اتفاقية السلام بين البوسنة والهرسك، واعتبر أن القرن العشرين قد انتهى،ليس فى إبريل ١٩٩٢ بنية صرب البوسنة على "خنق" سراييفو، ولكن فى ١٤ ديسمبر ١٩٩٥، عندما وقعت اتفاقية السلام فى باريس، فإن القرن الواحد والعشرين سيكون مشجعا بشكل أكبر بكثير. وهذه النقطة نوقشت باستفاضة فى ملحق المحاضرة السادسة. ولكن مهما كان الإرث المعين الذى يورثه القرن العشرون للقرن الواحد والعشرين، فإن عناصر صنع السياسات الفعالة يمكن إدراكها. وأهمها : الواقعية والرغبة فى مواجهة حقائق غير مقبولة. وقد علمتنا السنوات الخمس الماضية أن اليقظة التى ميزت السياسة الخارجية منذ عام ١٩٤٥ أمر لا غناء عنه. بل إن سرعة التغيير جعلتها أكثر ضرورة عن ذى قبل. وقد قيل :"إن الطبيعة تكره الفراغ". كما أنها تكره المبالغة فى تبسيط الأمور. فالتغيير السريع نادرا ما يكون بسيطا. وعلم الأرصاد الجوية يقدم لنا بصيرة ذات صلة. ومشاهدو التلفاز يألفون خطوط تساوى الضغط الجوى، وهى خطوط على خريطة تربط بين نقاط لها ضغط بارومترى متساوٍ، وتطبيق هذا التشبيه على الجو السياسى واضح. ففى أحوال التغيير السريع لابد أن نتوقع جوا سياسيا عاصفا.

ثانيا: الشدائد يمكن أن تساعد فى تحفيزنا على أن نحصى ما نحن فيه من نعمة. والتحليل الاقتصادى يقول بأن الافتراض بأن قيمة أى سلعة أو خدمة يمكن الحكم عليها حكما سليما عندما يكون هناك تهديد بفقدها. وهذا صحيح بالنسبة للسياسة مثلما هو صحيح بالنسبة للاقتصاد. فما الذى يمكن أن تقدمه الفوضى؟ إن الخطر ليس كبيرا، فعندما يواجه الناس الاختيار، فإنهم لن يختاروا الفوضى أو اللانظام ويتركون النظام. ولكن المسألة هى أنهم لن تتاح لهم فرصة الاختيار، لأنه فى أحوال

انهيار النظام فإن أولئك القادرين على وضع سياسات مقبولة لاستعادة الوضع قد لا يكون لديهم الحافز ولا الهياكل التى تساعدهم على تنفيذ هذه السياسات. "فكل ما هو ضرورى للشر لينتصر هو امتناع الناس الصالحين عن عمل أى شىء."(٩) والعقدة الجوهرية للعلاقات الدولية، كما فى الديموقراطية داخل الدول ، تتمثل فى استخدام خبرة الماضى فى خدمة إدارة الحاضر والمستقبل، وخاصةً فى تغذية المؤسسات التى تنعم بتأييد شعبى وتسهل التغيير السلمى.

ثالثا: إن خبرة خمسين عاما من السلام تشجع الرأى القائل بأن "الديموقراطيات الليبرالية لا تحارب بعضها البعض". ومن حقنا أن نستمد بعض الارتياح فى هذا الشأن من عملية "الدبلوماسية الجديدة". ولكن يحكم هذا الارتياح الإدراك بأن الوطنية يمكن أن تأخذ أشكالا عنيفة عندما تثور. فالعدوان من أساسيات الطبيعة البشرية لدرجة أنه لا يمكن الافتراض الآمن بأنه يمكن طرد الأرواح العدوانية بمجرد تطبيق الديموقراطية. وعلى أى حال، فإن الأخطار الأفدح اليوم لا تنشأ فحسب من الصراع بين الدول بقدر ما تنشأ فى داخلها. ومع هذا فإن الافتراض يستحق الدراسة، ما دام صحيحا،لأنه مؤشر مهم على الأولويات التى يجب على المجتمع الدولى أن يأخذ بها من أجل الصالح المشترك.

الديموقراطيات الليبرالية لا تحارب بعضها البعض :

كثيرا ما يقال إن الحرب بين دولة معينة ودولة أخرى "أمر لا يعقل". وفى حالة دول أوروبا الغربية، مثلا فإن التفسير هو أن ما أحدثته الحرب العالمية الثانية من وحشية ودمار كان من الفظاعة بحيث يمكن أن يكون كافيا لكبح أى شعور عدوانى طبيعى لأجيال قادمة. ولكن الطبيعة البشرية لا تتغير بشكل قاطع فى فترات زمنية قصيرة. ومع هذا، فإن المؤسسات، حتى وإن لم تغير الطبيعة البشرية، فإنها يمكن أن تؤثر على طريقة سلوك البشر، فرديا وجماعيا. والحقيقة أن مدى اعتراف المؤسسات بالصفة الراسخة للطبيعة البشرية، بما فيها من نقاط الضعف والقوة، يمكن أن تكون مقياسا يعتمد عليه لفاعليتها. هذه الاعتبارت كانت الركيزة التى قام عليها المدخل للأمم المتحدة

والاقتصاد العالمى والهندسة المعمارية الأوروبية وهو ما استعرضناه فى المحاضرات الرابعة والخامسة والسادسة على التوالي. وهناك نوع من السخرية فى أن تطبيق مبادئ الديموقراطية على العلاقات الدولية لا يمثل محاولة مباشرة لإيجاد حل للسلام بين الدول بقدر ما هو نتاج فرعى لتطبيق هذه المبادئ داخل الدول. ويوضح هذا فكرة أن الدول تفكر طبقا لقيمها الأساسية، وهى فى معظمها داخلية، عندما تدير علاقاتها الدولية. وفى الماضى كان الغالب الأعم أن لهذه القيم الأساسية تأثير غير حميد على العلاقات الدولية. أما مع الديموقراطية فإن التأثير حميد بشكل قابل للإثبات.

والعمليات الديموقراطية الداخلية، إذا طبقت على إدارة العلاقات الدولية، فإنها تكون بمثابة مستوعب للصدمات عندما تنشأ الصعوبات. وستقدم عرضا محسوبا للسياسة التى يجب اتباعها. وهذه العمليات لن تشجع الخديعة والاستفزاز ولكنها ستلهم الثقة والرغبة فى البحث عن حل وسط مفيد للجميع. وهى تعكس الإدراك الذكى للمصلحة الذاتية فى عالم يتسم بالاعتماد المتبادل. فالحرب مدمرة جدا حتى إن المنتصرين – إذا كان هناك منتصرون – سيكونون قلة على حساب الكثرة. والغالبية – إذا منحوا الفرصة – سيمنعون اللجوء للحرب. فالغنائم التى أدت بهم إلى الحروب فى الماضى – مثل الوصول إلى الثروات والمجال الحيوى والمياه والأراضى الخصبة ومصادر الطاقة مثلا – يمكن اعتبارها إما من الصعب الحصول عليها بالقوة، أو الحصول عليها بسهولة بالوسائل السلمية. وكما أن النزعة التجارية،التى تفترض أنه من الممكن أن تكسب من التجارة على حساب الآخرين فقط، قد حل محلها نظرية التجارة الدولية الأكثر تعاونا والقائمة على المنفعة النسبية، فكذلك استبدلت السياسة العملية Realpolitik (غير المستندة إلى اعتبارات أخلاقية أو عقائدية – المترجم) بالمصلحة الذاتية المستنيرة.

ولكن هل هذا هو السؤال: من ظهر أولا الدجاجة أم البيضة؟ هل بداية الاعتماد المتبادل، المتميز بسلسلة من "غزوات" الواجهة السياسية التى شرحناها فى المحاضرة الأولى، قد استغنى عن معظم – إن لم يكن كل – الأسباب التى جعلت الناس يحاربون فى الماضى؟ هل هو الاعتماد المتبادل كما نعرفه الذى يجعل إقامة المؤسسات الديموقراطية أمر حتمى لأسباب متعلقة بالإدارة ؟

من المرجح أن الإجابة عن كل هذه الأسئلة هو "نعم، ولكن...". فالديموقراطية قد تكون " أسوأ شكل ممكن من أشكال الحكم باستثناء أى شكل آخر تمت تجربته." ولكنها المفتاح لإدارة الاعتماد المتبادل عل الصعيد العملى على الأقل، على الرغم من أية تحفظات قد تصدر من جهات عديدة،على الصعيد الفلسفى. فحكمة "الدبلوماسية الجديدة" تتمثل فى استخدام المؤسسات لتحقيق توافق الآراء بالنسبة للعملية، واحتواء أية خلافات قد تتعلق بالجوهر.

(٣)

السيادة الوطنية وحدودها

تناولت المحاضرة الأولى تطور الدبلوماسية، باعتبارها وليدة زمانها، من "الدبلوماسية القديمة" إلى "الدبلوماسية الجديدة"، استجابةً لموجات التغيير التى أتت بالاعتماد المتبادل الحديث. وتستعرض المحاضرة الثانية طبيعة المجتمع الدولى اليوم، مع الأمور الغامضة التى خلقتها بسبب عدم التناسب بين وقائع الاعتماد المتبادل من جهة، والمسئوليات التى ما تزال مع ذلك ملقاة على عاتق الحكومات من جهة أخرى. وعدم التناسب هذا يؤكد نفسه فى كل شىء. وهو يؤدى إلى تفاقم صعوبات سياسة الحكم التى هى أصلا كثيرة. ومن المحتمل أن تصبح أكثر إلحاحا. ونتائجها للإدارة العملية للسياسة الخارجية بعيدة المدى. ويمكن تحليلها بشكل مناسب بالرجوع إلى مفهوم السيادة، وهو مصدر السلطة التى تمارس به الحكومات سلطتها. وهذه المحاضرة ستتناول قضية السيادة فى أربع مراحل:

(أ) السيادة فى الداخل .

(ب) السيادة فى علاقتها بأنواع السيادة الأخرى .

(ج) السيادة فى النظام الدولى .

(د) السيادة وحدودها .

السيادة فى الداخل :

كما سبق أن شرحنا، كانت "الدبلوماسية القديمة" نتاج النظام الدولى الذى ظهر مع سلام وستفاليا عام ١٦٤٨ . وكان جوهر هذا السلام هو "الدولة – الأمة" nation-state.

وكان جوهر "الدولة – الأمة" بالتالى هى السيادة بمعنى "السلطة المطلقة والمستقلة". ومع هذا فإن النتيجة الحتمية للاعتماد المتبادل أن يتم إدخال تعديلات كثيرة على هذه المقولات حتى تعكس حقائق القرن الواحد والعشرين وليس القرن التاسع عشر.

وفى المقام الأول يوجد قدر كبير من المناقشات عن حقيقة مفهوم "الدولة – الأمة". فمن الواضح أن هناك تطابقا اليوم بين مفهوم الأمة nation ومفهوم الدولة state أكثر مما كان عليه الحال منذ مائة عام مضت. فالاختبار العملى للمواطنة nationhood اليوم ليس هل الناس يدينون بالولاء برضاء أو غير رضاء للدولة والعاهل، ولكن هل الناس يشعرون بنوع من التماثل مع أولئك المسئولين سياسيا. فالمواطنة بمعنى آخر مرتبطة بشكل من الانتماء – مع روابط جغرافية أو لغوية أو عرقية أو ثقافية أو عقائدية أو دينية – وهو تعريف ينطبق على الأقليات داخل الدول كما ينطبق على الأمم. ويقال إن الأمة هى مجموعة من الذاكرة ومن ثم مجموعة من الولاءات التى تتولد عن الذاكرة. والدولة – بهذا المنظور، هى شىء نفعى إلى حد كبير. فهى وسيلة لتوفير الخدمات المشتركة الجوهرية مثل الأمن، والقانون والنظام، والسلع الاجتماعية. والمبرر النهائى لها هى قدرتها على توفير هذه الخدمات المشتركة الجوهرية، بالإضافة إلى إدماجٍ كافٍ للصلات والولاءات المرتبطة بالمواطنة.

وقد أكدت الزيادة الضخمة فى عضوية الأمم المتحدة التى أحدثها تقرير المصير والقضاء على الاستعمار: التطابق بين "الأمة" و"الدولة" فى التعريف الذى سبق أن استخدمناه. كما أنها أكدت أيضا المدى الذى تعتمد عليه فكرة الدولة بشكل أقل على توفر المعايير الرسمية وبشكل أكثر على الرغبة العملية للدول الأخرى لمنح الاعتراف للكيان المطروح (للانضمام إلى عضوية الأمم المتحدة). فالتفاوتات كبيرة بين الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة. ولكن لا يوجد احتمال حقيقى فى المستقبل القريب فى استبدال الدولة باعتبارها وحدة أساسية لإدارة العلاقات الدولية. ولهذا فإن المطلوب هو أن يؤخذ فى الاعتبار الحدود التى تحدها.

وهذه الحدود يمكن فهمها بطريقة أفضل، كما اقترحنا فى بداية هذه المحاضرة، فى علاقتها بمفهوم السيادة. فتعريف السيادة الذى ذكرناه آنفا هو أنها "السلطة

المطلقة والمستقلة". ومع هذا، هناك عدد من المعانى للمصطلح. فالسيادة يمكن أن تعنى، من بين أشياء أخرى:

(١) التفوق أو التميز بالنسبة للامتياز والكفاءة .

(٢) التفوق بالنسبة للسلطة أو السيطرة أو الرتبة .

(٣) السيطرة أو السلطة أو الحكم بشكل فائق .

(٤) وضع أحد الملوك .

(٥) القوة المهيمنة العليا فى المجتمعات التى ليست تحت الحكم الملكى .

(٦) أقلية تحت حكم حاكم ذى سيادة .

والمعنى فى (٦) على الرغم من أنه محدود إلا أن له علاقة مباشرة بالسياق الحالى، ما دامت تعتبر حرمة الأراضى، بشكل طبيعى، صفة رئيسية للسيادة. ومن هنا فإن اجتياح الأراضى يعتبر أحد المصادر الواضحة للافتئات على السيادة الوطنية. ومع هذا فإن المعنى فى (٥) يعكس بوجه عام اهتمامنا الأول، أى ممارسة سلطة مطلقة ومستقلة على أيدى قوة مسيطرة عليا. وهذه القوة قد لا تكون فرد حاكم، ولكن حكومة منتخبة، تخضع لضغوط مستمرة ومتعددة وكذلك موافقة انتخابية دورية. فالسيادة وضعت فى شكل تفويض.

والمعانى فى (١) حتى (٤) تصور صفات السيادة التى ارتبطت فى الماضى بالملوك أكثر منها بالحكومات الدستورية. ومفهوم السيادة بالطبع يسبق بوقت طويل نظام الدولة – الأمة، وكان يعنى أشياء عديدة. فهو لا يمكن أن يعنى الكفاءة بالمعنى الإدارى فحسب، ولكن أيضا الامتياز، والذى له طابع معيارى، وقد ارتبط مرارا وتكرارا بالأشخاص أكثر من ارتباطه بالمؤسسات. وإلى هذا الحد يمكن أن يأمل فى أن يحصل على ولاء كامل من رعايا صاحب السيادة. ويمكن أن يعنى الخضوع للقوة السائدة، بما يعنيه ذلك من أن القوة هى الحق، أو أن الملكية هى – كما يقول المثل – تسعة أعشار القانون. ومع هذا، ففيما يتعلق بأنها تعنى احترام الوضع الراهن *status quo*، فقد يكون الأمر هو توقير لشخص صاحب السيادة أكثر منه خوف من أولئك

الذين يزاولون السلطة. وإذا أخذناها إلى نتيجتها المنطقية، فيمكن أن تعنى الحق الإلهى للملوك. فبعد أقل من عام بعد سلام وستفاليا، كان الإنجليز يقطعون رقبة أحد ملوكهم الذى اعتنق هذا الحق ليس بحكمة ولكن بطريقة جيدة أكثر من اللازم. وكان أحد معاصريه فى فرنسا، وهو لويس الرابع عشر يشعر بالقلق - ومعه حق - بالنسبة للألوهية. وبالنسبة له كانت "الدولة هى أنا". *l'état c'est moi*. فالحق الإلهى الذى ادعاه ملوك أوروبا نبع أصلا من تقاليد مسيحية أوروبية مشتركة. ومع هذا فقد كان خاضعا لقانون أخلاقى نابع من المصدر نفسه. وجزء مقابل للحقوق المستمدة من سيادة أصحاب السيادة، فإن عليهم التزامات سواء نحو نظرائهم أو من يتحكمون فيهم. وأدت حركة الإصلاح الدينى Reformation (فى القرن السادس عشر بأوروبا - المترجم) والانقسامات العميقة فى العالم المسيحى التى أعقبتها إلى كسر هذا النموذج المعين من الحقوق والالتزامات. وسنعود فيما بعد فى هذه المحاضرة إلى الأبعاد العميقة لهذا التمزق فى إدارة العلاقات الدولية.

ومع هذا، فإن اهتمامنا الأول ينصب الآن، كما سبق أن ذكرنا آنفا، على المعانى فى (٥) و (٦). فالسيادة تمارس فى كل جوانب حياة الأمة، بما فى ذلك مكونها الدولى. ولكن فى الواقع، كم من السلطة يتمتع به "صاحب السيادة"؟ وكيف ستمارس هذه السلطة فى إدارة السياسة الخارجية؟ إذا كانت هذه السلطة مطلقة، فإن ممارستها فى المكون الخارجى لحياة الأمة يمكن أن يمثل صفقة رابحة أقل تعقيدا عما إذا كانت السلطة أكثر خضوعا للرقابة الديموقراطية. فالعمليات التى ستمارس من خلالها ستكون أقل تعقيدا، والغايات التى ستوجه إليها قد تكون أقل تنوعا، وستكون درجة الاهتمام الشعبى ومناقشة الجوهر والعملية أقل وضوحا. ولكن إذا كان المجتمع يتميز بالاهتمام بالديموقراطية، واحترام حقوق الإنسان وتحقيق الحكم الرشيد، وهو اهتمام لا يمكن لمن يتولون الحكم إلا أن يستجيبوا له، فإن القيود على السيادة ستكون أكبر بكثير. وفضلا عن ذلك، فإنه إذا كان المكون الخارجى لحياة الأمة كبيرا، وهو ما قد يكون عليه الحال فى عالم اليوم القائم على الاعتماد المتبادل، فإن تعقيدات الإدارة الجيدة تتوقف على درجة اهتمام هيئة الناخبين بالأحوال السائدة خارج الحدود الوطنية، والتى ليس لصاحب السيادة عليها سوى تحكم محدود. إن الاحتياجات الماسة

للناخبين قد لا تتضاءل. ولكن قدرة السلطة السيادية على الاستجابة لها قد انخفضت بشكل واضح. وهذه المفارقة، وهو ما ركزنا الاهتمام عليه فى المحاضرة الثانية، ترتبط بلب إدارة العلاقات الدولية.

وهناك شكوى متزايدة بأنه فى التعامل مع كثير من المشكلات التى يعانى منها المجتمع الدولى فإن الدولة-الأمة تكون إما صغيرة جدا أو كبيرة جدا بحيث يتعذر عليها اتخاذ إجراء فعال. وفى عالم قائم على الاعتماد المتبادل،لا توجد دولة قوية بما فيه الكفاية بحيث تتصرف بمفردها تماما. فالمطلوب تدابير دولية على درجة كبيرة من التنوع. والجهاز الدولى أمر لا يمكن الاستغناء عنه. ومع هذا فإن مثل هذا الجهاز قد لا يكون فعالا إلا إذا تمتع بسلطة كافية. ومع هذا فإن الدول- الأمم قد تعزف عن التسليم بذلك. فالاعتماد المتبادل فى الوقت نفسه يضع ضغوطا على الهياكل الداخلية للدولة، خاصةً عندما تكون هناك أقليات كبيرة لها ارتباطات بالخارج سواء أكانت ارتباطات عرقية أو ثقافية أم لغوية أم دينية أم إقليمية. وحتى إن لم يكن هناك مثل هذه الأقليات، فإن هناك عددا متنوعا من الاعتبارات المحلية،إلى جانب رغبة شعبية عالية النبرة تدعو "للمشاركة" أو "التكميلية" ، مما قد يشكل ضغطا لا يمكن مقاومته على الحكومة المركزية.

والمفارقة فى هذا الوضع من الأمور هو أن الدولة كانت إلى عهد قصير نسبيا قاطرة التحديث، ولكن الآن ازداد الاعتقاد بأنها عائق له. وقد بدأ المد يتجه لصالح الوحدات الأصغر أو الأكبر، عندما أدت أمواج التغيير، التى سبق أن ناقشناها،إلى تحول فى الحياة اليومية للناس العاديين ، والدولة أصبحت تحت التهديد بشكل متزايد. فهى لا تستطيع - بشكل واقعى - أن تدعى الحق الإلهى. كما لم تعد الصلاحية الدستورية تمثل أى دفاع حقيقى طويل الأمد من ادعاءات السيادة. وفى النهاية فإن شرعية السلطة السيادية التى تمارس فى الداخل أو الخارج ستتوقف على قدرة الحكومة على تحقيق ما يريده الناخبون. وقد تم تلخيص المأزق بلباقة فى شكل (هو ولا شك مشكوك فى صحته) من الرفض الذى استخدمه عميد كلية فى أكسفورد عندما واجه طالبا لم يكن يستريح لوجهه فقال له: "أيها الشاب،أعتقد أنك ستكون أكثر سعادة إذا التحقت بكلية أكبر أو كلية أصغر".

السيادة فى علاقتها بأصحاب السيادة الآخرين :

السلطة "السيادية" التى تمارسها دولة ما فى إدارة علاقتها الخارجية ليست بمثابة سلطة ضخمة منفردة. إنها نتيجة لتفاعل كل القوى ذات الصلة، وبعضها على الأقل يمكن أن تكون فى صراع. ونتيجة لذلك فإنه قد يكون من الصعب تحديد موقع السيادة. ولكن مع كل ما يحيطها من أسباب التعقيد والغموض، فإنها السمة المركزية للعلاقات الدولية، طالما أن الدولة ستبقى الوحدة الأساسية للتنظيم السياسى. ومن هنا فإن العلاقات بين أصحاب السيادة ما زالت تحظى بالاهتمام الأول. ومن الناحية العملية، تعترف الحكومات بأن هناك قيودا داخلية على حريتها فى الحركة فى ميدان الشئون الخارجية تضاف إلى القيود المتمثلة فى أنشطة ومصالح أصحاب السيادة الآخرين. وهكذا فإن المساحة التى يمكن أن يناوروا فيها محدودة. ولكن الموقف ليس قاتما تماما. "فأصحاب السيادة" بقدرتهم على إجراء اتصالات فيما بينهم سيفهمون بسهولة المدى الذى سيواجهون به المشكلات المشتركة. واحتمالات التعامل معها يمكن أن تتحسن إذا عوملت بروح الفهم المشترك، بل وحتى بروح التعاطف المشترك. وأحد مزايا الدورات التى لا تكاد تنقطع من اللقاءات الدولية على أعلى مستوى فى عالمنا المعاصر يتمثل فى الإسهام الذى يمكن لهذه اللقاءات أن تقدمه فى هذا الصدد. فالدبلوماسيون، الحريصون دائما على وضعهم وهيبتهم - ربما تعرضوا فى الماضى لإغراء إبقاء الزعماء متباعدين، بحجة أن التقارب بينهم قد يولد عداوة وكراهية شخصية يعقبهما كوارث. ومع هذا فقد ولى الزمن الذى يمكن فيه لمثل هذا المدخل أن يلقى تأييدا كبيرا. فالمطلوب ليس تجنب مؤتمرات القمة وإنما التأكد من أنها تحقق نتائج مفيدة. والعنصر المهم فى هذا الشأن هو ضمان التفاهم المشترك بين "أصحاب السيادة" عن السبب الذى يجدون أنفسهم مضطرين فيه للالتجاء لتصرفات معينة، ولماذا تستثير هذه التصرفات - عند اتخاذها - ردود فعل غير مواتية من جانب "أصحاب السيادة" الآخرين ؟

ومسألة ردود الفعل عند الآخرين إزاء تصرفات أحدهم أمر حيوى فى المجال الدبلوماسى، كما هو الحال فى مجالات عديدة أخرى. فالنظرية الاقتصادية تفترض وجود سوق "على درجةٍ من الكمال" حيث لا تأثير لتصرفات الأفراد والمشترين

والبائعين على تصرفات البائعين والمشترين الآخرين. وهذا الكمال نادرا ما يتحقق فى الأسواق. وهو أيضا لا يتحقق فى الدبلوماسية. فالموقف يتميز أكثر باحتكار القلة فى السوق حيث حجم البائعين والمشترين كافٍ ومهمٌ بحيث يؤثر على تصرفات بعضهم البعض. وقياس ردود الفعل المحتملة للآخرين لا يتعلق فقط بالتحليل البحت وإنما أيضا بمجال التقدير الفطرى والخبرة. ومع هذا، فإنه فيما يتعلق بعواقب إساءة التقدير؛ فإنه حتى الالتجاء إلى الوسائل التحليلية الباطنية أمر لا يجب تجاهله. فنظرية المباريات the theory of games التى وضعت لأول مرة منذ خمسين عاما مضت(١)، تقدم أفكارا مثيرة ولكنها ليست بالضرورة مربحة بالنسبة لكيف تكسب فى لعبة الشطرنج أو البوكر، وتستند على التنبؤ برد فعل الحركات التى يقوم بها اللاعب نفسه. ومن الطبيعى أن تطبيق النظرية على مجالات إستراتيجية العمل التجارى وعلى الدبلوماسية لا يحتاج إلى إيضاح. ولكن ربما لا يتمثل العنصر الرئيسى فى أهدافنا فى مجرد تحليله للأساليب، بقدر ما هو وصف للأهداف: سواء كان الهدف مثلا هو "مباراة صفرية" zero sum game حيث حصيلة الفوز لكل اللاعبين هى صفر فى كل مرحلة من المباراة، أو "مباراة إيجابية" positive sum game حيث يطمح كل اللاعبين فى الفوز، وإن اختلفت درجاته.

وفى نظرية التجارة الدولية فإن مبدأ الميزة التفضيلية هى مثال للاقتصاديات "الإيجابية". فبينما توجد دولة على كفاءة أكثر من غيرها فى إنتاج كل السلع والخدمات ذات الصالح المشترك، وبهذا يكون لها ميزة مطلقة فيها جميعا،إلا أنه من صالح الدولتين أن تبيع كل منها إلى الأخرى السلع التى لها فيها ميزة تفضيلية وأن تشترى السلع التى ليس لها فيها ميزة تفضيلية. وتنطبق هذا الاعتبارات أيضا بشكل عريض على إدارة العلاقات الدولية. والواقع أنها تنم عما يسمى المدخل " التجارى" mercantile approach للدبلوماسية: بمعنى أن الدبلوماسية هى عمل تجارى وأن مهمة التجارة هى أن تولد مزيدا من الأعمال التجارية وقد كتب سير هارولد نيكلسون فى أواخر الثلاثينات من القرن العشرين(٢). فوصف العمل التجارى بأنه واحد من بين عدد من الأساليب والتقاليد الدبلوماسية. وقد قارن بين أساليب أربع قوى أوروبية: بريطانيا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا. وفى رأيه أن البريطانيين،بينما يعوقهم الجهل بالأوضاع فى

الخارج وهم عرضة لأن يتذبذبوا بين غير المعقول والواقعى،إلا أنهم يميلون إلى اعتبار أساس الدبلوماسية هو " أساس العمل التجارى الجيد نفسه، بمعنى الجدارة والثقة ومراعاة شعور الآخرين والحل الوسط"(٣).

وفى رأى نيكلسون أن المدخل الألمانى مختلف تماما. فهو "بطولى" وليس تجاريا. فالسياسة الألمانية كانت فى جوهرها "سياسة القوة"، وقد عكست محاربا ذا تصور عسكرى. وقد أعطت أهمية أكبر للخوف الموحى أكثر من الإيحاء بالثقة. ويقول نيكلسون : إن السياسة الفرنسية "قد حكمها فى السنوات الستين الأخيرة بشكل مطلق تقريبا الخوف من جارتها الشرقية ولهذا كانت أكثر ثباتا من أية قوة عظمى أخرى. وهذا القلق الدائم جعل السياسة الفرنسية متسمة بالتوتر والتصلب وعدم المرونة." وكان هذا التصلب على "نقيض ملحوظ من الدبلوماسية المتحركة للإيطاليين." لقد كان النظام الإيطالى مستمدا من تقاليد عصر النهضة للولايات الإيطالية. ولم يكن قائما على "مفهوم العمل التجارى السليم، ولا على سياسة القوة، ولا حتى على التحقيق المنطقى لأهداف معينة. إنه أكثر من انتهازى، فهو قائم على المناورة المستمرة".

وهذا المسح المقارن قد يبدو على شىء من الغرابة فى التسعينات من القرن العشرين. ومع هذا، فقد وصفه نيكلسون بجانبين مهمين. أولا: لقد أدرك أن ما يمكن أن يعتبر اختلافا فى الأسلوب الدبلوماسى هو فى حقيقة الأمر وظيفة لسياسات ومصالح مختلفة – أو بمعنى آخر المزج الذى لا مخرج منه بين توأمنا المألوف: الجوهر والعملية. ويقول نيكلسون : إن الاختلافات فى النظرية الدبلوماسية والممارسة إنما "تنشأ من التنويعات فى التقاليد والشخصية القومية والاحتياجات، فهذه هى التى تحدد السياسة، كما أن السياسة بدورها تحدد الأساليب الدبلوماسية"(٤). ومن المؤكد أن المرء يمكن أن يجنى من تصنيفه هذا بعض التبصر المفيد لأوربا فى الثلاثينيات مثل: التهدئة البريطانية والتمنى، وتكتيكات هتلر والنازيين، ونقاط ضعف الجمهورية الفرنسية الثالثة، وتبختر موسولينى فى إيطاليا والبحر الأبيض المتوسط وأفريقيا.

ثانيا: أوضح نيكلسون أنه لا يعتبر أن ما جاء فى قائمته هو على سبيل الحصر. بل إن الهدف من هذه القائمة هو هدف توضيحى. وهو بهذه الصفة يعتبر نقطة انطلاق

مفيدة لتحليل مدى المداخل لإدارة السياسة الخارجية التى قد تميز أنظمة معينة. وكلما كان النظام سلطويا ومتسما بالسرية كلما كان من المتوقع أن تلعب العوامل الشخصية وحتى النفسية دورا. فما هى العوامل التى تعلو على المصلحة القومية فى بعض التعريفات العامة والتى تلهم تحركات "مستقلة ذاتيا" عل مسرح السياسة الخارجية؟ هل هى الوطنية؟ هل هو الإحساس بالمصير نفسه؟ هل هى الغرائز الحيوانية (التى نسب إليها الاقتصادى البريطانى الشهير جون ماينارد كينز John Maynard Keynes - جزئيا على الأقل - قرارات رجال الأعمال الخاصة بالاستثمار؟ هل هى النزوة؟ هل هو الحدس، وهى كلمة اكتسبت معنى جديدا و شريرا نتيجة لارتباطها بهتلر؟ هل هى رغبة فى رفع ظلم ما؟ هل هو انتهازية (لقد وصف دبلوماسى بريطانى كلمة "فن الدفاع" defencemanship بأنه "فن الانتصار دون الدخول فى قتال فعلى")؟ والقائمة لا تكاد تنتهى. ومع هذا فإن كل هذه الدوافع يمكن اعتبارها "ذات سيادة"، من حيث أنها لا تعترف بالتزام تجاه الآخرين، ولا تقبل أى قيد فيما عدا ما تواجهه من تحدٍ. وبمعنى آخر فإن القوة هى الحق إلى أبعد مدى.

ومع هذا، فمن الواضح أن السياسة الخارجية التى تدار على هذا الأساس لا تعتبر وصفة للسلام والانسجام العالميين. فكلما أصبح العالم قائما أكثر على الاعتماد المتبادل، كلما كان هذا المدخل أكثر تصدعا. وسيكون غير مثمر، حتى بالنسبة للدول التى تتبناه إيمانا منها أنه فى مصلحتها أن تفعل ذلك. والمدخل الأكثر منطقا وفاعلية هو أن تعمل فى إطار الالتزامات والقيود المقبولة، وذلك عندما تقوم بصنع سياساتك بل وصنع سياسات الآخرين أيضا. فالمصلحة الذاتية المستنيرة، المختلفة عن المصلحة الذاتية الأنانية، تشير إلى نوع من النظام فى إدارة العلاقات الدولية.

السيادة فى النظام الدولى :

إذا أخذنا، نقطة نطلاق الحاجة إلى نظام لإدارة العلاقات الدولية لصالح جميع الأطراف ذات الصلة، فإلى أين نتجه لنحصل على ما نسترشد به فيما يتعلق بإقامة هذا النظام؟

ونحن نتذكر أن "الدبلوماسية القديمة" كانت فى خدمة نظام الدولة – الأمة التى ظهرت للوجود بعد صلح وستفاليا عام ١٦٤٨ وحرب الثلاثين عاما الكارثية التى وضعت نهاية لها. ويتمثل لب نظام الدولة – الأمة فى سيطرة الدولة، إبناءً على المبدأ العلمانى للسيادة والاهتمام بإقامة القانون والنظام أساسا على المستوى القومى، وبهذا يحل محل نفوذ كل من الإقطاع والكنيسة. ومع هذا فإن تناقض الموقف يتمثل فى أن التركيز الأكبر كان على السيادة الفعالة فى الداخل ، وأن المزيد من السيادة لم يكن يعتبر خطأ أو صوابا، وإنما هو شىء يتنافى مع الأخلاق amoral، وكان هناك مزيد من الشك الذى يحيط بطبيعة أية سلطة تهدف إلى التحكم فى العلاقات بين الدول. وعلى الرغم من أن الحاجة إلى نوع من النظام كانت أمرا أوليا،إلا أن الناس كانت تحس بهذه الحاجة كلما دخلوا فى معاملات مع بعضهم البعض. وقد تم إشباع هذه الحاجة بالرجوع إلى مفاهيم مثل القانون الطبيعى، وهو نو طابع دينى أساسا، وعرَّفه القديس توماس الأكوينى St. Thomas Aquinas، بأنه جزء من القانون الإلهى الذى يكتشفه العقل الإنسانى، وهو مختلف عن الجزء الذى يمكن الكشف عنه بشكل مباشر. فالقانون الطبيعى يقدم أساسا عقلانيا rationale للتحكم فى سلوك أصحاب السيادة فى بلادهم وبين بعضهم البعض. ومع هذا، فإنه عندما تزيل أى قيود على أصحاب السيادة، تظهر لك مقارنة غير منسجمة: بين السيادة غير المقيدة التى تطالب بها الدول – الأمم،من جهة، وبين ضرورة وجود تدابير لإدارة العلاقات بين أصحاب السيادة، والتى دونها يستحيل تحقيق أهدافهم المعلنة، ومع هذا فإنها تمثل هجوما على السيادة نفسها، من جهةٍ أخرى.

وقدمت النظرية السياسية إجابة جزئية على الصعيد الداخلى: بأن هناك "عقدا" بين مواطنى دولة ما وبين الحكومة التى بمقتضاه يسلم هؤلاء المواطنون للحكومة بسلطات كبيرة للقمع من أجل تحقيق أهداف متفق عليها. إلا أن هذه النظرية لا يمكن نقلها بسهولة إلى المسرح الدولى. فالعلاقات هنا أكثر غموضا. وإذا كان هناك أى عقد، فإنه يتسم أكثر بصعوبة الإدراك. وقد يكون أقوى على جانب الطلب منه على جانب العرض – أى أن الحاجة إلى مثل هذا العقد تكون أوضح فى الإدراك أكثر من وسيلة الاستجابة الفعالة لهذه الحاجة. وأقوى مثال، فى كل الأحوال، هو مفهوم القانون

الدولى. "فقانون الأمم أو القانون الدولى"(٥)، فى رأى أحد فقهاء القانون البريطانيين وهو ج. ل. بريرلى J. L. Brierly الذى ذكره فى كتابه الموثوق به : قانون الأمم" *The Law of Nations*" يمكن تعريفه بأنه "مجموعة قواعد ومبادئ العمل المُلْزِمة binding للدول المتحضرة فى علاقاتها ببعضها البعض". وهذا التعريف مثير للاهتمام بشكل كبير لعدة أسباب. السبب الأول: أنه يكمل تعريف الدبلوماسية الذى تبناه الحجة البريطانى المشهور سير إرنست ساتو، والذى بحثناه فى المحاضرة الأولى وهو: "تطبيق الذكاء والمهارة على إدارة العلاقات الرسمية بين حكومات الدول المستقلة". والتعريفين استخداماتهما باعتبارهما معايير للسلوك ينبغى أن تطمح إليهما إدارة السياسة الدولية. ولا يدعى أيهما أنه وصف شامل جامع لكيف تسلك الحكومات وغيرها من "الفاعلين" فى ميدان العلاقات الدولية، فى تعاملها مع بعضها البعض.

السبب الثانى: أن استخدام كلمة "مُلزِم" توحى بأن هناك إلزاما باحترام مجموعة قواعد العمل ومبادئه. ولكن لم تحدد الطبيعة الدقيقة لهذا الفرض. فالفرض ليس "قانونيا" بالمعنى الحديث المألوف لنا: أى أن يكون مستندا إلى قانون وضعى، ومعززا بالقوة، ومخولا لسلطة أعلى، لفرض الرضوخ على الدول ذات السيادة ومعاقبتها لعدم الرضوخ. واستخدام مصطلح "القانون الدولى" يمكن أن يكون مضللا إذا كان يوحى بتشابه وثيق مع القانون المحلى. ومصطلح "قانون الأمم" قد يكون أكثر دقة، وخاصةً بما يوحى به حول طبيعة الغرض الذى تعبر عنه كلمة "مُلزِم"

ثالثا: إننا نحتاج لأن نتمعن جيدا "مجموعة قواعد العمل ومبادئه" والتى ينطبق عليها كلمة الفرض بفارق دقيق فى المعنى. فما يتضمنه ينشأ بوضوح من المادة ٣٨ من لائحة محكمة العدل الدولية(٦). وهى تنص على أن المحكمة،التى من وظيفتها أن تحكم طبقا للقانون الدولى، فى المنازعات التى ترفع إليها، تقوم بتطبيق:

(أ) الاتفاقيات الدولية، سواء أكانت عامة أم خاصة، التى تقر قواعد تعترف بها صراحةً الدول المتنازعة .

(ب) العرف الدولى، باعتباره دليل على الممارسة العامة التى يقبلها القانون.

(جـ) المبادئ العامة للقانون الذى تعترف بها الدول المتحضرة .

(د) القرارات القضائية وتعاليم خبراء القانون الدولى فى مختلف الدول، باعتبارهم وسائل مكملة لتحديد قواعد القانون.

وتؤكد اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية فى ١٩٦١ ، وهى آخر اتفاقية شبه عالمية عن "العلاقات والمزايا والحصانات الدبلوماسية"، فى الديباجة أن " قواعد القانون الدولى العرفى ينبغى أن تستمر فى حكم المسائل التى لم تنظمها صراحةً نصوص الاتفاقية الحالية "، ويؤكد هذا نقطة أن الفقرة الفرعية (أ) من المادة ٣٨ من اللائحة على الرغم من أنها صريحة نسبيا إلا أن هناك ، بشكل حتمى، عنصرا متداولا بشأن الفقرات (ب) و (ج) و (د). هل الحكومات تحترم القانون العرفى لأنه إلى حد ما موجود من قبل، أو أن سلوك الحكومات،على الأقل "الأمم المتحضرة"، يمثل النمط الذى يحفظه القانون العرفى فى الواقع؟ ومن الطبيعى أن تكون الإجابة هى أن "كلا" الحكومتين قد تحترمان القانون العرفى على أسس ليست قانونية. وقد قام سير إيان سنكلير Sir Ian Sinclair، وهو مستشار قانونى سابق لوزارة الخارجية والكومنولث البريطانية، وخبير بارز فى القانون الدولى، بعرض المسألة بوضوح مميز بقوله:

"لما كان القانون الدولى حقا ينظر إليه على أنه يضم عناصر مهمة من الأخلاق الدولية والضمير الدولى، فإن هناك فى الغالب مطالب لمنحه السلطة، ولكن السبب الآخر المساوى له هو أن هناك اتفاقا أقل بكثير من الاتفاق الجماعى بين الدول عن "مضمون" هذه القواعد القانونية الدولية المتعلقة بنزاع معين أو موقف معين، بحيث إن العملية المستمرة لتطوير القانون الدولى وتقنينه بشكل مطرد إنما تفرض نفسها كأمر حتمى"(٧).

وإذا كانت "مجموعة قواعد العمل ومبادئه" الذى يتكون منها قانون الأمم هى هكذا عبارة عن توازن دقيق بين التزامات معينة ومعايير عامة، ويحكم على مدى ملاءمتها فى كل طرف على حدة، أليس هذا أشبه بوعاء هش يحتوى على الآمال فى السلام والانسجام الدوليين؟. هناك من يعتقدون أن القانون الدولى يمكن أن يعتبر، بشكل واقعى، فرعًا للأخلاق أكثر منه للفقه. وهناك آخرون يقترحون "أن يكون القانون بمثابة التراث التقليدى" ولكن ليست هذه مجادلة من أجل رفضه. فالمطلوب هو الاعتراف

بأوجه قصوره والسعى لإزالتها أو التقليل منها. "فالقانون الدولى" باعتباره شكل من أشكال السيادة العليا قد يكون أمرا لا يمكن الوصول إليه. وكما سبق أن اقترحنا، فقد تكون تسميته خاطئة. ولكن هناك مزيجا من التقاليد المشتركة والمصالح المشتركة والحصافة والسوابق التى يمكن على الأقل اعتبارها قانونا "بين" الأمم، ويكون على أية دولة قادرة على أن تتخذ وجهة نظر مستنيرة لمصلحتها الذاتية أن تؤيد ذلك وتشجعه. وهذا القانون بين الدول يجب أن يحتضن ويقنن ويتم التوسع فيه، وهى مهمة تعتبر بحق من أولى أولويات الأمم المتحدة.

هل هى أخلاقيات عالمية جديدة؟

إذا كانت القيود التى يفرضها القانون الدولى على ممارسة السيادة الوطنية هى جزئيا على الأقل مسألة أخلاق - كما سبق أن اقترحنا عاليه - فما هو بوجه عام دور الأخلاق فى التأثير على سلوك الحكومات فى عالم يقوم على الاعتماد المتبادل؟ هل من الممكن أن نفكر فى نظام متفق عليه للأخلاق لكى نوحد به العالم؟ أو صيغة حديثة مثلا للقانون الطبيعى؟ إن عالم اللاهوت الكاثوليكى المرموق هانز كونج Hans Kung يعتقد أن عصرنا الجديد بعد الاستعمار والمتعدد المراكز polycentric يحتاج إلى أخلاق متفق عليها ولا يمكن أن يقدمها سوى الدين. فكما يرى كونج فإن الدين وحده قد أظهر أنه قادر على قيادة شعوب بأكملها والتأثير فيها، بصرف النظر عن الخلفية والتعليم. وفى الوقت نفسه لن يكون هناك سلام بين الأمم دون أن يسود السلام بين الديانات. فالحوار بين الديانات أمر جوهرى. وقد أعرب كونج عن نيته فى دراسة التاريخ وعلم اللاهوت عند المسيحية واليهودية وعلم التوحيد عند الإسلام بحثا عن أساس أخلاقى مضمون للسلام العالمى(٨).

هذه قراءة للموقف الدولى أكثر تفاؤلا من قراءة البروفسور هانتنجتون، التى تمت مناقشتها فى المحاضرة الثانية، والتى تقول بأن صراع الحضارات سيسود السياسة العالمية. ولكن الأمر ليس خارجا عن الموضوع أبدا إذا بحثنا عن دستور للسلوك للمعاملات بين الدول ذات السيادة. وهذا يثير السؤال: "إلى أى مدى استطعنا أن

نحقق بالفعل أخلاقا متفق عليها بشكل واقعي *de facto* إن لم نقل بشكل قانوني *de jure*؟ لقد احتوى ميثاق الأمم المتحدة على قدر من الاستنارة والأخلاق لم يسبق أن تحقق من قبل في العلاقات الدولية. وقد كانت الأمم المتحدة تضم أصلا حوالي خمسين دولة وهي بعضويتها الحالية التي تبلغ أكثر من ثلاثة أضعاف هذا العدد،أصبحت الآن ذات فعالية عالمية. ومع هذا بقيت مقوماتها بلا تغيير. وقد تم التعبير عنها بشكل عملي في العمل الجماعي للأمم المتحدة ووكالاتها في كل ميدان يهم الإنسان تقريبا. والحقيقة أنها أفصحت عن نفسها في عدد كبير جدا من الوثائق المتفق عليها، وخاصةً في ميدان حقوق الإنسان.

إن درجة توافق الآراء التي حققتها الأمم المتحدة بالفعل تؤكد النقاش حول العالمية الأخلاقية والثقافية والنسبية الأخلاقية والثقافية. وفي مؤتمر الأمم المتحدة لحقوق الإنسان الذي عقد في فيينا عام ١٩٩٣، كان هناك تحد من عدد من الدول الأفريقية والآسيوية والشرق أوسطية لشمولية الصياغات في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان Universal Declaration of Human Rights، وهو الوثيقة الرئيسية في هذا الشأن. وكانت هناك ادعاءات بأن الإعلان كان غربيا في مضمونه الفلسفي وأن عنصر المشروطية الذي يشجعه في المساعدة من الدول المتقدمة للدول النامية يشكل تدخلا خارجيا في الشئون الوطنية. وفي إعلان بانكوك في إبريل ١٩٩٣ وافقت حكومات دول آسيا والمحيط الهادي على أن حقوق الإنسان تحتاج إلى إعادة النظر فيها في سياق يراعي "أهمية الخصائص الوطنية والإقليمية ومختلف الخلفيات التاريخية والثقافية والدينية". ومن الصعب معارضة هذا الاقتراح. ولكن هذا لا يعفي الحكومات من احترام الدفعة العريضة لتوافق الآراء في الأمم المتحدة بالنسبة لحقوق الإنسان. كما أنه لا يعوق العمل الدولي في سعيه وراء توافق الآراء هذا.

إن سجل نظام الأمم المتحدة هو مثال جيد للمدخل الوظيفي functionalist للعلاقات الدولية المرتبطة بوجه خاص باسم دافيد ميترانيDavid Mitrany(٩). ومن رأي ميتراني أنه إذا عملت الدول معا في وكالات وظيفية functional (مصممة لأداء وظيفة معينة – المترجم) فإن ذلك يساعد على نسج خيوط من التعاون السياسي مما ينشط باطراد النمو السلمي للمجتمع الدولي. ونكرر ثانيةً أنه من غير المحتمل أن يوجد اتفاق

سهل وسريع على مثل هذا المقترح. ولكن ذلك يعزز نقطة أن العمل الذى تقوم به الأمم المتحدة والصياغات المتفق عليها التى تعتبر أساسا لهذا العمل، لها أهمية قصوى فى حد ذاتها وأيضا فيما تعلمه لنا عن كيفية إدارة شئوننا. إنها تشكل مجموعة من السوابق وهى لهذا ذات صلة بالقانون الدولى العرفى. وقد أكد بريرلى أن العرف بمعناه القانونى يدل على أكثر من مجرد العادة أو الاستخدام: وهو استخدام يشعر به من يعتبره ملزما(١٠). ويوحى ذلك بأن مبدأ الخدمة - إلى جانب أهميته السياسية وبالإضافة إليها - له أهمية أخلاقية وقانونية أيضا.

وبينما نجد أن مبدأ الوظيفة هو وسيلة لتشجيع التعاون الدولى وهو أمر لازم للاعتماد المتبادل، إلا أننا لا يمكن أن نعتمد بحكمة اعتمادا كليا على قوة الدفع التى يولدها مبدأ الوظيفة حتى يمكن استمرار هذا التعاون. فلا يمكن أن نضمن لهذا الاعتماد المتبادل أن يقدم الدرجة المطلوبة من السلوك المستنير. فهل هناك أساس آخر يمكن أن نطمح إليه لبناء نظام أخلاقى يدعم الأمم المتحدة ويعزز الحكم الرشيد الدولى، ومبدأ الوظيفة الذى يخدم كل ذلك؟

وللمرة الثانية فإن الإجابة غير مباشرة. فالنظام الأخلاقى مرغوب فيه فى حد ذاته. ويوجد تأثير هذا النظام فى صلاحيته الكامنة وليس فى قيمته العملية وحدها. وعلى الأقل ينبغى علينا أن نتجنب جعل النظام الأخلاقى أكثر صعوبة فى التحقيق. لقد عبر الحاخام الأكبر البريطانى دكتور جوناثان ساكس Dr Jonathan Sacks عن رأيه فى أن قصة القرن العشرين هى قصة استبدال المجتمع بالدولة ومن ثم إحلال السياسة محل الأخلاق. وما كان يعتبر حلا فى الماضى - أى الدولة المفرطة فى النشاط hyberactive - قد أصبحت تمثل مشكلة(١١). وهذا المقترح يتصل بشكل مثير للاهتمام بالجدل الدائر - الذى أشير إليه سابقا فى هذه المحاضرة، ومضمونه أن الدولة أصبحت عائقا للتحديث بينما كانت فى الماضى عاملا رئيسيا له. فالحكم الرشيد يتوقف بشكل متزايد على العوامل غير الحكومية. وفضلا عن ذلك، إذا كان الخطر الأكبر فى المستقبل يتمثل فى الحرب داخل الدول وليس فيما بينها، فيترتب على ذلك أن يصبح للعوامل غير الحكومية أهمية أكبر من ذى قبل فى العلاقات الدولية.

السيادة وحدودها

الغرض من هذه المحاضرة - كما سبق أن أوضحنا فى بادئ الأمر - هو أن نبحث الحدود التى ترد على حرية المناورة لحكومات الدول عند ممارستها لمسئولياتها السيادية فى ميدان العلاقات الدولية. وعلى الجبهة الداخلية، تنشأ هذه الحدود بسبب تعقد القضايا والتنوع الكبير فى الضغوط والمصالح داخل الدولة والتى تتولد بسببها. فالحكومات التى هى أبعد ما تكون عن حرية التصرف ، تكون فى معظم الحالات خاضعة لضغط الرأى العام وتوقعات الأفراد بالنسبة لمستوى معيشتهم والخدمات التى يتوقعون الحصول عليها من أولئك الذين فى السلطة. والسيادة تستند على الشرعية الديموقراطية. والحق الإلهى للملوك قد استبدل بصوت الشعب، والذى يعبر عنه باللاتينية vox populi, vox dei[١٢].

وعلى الجبهة الخارجية، فإن الحكومات تعانى من تعقد القضايا،التى يعتبر الاعتماد المتبادل مظهرها الرئيسى،كما تعانى من أفعال الحكومات الأخرى ذات السيادة وردود الأفعال بالنسبة لها. ونتيجة كل هذه القيود هو أن الحياة يمكن أن تصبح صعبة جدا بالنسبة للحكام. "فالرأس التى تلبس التاج لا تعرف الراحة"[١٣]. ولكن على الأقل يمكن التغلب على الصعوبات إلى حد ما بالتعاون العملى الفعال بين الحكومات ذات السيادة، ليس على أساس مؤقت فحسب، ولكن أيضا بطريقة بنيوية أكثر عن طريق تنشيط نظام قائم على الحكم. وقد لوحظ أن "الديموقراطية هى نظام لإحصاء الرءوس أكثر منه لتحطيمها"[١٤]. فالديموقراطية المطبقة دوليا، مع "الدبلوماسية الجديدة" فى خدمتها، هى وسيلة لتحقيق الأهداف الرئيسية للسياسة الخارجية - لدعم الأمن والرخاء للدولة - ليس بتجاهل الحدود على سيادة الحكومة، ولكن بقبولها لما فيه المصلحة المشتركة، وجعلها تعمل بشكل مفيد.

(٤)

الأمم المتحدة

هناك موضوع متكرر لهذه المحاضرات وهو عدم الانسجام بين حقائق الاعتماد المتبادل التى لا فكاك منها من جهة، وبين الولاء الدائم الجاد للهوية الوطنية والسيادة، ولنظام الأمة – الدولة التى يعبر عنهما، من جهة أخرى. ولأسباب تم توضيحها فى المحاضرة الأولى،ازداد عدم الانسجام منذ الثورة الصناعية فى أوروبا منذ مائتى سنة مضت. وطالما هناك مثل عدم الانسجام هذا، سيكون هناك احتياج إلى مجموعة متنوعة من المنظمات والتدابير للمساعدة فى إدارة الاعتماد المتبادل. والحقيقة أنه يوجد بالفعل آلاف من هذه المنظمات، وهى جميعا تعكس بطرقها المختلفة الحاجة إلى دول ذات سيادة تعمل معا بدلا من العمل منفردة. وفى نهاية طرف من الطيف قد تكون هذه المنظمات مهتمة وحدها بالوظائف التنظيمية فى ميدان متخصص محدود. وفى نهاية الطرف الآخر من الطيف توجد تحالفات كبرى مع المسئوليات الحيوية من أجل الحفاظ على السلام. وقد تكون المنظمات ثنائية، أو مكونة من أكثر من ثلاثة أطراف plurilateral أو متعددة الاتجاهات omni-lateral، وقد تكون محلية أو قطاعية sectoral أو إقليمية أو بين القطاعات intersectorial أو "كبيرة" أو "صغيرة". وهى جميعا تمثل استعدادا وطنيا معينا، حتى وإن كان على مضض، لأن تمنح الهيئات الدولية قدرا من التحكم فى الشئون الوطنية التى تحتوى على بعض التضحية بالسيادة.

وقد تعددت المنظمات الدولية بالفعل فى القرن التاسع عشر. ثم ازداد عددها بوفرة فى القرن العشرين. كما أنها تغيرت فى الطابع. ففى أبسط معانيها يمكن اعتبار العلاقات الدولية عمليا بأنها مسألة تتعلق بالمعاهدات بشكل أو بآخر، وأنها لا تتطلب

متابعة أكثر من مراعاة الحكومات الأطراف فيها لنصوصها. ولكن مع ازدياد الاعتماد المتبادل، فمن المطلوب نموذج أكثر تعقيدا للتدابير الدولية. وكما حدث على المستوى الداخلى من أن قواعد النظم الأساسية المتكاملة، والتى سرت من خلال عملية قضائية، حل محلها بشكل متزايد أسلوب جديد تم بمقتضاه اقتصار النظم الأساسية على رسم السياسات الأساسية، وخلق سلطات لإدارتها، وتحديد الصلاحيات والإجراءات لهذه السلطات، بحيث تقام منظمات دولية بموظفين دائمين وبوجود مستقل لها لتحل بشكل متزايد محل المعاهدة المتكاملة على المستوى الدولى. وقد تسببت سلسلة "الغزوات" للواجهة السياسية، والمشار إليها فى المحاضرة الأولى إلى إعطاء دفعة قوية لبناء المنظمات الدولية.

لقد كان التطور الكبير فى الأداة الدولية من صنع عصبة الأمم League of Nations بعد الحرب العظمى. وكان للعصبة الوضع الرفيع لأية معاهدة – أو بالأحرى لأى ميثاق – وقد انبثقت عن مؤتمر صلح قام على خطوط "الدبلوماسية القديمة" المألوفة مستخدمة مصطلحات "الدبلوماسية القديمة" المألوفة، مثال ذلك،"الأطراف السامية المتعاقدة" High Contracting Parties . ومع هذا، فإن الناتج أدى إلى شن "الدبلوماسية الجديدة". وكانت السمة الرئيسية للعصبة هى مفهوم الأمن الجماعى الذى تطلب آلية تنفيذية جماعية لترد آليا على العدوان بغض النظر عن هوية المعتدين، وهو مفهوم لا يمكن أن يعتبره الأوروبيون مثاليا خياليا إلى حد ما.

ومن مفارقة التاريخ أن هذه الأداة العظيمة الأولى "للدبلوماسية الجديدة" قد نبذها مجلس الشيوخ الأمريكى، على الرغم من أن وودرو ويلسون هو الذى أسهم إسهاما أساسيا فى إقامة هذه الأداة. ولو كان هناك التزام أمريكى بالأمن الجماعى لكانت السنوات العشرون التى أعقبت ذلك مختلفة تماما. ومن الطبيعى أن تكون العصبة عندئذ أقل تركيزا على أوروبا بكثير، ولكان هناك ثقل أكثر حزما ضد الطموح الشمولى فى ألمانيا وإيطاليا وروسيا واليابان. ومع هذا، فعلى الرغم من كل أوجه قصور العصبة فى المجالين السياسى والأمنى، فقد أظهرت العصبة خصائص "الدبلوماسية الجديدة" التى صمدت أمام تحديات الزمن، فقد كان هناك رضاء وإدراك شعبيين، واهتمام بالديموقراطية وحقوق الإنسان، وتعاون فى عدد من الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية،

وأولويات أوسع بكثير من المسائل "السياسية" التقليدية. وأنتهى الأمر بأن أثبتت العصبة نجاحها فى المجالين الاقتصادى والاجتماعى بصورة أكبر من نجاحها فى المجال السياسى. وكانت خبرتها مرشدا مفيدا لأولئك الذين أرسوا بناء منظمة تخلفها فى نهاية الحرب العالمية الثانية.

وكان الرئيس روزفلت أول من استخدم اسم "الأمم المتحدة" عام ١٩٤١ لوصف الدول المحاربة ضد دول المحور. وقد استخدمت هذا الاسم ٢٦ دولة موقعة على إعلان واشنطون فى أول يناير ١٩٤٢ . وقد عاهدوا أنفسهم على الاستمرار فى مجهودهم الحربى المشترك وعدم عقد سلام منفصل. وتم إعلان الحاجة إلى منظمة دولية لتحل محل عصبة الأمم فى إعلان موسكو الموقع من أربع قوى (هى الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والصين والاتحاد السوفيتى) فى ٣٠ أكتوبر ١٩٤٣ . وفى مؤتمر دامبرتون أوكس فى واشنطون فى العام التالى صاغت هذه الدول الأربع مقترحات محددة. وهذه المقترحات شكلت أساس المناقشات التى دارت فى مؤتمر سان فرانسيسكو فى عام ١٩٤٥ ،الذى تم فيه اعتماد ميثاق الأمم المتحدة[١].

جوهر الأمم المتحدة :

لقد وضعت أغراض الأمم المتحدة ووسائلها فى ديباجة الميثاق باقتضاب رزين، وكان النص قد صيغ بحيث ينقل فى ٢٠٠ كلمة فقط المغزى الكامل لما وضع فى متناول اليد[٢]. وقد آلت شعوب الأمم المتحدة على أنفسها إنقاذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب، وإعادة تأكيد الإيمان بحقوق الإنسان الأساسية، وبكرامة وقيمة الإنسان، وبالحقوق المتساوية للرجال والنساء ، وبالأمم كبيرها وصغيرها، وبتوفير أحوال مواتية لتحقيق العدالة واحترام الالتزامات، وبدعم التقدم الاجتماعى ومستويات أفضل للحياة فى ظل حريات أوسع. وتحقيقا لهذه الأهداف آلت الأمم المتحدة من جديد على نفسها أن تأخذ بالتسامح والعيش معا فى سلام وحسن جوار، وأن تضم قواها كى تحتفظ بالسلم والأمن الدوليين، وأن تكفل عدم استخدام القوة المسلحة فى غير المصلحة المشتركة، وأن تستخدم الآلة الدولية فى ترقية الشئون الاقتصادية والاجتماعية لكل الشعوب[٣].

وحتى تنفذ هذه النوايا، فإن الأمم المتحدة قد أقيمت بست مكونات رئيسية (الفروع الرئيسية) وهي:

(١) مجلس الأمن، وله مسئولية أولى هى حفظ السلم والأمن الدوليين مع تمتعه بسلطات إلزامية mandatory فى هذا الشأن. وتقرر أن تكون العضوية الدائمة للقوى الخمس العظمى – الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا والصين – مع حق النقض veto .

(٢) الجمعية العامة، ولها نفوذ authority شامل ومسئوليات تداولية deliberative، ولكن دون أن يكون لها سلطات powers إلزامية. وتتضمن قراراتها توصيات للحكومات ولا تفرض تعهدات ملزمة عليها .

(٣) المجلس الاقتصادى والاجتماعى، وعليه مسئولية "تحت سلطة الجمعية العامة" بالنسبة لنصوص الميثاق فى ميدان التعاون الاقتصادى والاجتماعى .

(٤) مجلس الوصاية، وعليه مسئولية فى مجال بعض الأقاليم غير المستقلة وليس كل هذه الأقاليم .

(٥) محكمة العدل الدولية،التى تعمل طبقا لنظام أساسى Statute ملحق بالميثاق. وتتعهد كل دولة عضو فى الأمم المتحدة بأن تلتزم بقرار المحكمة فى أية قضية تكون طرفا فيها .

(٦) الأمانة Secretariat ويتولاها أمين عام له الحق فى أن يقوم بمبادرات، وهو أيضا طبقا لنص المادة ١٠٠ من الميثاق،لا يخضع للضغوط من الحكومات الأعضاء.

ويتعهد كل عضو فى الأمم المتحدة " باحترام الصفة الدولية البحتة لمسئوليات الأمين العام والموظفين".

ونص الميثاق فى ثلاثة أوجه مهمة على سير وإنجاز هذه الفروع الرئيسية. أولا: بمقتضى المادة السابعة، نص على أن "هذه الفروع الثانوية يمكن أن تنشأ كلما دعت الضرورة إلى ذلك." وثانيا: للمجلس الاقتصادى والاجتماعى، بمقتضى المادة ٦٣ ، أن يضع اتفاقات مع مختلف الوكالات المتخصصة تحدد الشروط التى بمقتضاها يوصل

بينها وبين الأمم المتحدة. كما أن الأمم المتحدة خولت أيضا سلطة إجراء مفاوضات بين الدول ذات الشأن بقصد إنشاء أية وكالة متخصصة جديدة يتطلبها تحقيق المقاصد (المادة ٥٩). ونتيجة لهذين الحكمين، تم إنشاء شبكة مركبة من المنظمات التابعة للأمم المتحدة،عرفت "بنظام" system الأمم المتحدة،لتمييزها عن الأمم المتحدة نفسها. وقد أوردنا فى الملحق رقم ١ رسما بيانيا للمنظمة يحتوى على نظام الأمم المتحدة. وثالثا : بمقتضى المادة ٧١ ، "فإن للمجلس الاقتصادى والاجتماعى أن يجرى الترتيبات المناسبة للتشاور مع المنظمات غير الحكومية التى تعنى بالمسائل الداخلة فى اختصاصه". وهذا الحكم يؤكد الأهمية الكبيرة لعمل الأمم المتحدة. وهو يعكس إشارة ديباجة الميثاق إلى "الشعوب" وليس "الحكومات" أو "الأطراف المتعاقدة السامية".

المبادئ الستة التى ترتكز عليها الأمم المتحدة :

فى التسعينات من القرن العشرين ربما لم تكن أحكام ميثاق الأمم المتحدة والبنية التى وضعت لتنفيذها، تبدو جذرية radical بشكل خاص. ولهذا فمن العسير بعد مضى خمسين عاما استحضار الأثر الذى أحدثه هذا العقد الدولى العظيم،عند إقراره على الأمم التى مزقتها الحرب، والتى كانت تتوق إلى السلام وإعادة الإعمار. لقد كانت وهى متأثرة بتجربة الحرب،تمثل تحقيقا لمدخل ويلسون فى إدارة العلاقات الدولية، وهو مدخل مختلف تماما عن التكريس الأوروبى التقليدى لسياسة الواقع العملى realpolitik أو raisons d'état. وقد جسد "الدبلوماسية الجديدة" بشكل متباين عن "الدبلوماسية القديمة". وهناك ستة مبادئ أساسية ترتكز عليها الأمم المتحدة. المبدأ الأول: ينبذ الحرب باعتبارها أداة للسياسة ويلزم أعضاءه بتجنب استخدام القوة إلا إذا كان استخدامها من أجل الصالح المشترك. وكان هذا مبدأ ارتكزت عليه عصبة الأمم. ولكن ميثاق الأمم المتحدة تجاوز ذلك بتأكيد المساواة فى السيادة لجميع أعضائها، وبهذا تم إدخال مفهوم الديموقراطية فى إدارة العلاقات الدولية وكذلك فى الشئون القومية.

ثانيا: لقد سعت إلى مجتمع دولى قائم على قواعد وليس على الإذعان للفوضى أو قانون الغاب. وتتحدث الفقرة ذات الصلة فى ديباجة الميثاق عن توفير "الأحوال التى

يمكن فى ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولى". ويتحقق ذلك، من جهة، بإقامة محكمة العدل الدولية، ومن جهة أخرى بمنح الجمعية العامة تبعة "تشجيع التقدم المطرد للقانون الدولى وتدوينه" (مادة ١٣ (١)). وقد أنشئت لجنة القانون الدولى عام ١٩٤٧ لهذا الغرض. ويعتبر مفهوم "العدالة" مفهوما محيرا أكثر من مفهوم احترام التعهدات، ولكنه أساسى له، بمعنى أن هذا الاحترام لن يتوفر فى النهاية إلا إذا كانت هذه التعهدات تعكس "العدالة". وكذلك فإن احترام التعهدات يوطد العدالة كما أنه يعكسها.

ثالثا: يتم تناول الأمن الجماعى بطريقة عملية وليست نظرية. ومفهوم ويلسون فى الأمن الجماعى، كما سبق أن أوردنا، تطلب وجود آلية تنفيذ جماعية تشمل جميع الأعضاء لمواجهة العدوان بشكل آلى بغض النظر عن هوية المعتدين. وكان يبدو أن عصبة الأمم كانت تتصرف أحيانا كما لو كانت هذه الآلية موجودة، على الرغم من أنه كان من الواضح أنها غير موجودة. ويعتبر مفهوم الأمم المتحدة أكثر دقة. فهو يعهد بالمسئولية حيث تكمن السلطة. ويتطلب الأمر إجراء من مجلس الأمن، يمكن لأية سلطة من السلطات الممنوحة لحق النقض veto أن توقفه. وهكذا يوجد عنصر من عناصر المهمة الخاصة المؤقتة ad hoc وإدراك بأنه إذا واجهت أى من القوى الكبرى معارضة،لأى سبب من الأسباب، فإن الآلية ستفقد فاعليتها. وقد وصف أحد المؤرخين البريطانيين المرموقين الميثاق بأنه "تحالف للقوى الكبرى، مجسدا فى منظمة عالمية"(٤). فإذا كان التحالف غير قابل للتطبيق، وهو ما كان عليه فعلا خلال الحرب الباردة، فلا يمكن أن نتوقع من الميثاق أن يعمل كما خطط له.

رابعا: تولى الأمم المتحدة اهتماما بالوقاية prevention بمقدار اهتمامها بالعلاج cure، كما تهتم بتجنب الأزمات بدرجة اهتمامها بمعالجة الأزمات عند وقوعها. وأسباب الحرب متشعبة ومن المحتمل أن تكون أكثر تعقيدا من مجرد صدام إرادات بسيط بين زعماء مستبدين يسيطرون على دول متجانسة. وهناك نقطة ملفتة وهى الطريقة التى تتعامل بها الحكومات مع الأفراد أو الجماعات من مواطنيها، بمن فيهم من أقليات من أى نوع، سواء أكانت أقليات إثنية أم لغوية أم ثقافية أم دينية أم إقليمية. وكان ينظر إلى حقوق الإنسان على أنها مسألة ذات اهتمام دولى رئيسى. ونتيجة لذلك

دارت مناقشات عن الموضوع ككل، وعن تبنى عدد كبير من النصوص تغطى بالتفصيل نطاقا واسعا من الموضوعات. ويمكن أن نذكر ثلاث وثائق لها أهمية خاصة: الإعلان العالمى لحقوق الإنسان لعام ١٩٤٨، العهد الدولى للحقوق الاقتصادية والاجتماعية لعام ١٩٦٦، والعهد الدولى للحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦ أيضا. وهذه الوثائق الثلاث التى أسهمت فيها الغالبية العظمى من الحكومات الأعضاء تشكل معا "الوثيقة الدولية لحقوق الإنسان" The International Bill of Human Rights[٥].

خامسا: وجد أن منطق الاهتمام بمنع الصراع يؤدى بشكل واسع وكبير إلى الشئون الاقتصادية والاجتماعية، والطريقة التى يتم بها تناول هذه الشئون، سواء محليا أو دوليا. وهناك إدراك بأن السلام والرخاء مرتبطان ارتباطا وثيقا. فالتنمية هى وسيلة أولى لبناء السلام. والسلام شرط أساسى للتنمية السليمة. وكما سبق أن لاحظنا فإن عصبة الأمم قد أحرزت بعض التقدم فى تناولها للمسائل الاقتصادية والاجتماعية على أساس دولى. ولكن العمل على النطاق المطلوب يصبح عمليا أكثر عندما تعترف الحكومات بشكل أكثر موضوعية بمسئولياتها داخليا ودوليا فى هذه الميادين، وعندما تتطور الأساليب، يتسع هذا الاعتراف. وقد ناقشنا هذه القضية بتفصيل أكثر فى المحاضرة التالية عن "الاقتصاد العالمى".

سادسا: جسدت الأمم المتحدة مفهوم النشاط الجماعى بشكل أكمل عما كان عليه الحال من قبل فى العلاقات الدولية. والواقع أن الأمم المتحدة هى ثلاثة مجتمعات: فهى فى المقام الأول: مجتمع سياسى لأعضائه ذوى السيادة مصالح مشروعة وغالبا متباعدة. وهذه المصالح يجب أن يتم التصالح بشأنها إذا أريد تجنب كارثة الحرب. ومصادر الاهتمام المشروع من جانب الأعضاء بهذا المجتمع السياسى مصادر واسعة، مثلما هى المصادر المحتملة للصراع. ثانيا: الأمم المتحدة هى مجتمع للإدارة، بمعنى أن هناك الآن نطاقا هائلا للأعمال التجارية التى يتم عقد صفقات بشأنها بشكل جماعى بمعرفة الحكومات الأعضاء، أو بمعرفة الأمانة العامة للأمم المتحدة بالإنابة عن الأعضاء وهى تتكلف مليارات الدولارات سنويا. ولهذا من الحيوى أن تتم هذه الأعمال بشكل فعال، بمعنى تحقيق النتائج المرجوة، وبكفاءة، أى الاستخدام الأمثل للموارد المطلوبة والمتاحة. ثالثا: الأمم المتحدة هى مجتمع التفكير. ففى عالم يقوم على الاعتماد المتبادل

ويتعرض لتغيير متزايد السرعة، فإن الرغبة الجماعية للنظر حولنا والتطلع للأمام أمر جوهري. وربما لا يكون هناك شيء يوضح هذا أفضل من اهتمامنا بالبيئة والحاجة لتحقيق أساليب حياة مستدامة.

مواد التهرب فى الميثاق :

مع تركيز ميثاق الأمم المتحدة على الشعوب أكثر من الحكومات، واهتمامها بالرفاهية وحقوق الإنسان، والنص على العمل الجماعى والإتفاق الجماعى والحساسية من التطورات فى مجال التكنولوجيا والاتصالات التى يمكن أن تبطل المفاهيم القائمة للسيادة، فإن هذا الميثاق بقى مصدرا رئيسيا للسلطة "الحكومية" والامتياز "الحكومى". ويتضح هذا بجلاء فى أربع مواد من الميثاق تحفظ بشكل خاص الحقوق التقليدية للحكومات. "ليس فى هذا الميثاق ما يسوغ للأمم المتحدة أن تتدخل فى الشئون التى تكون من صميم السلطان الداخلى لدولة ما (المادة ٢ فقرة ٧)، ليس فى هذا الميثاق ما يضعف أو ينتقص الحق الطبيعى للدول، فرادى أو جماعات فى الدفاع عن أنفسهم فى حالة هجوم مسلح (المادة ٥١)، ليس فى هذا الميثاق ما يحول دون قيام تنظيمات أو وكالات إقليمية تعالج من الأمور المتعلقة بحفظ السلم والأمن الدولى ما يكون العمل الإقليمى صالحا فيها ومناسبا ما دامت هذه التنظيمات أو الوكالات الإقليمية ونشاطها متلائمة مع مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها (المادة ٥٢)، ليس فى هذا الميثاق ما يمنع أعضاء الأمم المتحدة من أن يعهدوا بحل ما ينشأ بينهم من خلاف إلى محاكم أخرى خلاف محكمة العدل الدولية (المادة ٩٥). ومع هذه المجموعة من التحفظات، قد يبدو أن هناك انتقاصا كبيرا من التزامات الحكومات الأعضاء. ومع هذا،هناك مقايضة لا مفر منها بين التنازل عن المسئولية التنفيذية التى قد تكون الحكومات على استعداد لتقديمها فى سبيل الصالح المشترك وصالح هذه الحكومات نفسها من جهة، وبين الدرجة التى تكون فيها لهذه الحكومات الحق فى الإصرار على الحق الانفرادى فى حماية ما تراه من مصالحها الحيوية، من جهةٍ أخرى.

ويمكن القول أن الأمم المتحدة قد استطاعت أن تميل الميزان لصالح دور الدولة، وفى الوقت نفسه استطاعت أن تؤكد حقوق المواطنين، فى التوقيت نفسه بالضبط عندما كان الاعتماد المتبادل يظهر بوضوح حدود قدرة الحكومات على تناول المشكلات والأولويات التى تواجهها. وبهذا القدر يمكن اعتبار أساليب عمل الأمم المتحدة والأخلاقيات والعادات السائدة فيها عائقا يحول دون إقامة ترتيبات الحكم الرشيد الذى يمكن فى الغالب أن يحقق المدى الكامل لأهداف ميثاق الأمم المتحدة. ولكن العلاقة بين حقوق كل دولة والضرورات الجماعية للسلم والرخاء هى أبعد ما تكون عن البساطة والوضوح. فنحن نتحرك تجاه مجتمع كونى global قد يحتاج بشكل متزايد إلى ضبط كونى global regulation ولكن ليس معنى هذا أننا نريد حكومة عالمية. فأى نظام كونى يمكن أن ينشأ من تطور تدريجى وليس بالضرورة منظما لترتيبات الأمة - الدولة وانعكاساتها على المسرح الدولى على شكل تنظيمات دولية، خاصةً الأمم المتحدة. والغريب أنه كلما احتوى ميثاق الأمم المتحدة على ضمانات السيادة الوطنية، كلما زاد عدد الحكومات التى على استعداد لقبول عمليا منطق الاعتماد المتبادل الحديث، وهذه نقطة يميل أنصار الفدرالية الأوروبية إلى نسيانها.

الأعوام الخمسون الأولى: تقييم :

إن خمسين عاما من التغيير السريع تعتبر فترة قصيرة لإجراء تقييم نهائى لدور منظمة فى شمول الأمم المتحدة. وفضلا عن ذلك ففى أربعة أخماس هذا الوقت كان العالم يعانى من الحرب الباردة. ومع هذا، فمن حق المرء أن يضع كشف حساب مؤقتا ولكنه إيجابى بشكل قوى. وإذا اعتبرنا أن التشكيك الذى قوبل به المشروع الطموح من عدة جهات بمثابة مقياس، فإن مجرد استمرار المشروع على قيد الحياة يعتبر إنجازا كبيرا. فمشروع له مثل هذه الطموحات العالية كان يمكن أن ينهار لو لم يكن قد تم تصوره بشكل سليم. ومع هذا فهو لم يستمر على قيد الحياة فحسب، بل إن عدد أعضائه تضاعف ثلاث مرات، فى الوقت الذى استطاع أن يحافظ على استمرارية ملحوظة فى مقاصده وأعماله، وفى الوقت نفسه إظهار القدرة على التكيف والمرونة

الضرورية للتأقلم مع التغييرات الجذرية فى الأحوال. أما المبادئ الست التى قامت عليها الأمم المتحدة والتى نوقشت أعلاه، فقد بقيت راسخة بقوة. واحتفظت الأمم المتحدة بالأساس الأخلاقى العالى الذى حصلت عليه فى سان فرانسيسكو عام ١٩٤٥ . وهناك القول المأثور لجين مونيه Jean Monnet النائب السابق للأمين العام لعصبة الأمم، والذى عرف بأنه أحد الآباء المؤسسين للجماعة الأوروبية European Community، الذى يقول فيه إن المؤسسات قد لا تغير الطبيعة الإنسانية ولكنها قادرة على أن تؤثر فى طريقة سلوك البشر(٦). وأى امرئ ينظر بشكل محايد إلى الطريقة التى تورطت بها إمبراطوريات أوروبا فى الحرب العظمى عام ١٩١٧ لن يجد مفرا من التسليم بأنه يجب إحداث بعض التغيير فى السلوكيات أمر مرغوب فيه(٧). فعادة الاستشارة، والاعتراف بالمصلحة المشتركة، ورعاية وجهات النظر المشتركة وممارسة التعاون المعقول، كل ذلك أصبح متأصلا وينظر إليه على حقيقته وهو: أنه فى خدمة الانسجام الدولى والرفاهية الدولية.

وتعبر ديباجة ميثاق الأمم المتحدة عن تصميم شعوب الأمم المتحدة على "إنقاذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التى خلال جيل واحد جلبت على الإنسانية مرتين أحزانا يعجز عنها الوصف." ونجح هذا التصميم. فلقد شهد العالم العديد من الحروب وكثيرا من المعاناة فى السنوات الخمسين الماضية. وكان هناك وعى بهذه الويلات بسبب النمو الهائل فى الاتصالات والتغطية الإعلامية. ولكن أمكن تجنب كارثة الحرب على نطاق الحربين العالميتين فضلا عن محو المدنية بالإبادة النووية. ومن الحماقة أن ننكر على الأمم المتحدة بعض الفضل على هذه النعمة كما أنه لا يجب أن نعزو كل الفضل للأمم المتحدة. والأكثر حماقة هو أن نفترض أن المجتمع الدولى يمكن أن يستغنى عن الأمم المتحدة فى القرن الواحد والعشرين. إن ذلك يعرض مستقبل الجنس البشرى للمخاطر لا يحق لأية حكومة منتخبة ديموقراطيا أن تقره.

إن المهمة هى فى تقييم أداء الأمم المتحدة فى السنوات الخمسين الماضية وبحث دورها فى تلبية احتياجات "الدبلوماسية الجديدة" فى القرن الواحد والعشرين. ويمكن القول بحق أنها نجحت، على الرغم من كل الصعوبات وأوجه النقص، فى مواجهة مقتضيات النصف الثانى من القرن العشرين. فهى منظمة لا يمكن الاستغناء عنها.

وكما أن "الدبلوماسية القديمة" يمكن أن تدعى أنها حافظت على السلام الرئيسى لمائة عام بعد مؤتمر فيينا عام ١٨١٥، فإن الأمم المتحدة يمكن أن تدعى – كما سبق أن ذكرنا – بأنها أحرزت إنجازا مماثلا خلال نصف القرن الأخير، على الرغم من الحرب الباردة، التى سيطرت على العلاقات الدولية خلال معظم هذه الفترة[٨]. ويمكن أن ينسب إليها أيضا الفضل فى أنها واجهت – وان لم تحل – عددا كبيرا من المشكلات التى لم ترق إلى شن الحروب، وخاصةً فى ميادين "الغزوات" التى سبق أن وصفناها. وقد حققت ذلك بفضل مرونتها وقدرتها على التكيف.

ومع هذا، هناك عدد من مصادر القلق عن كيف يمكن للأمم المتحدة أن تستجيب لمقتضيات الاعتماد المتبادل اليوم وغدا. ويمكن ذكر ثلاثة من هذه المصادر. الأول، داخل مجال الحفاظ على السلم والأمن، وهو لب مسئولية الأمم المتحدة، ومن الضرورى أن نحتفظ تحت الملاحظة الدقيقة بالمدى الذى يمكن أن نحافظ واقعيا على الحظر المنصوص عليه فى المادة الثانية (فقرة ٧) من الميثاق عن التدخل فى الشئون "التى تكون من صميم السلطان الداخلى" للدول فى أحوال الاعتماد المتبادل[٩]. وتقوم "الدبلوماسية الجديدة"، كما سبق أن قامت "الدبلوماسية القديمة" على أساس نظام الأمة – الدولة. ولكن عناصرها الرئيسية المتعلقة بالديموقراطية وحقوق الإنسان والحكومة المسئولة والتعاون الدولى تثير السؤال التالى: إلى أى مدى تستند شرعية الحكومة،ليس على وجود نظام الأمة – الدولة وحده ، ولكن أيضا على قدرة النظام على توفير الأحوال التى تساعد الناس على أن يحيوا حياة هادئة ومنجزة. وتشير "الدبلوماسية الجديدة" فى هذا الصدد على المدى الطويل إلى استحسان الحكم الرشيد فى كل دولة على حدة، فضلا عن الحكم العالمى القائم على سلطة دولية مقبولة. وبمعنى آخر فإنها تشير إلى مجتمع مدنى دولى له شكل ما. أما كيف يتم التعبير عن ذلك، وكيف يتم تحقيقه، فإنها مهمة تكتنفها صعوبة بالغة وتحتاج إلى الكياسة.

ثانيا: إن البحث عن "التقدم الاجتماعى والمستويات المعيشية الأفضل فى ظل حرية أوسع، هى فى صميم الأمم المتحدة، وهى ليست أمرا يتعلق بالأمم المتحدة وحدها. فالأمم المتحدة يمكن أن تنشط – إذا استخدمنا الصياغة الواردة فى ميثاق الأمم المتحدة – هذه الأهداف. ولا يمكن أن نتوقع أن تحققها بنفسها. فتنشيطها

مرتبط بتقدم الاقتصاد العالمى وبمجموعة كاملة من الإجراءات التى تتخذها الحكومات لتوجيه وإكمال جهود الأفراد والشركات فى كل مجال ذى صلة. فالتقدم الاجتماعى والاقتصادى والتنمية المستدامة هى نتاج مجموعة ضخمة من القوى و سلطة اتخاذ القرار. ولكى يدار العالم القائم على الاعتماد المتبادل فإننا نحتاج إلى ترتيبات مرنة، تضم كل الهيئات الحكومية والمنظمات غير الحكومية التى لها تأثير على الاقتصاد العالمى. وهذه الترتيبات لا يمكن إلا أن تكون مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأمم المتحدة. وليس من الجوهرى أن تكون جزءا منها. وقد تم بحث هذا الموضع فى المحاضرة الخامسة عن "الاقتصاد العالمى".

ثالثا: على الرغم من أن الأمم المتحدة قد اعترفت منذ البداية بأهمية الاعتبارات الإقليمية، ونطاق تسوية المنازعات الإقليمية وليست العالمية، فإن أهمية المنهج الإقليمى للاعتماد المتبادل العالمى قد زاد بدرجة كبيرة منذ نهاية الحرب الباردة. وينطبق هذا بشكل خاص على أوروبا، ليس بالمعنى الجغرافى التقليدى للمنطقة الواقعة بين الأطلنطى والأورال فحسب، ولكن أيضا على أساس واقعى de facto تستخدمه الأمم المتحدة. وفيما يتعلق بالأمم المتحدة، فإن المنطقة الأوروبية، التى تغطيها اللجنة الاقتصادية لأوروبا تشمل الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وكل الجمهوريات السابقة للاتحاد السوفيتى. ولأغراض عديدة تعتبر اليابان أيضا جزءا من "منطقة اللجنة الاقتصادية لأوروبا" والتنمية داخل هذه المنطقة، بكل ما فيها من أسباب عدم الاستقرار وعدم إمكانية التنبؤ بشىء، تعتبر جوهرية ليس لأعضائها فحسب، وإنما للأمم المتحدة كلها. ومع هذا فمن المحتمل أن يستمر البت فى مصيرها داخل المنطقة إلى حد كبير وليس داخل تجمعات على مستوى العالم. وهذه النقطة مهمة لدراسة "هندسة العمارة الأوروبية" فى المحاضرة السادسة.

حفظ السلام فى ظروف متغيرة

على الرغم من أن الأمم المتحدة لديها مثالان مهمان لصالحها بالنسبة للمقاومة الناجحة ضد العدوان المسلح – فى حالة كوريا عام ١٩٥٠ والكويت بعد أربعين عاما – إلا أنها اشتهرت أكثر فى مجال أقل بروزا وهو حفظ السلام. وحفظ السلام هو

المحافظة على السلام بعد أن تتوقف الأعمال العدائية وبرضاء جميع الأطراف، ويقوم بذلك "خط أزرق رفيع" من المراقبين. وحفظ السلام ليس مذكورا فى الميثاق. ويعتبر إنجاز الأساليب التى تم تطويرها بمثابة خدمة عظيمة للمجتمع الدولى. ومنذ نهاية الحرب الباردة أصبح حفظ السلام أكبر، إن لم يكن أهم أنشطة الأمم المتحدة مع عدد من العمليات فى أجزاء مختلفة من العالم شملت أكثر من ٥٠٠٠٠ من العسكريين. وهذه الأنشطة تكلفت ٣ مليار دولار عام ١٩٩٣، وهى ثلاثة أضعاف الميزانية العادية للأمم المتحدة.

ولكن فى الأعوام الأخيرة تغير طابع عمليات حفظ السلام بشكل كبير. وقيل إن "الديموقراطيات الليبرالية لا تحارب بعضها البعض"، وهو طرح أثبت فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية أن له بعض الوزن. ولكن تقلص عدد الحروب بين الدول قد واكب للأسف ارتفاعا فى عدد الحروب الأهلية، حيث الأحوال تجعل بالضرورة من المساعدة الخارجية من أى نوع أمرا مثيرا أكثر للجدل. وأعقد المشكلات التى تواجهها الأمم المتحدة الآن تدخل فى هذه الفئة مثل السودان ورواندا والصومال وأنجولا ويوغوسلافيا سابقا. وعندما تنشب الصراعات داخل الدول بدلا من أن تنشب فيما بينها، فإن المبادئ التقليدية التى تحكم حفظ السلام لا تنطبق بوجه عام مثل الطابع الدولى للنزاع، وموافقة كل الأطراف المعنية وعدم التحيز وعدم استخدام القوة. وفضلا عن ذلك، ما هى صلة مبدإ عدم التدخل فى أمور من صميم السلطان (الاختصاص) الداخلى المنصوص عليه فى المادة الثانية (فقرة ٧) من الميثاق؟ وإذا كان هناك انهيار كامل للقانون والنظام داخل بلد ما، مما يؤدى إلى موقف فيه إساءة للضمير الإنسانى الدولى وتهديد لدول أعضاء مجاورة، فهل هناك بالضرورة حالة تستدعى الانتقال من الفصل السادس من الميثاق،الذى ينص على التسوية السلمية للمنازعات،إلى الفصل السابع ("فيما يتخذ من الأعمال فى حالات تهديد السلم والإخلال به ووقوع العدوان") والتى بمقتضاها يجوز لمجلس الأمن أن يبدأ عملا إلزاميا؟ واتصالا بهذا الاتجاه: هل المجتمع الدولى يرغب فى التدخل عندما تقوم حكومة، معروف عنها أصلا أنها حكومة راسخة، بمعاملة بعض أو كل رعاياها بطريقة تسبب إساءة عامة وخرقا واضحا للتعهدات فيما يتعلق بحقوق الإنسان؟ هذه النقطة سبق أن أثيرت فى أعقاب طرد القوات العراقية من الكويت، وفيما يتعلق بمعاملة الرئيس صدام حسين للأكراد وسكان جنوب العراق.

هل هى صفقة جديدة؟ الدبلوماسية الوقائية، وصنع السلام، وحفظ السلام، وبناء السلام :

هذا المدخل العام لقضايا السلام والأمن العالميين كان مركزيا لتطور المناقشة عن دور الأمم المتحدة منذ نهاية الحرب الباردة. ففى يناير ١٩٩٢ اجتمع مجلس الأمن لأول مرة على مستوى رؤساء الدول والحكومات. وقد عقد الاجتماع بمبادرة بريطانية وتحت رئاسة بريطانية. وبينما أكد مجلس الأمن بأن "العالم اليوم لديه أفضل فرصة لتحقيق السلام والأمن الدوليين منذ اقامة الأمم المتحدة"، تعهد مجلس الأمن " بتناول بشكل عاجل كل المشكلات الأخرى، وبخاصة تلك المتعلقة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية، التى تتطلب استجابة جماعية من المجتمع الدولى..."(١٠) والإشارة إلى "كل المشكلات الأخرى" هى تذكير بمدى اتساع جدول الأعمال الذى يجب على المجتمع الدولى أن يبحثه. وكما سبق أن أوضحنا، فعلى مدى أكثر من عشرين عاما أو نحو ذلك فرضت سلسلة من "القضايا الجديدة" نفسها بشكل متزايد على اهتمامنا: مثل حماية البيئة، والهجرة الجماعية الإجبارية، والإرهاب، والجريمة المنظمة، وإساءة استخدام المخدرات، ومرض الإيدز (نقص المناعة المكتسبة). وبالإضافة إلى ذلك برز بشكل أكثر إيجابية عدد من الأولويات الاجتماعية مثل دور المرأة فى المجتمع، واحتياجات الأطفال، والإجراءات التى تتخذ لمساعدة كبار السن والمعوقين.

وقد طلب مجلس الأمن من الأمين العام،الذى كان قد تسلم منصبه منذ قليل، أن يعد تحليلا ويشير بتوصيات عن طرق تقوية قدرة الأمم المتحدة على القيام بالدبلوماسية الوقائية وصنع السلام Peace Making وحفظ السلام Peace Keeping، وجعلها أكثر كفاءة، فى إطار الميثاق وأحكامه. وقد وزع تقرير الدكتور بطرس بطرس غالى فى يونيو ١٩٩٢ تحت عنوان "جدول أعمال السلام" *Agenda for Peace*(١١)، وعلاوة على تصنيفات الدبلوماسية الوقائية وصنع السلام وحفظ السلام أضاف الأمين العام تصنيفا آخر هو "بناء السلام Peace Building بعد الصراع". وقد صمم ذلك لبناء بيئة جديدة يجب النظر إليها على أنها "نظير الدبلوماسية الوقائية" Preventive Diplomacy. وبهذا وجدت صلة أخرى تربط بين تنمية السلام والأمن من جهة والرفاهة الاقتصادية والاجتماعية من جهة أخرى. وكما لاحظ الأمين العام فإن "التنمية الوقائية هى تكملة ضرورية للدبلوماسية الوقائية".

وقد اهتمت الجمعية العامة بهذه الصلة ، عندما طلبت من الأمين العام خلال دورتها العادية عام ١٩٩٢ إعداد تقرير عن "جدول أعمال من أجل التنمية "(١٢) Agenda for Development . وقد اهتم بذلك عدد كبير من الحكومات الأعضاء. وعقد رئيس الجمعية العامة جلسات استماع فى صيف عام ١٩٩٤ بعد توزيع تقرير الأمين العام. ورفعت توصيات الدكتور بطرس بطرس غالى إلى الجمعية العامة فى دورتها العادية عام ١٩٩٤ . وقد تناولنا ذلك فى المحاضرة الخامسة عن "الاقتصاد العالمى". وفى الوقت نفسه تم اقتراح عقد اجتماع قمة آخر لمجلس الأمن فى يناير ١٩٩٥، بهدف بحث ما تم إحرازه من تقدم منذ اجتماع القمة السابق. ولم يتم تنفيذ هذا الاقتراح. ولكن الأمين العام أصدر فى ٥ يناير ١٩٩٥ "ملحق جدول أعمال السلام" A Supplement to An Agenda for Peace الذى ركز على المشكلات العملية التى واجهها الأمين العام فى هذا المجال. وقد أكد على مشكلتين: هما صعوبة توفير عدد من كبار الشخصيات قادرة وراغبة فى العمل باعتبارهم ممثلين خاصين أو مبعوثين خاصين للأمين العام، وإقامة وتمويل بعثات ميدانية صغيرة للدبلوماسية الوقائية. وقد "انخفض إلى حد محسوس" توفر القوات والمعدات. وفى هذه الظروف احتاجت الأمم المتحدة إلى "التفكير الجاد فى المثل الأعلى وهو قوة رد فعل سريع". وفى الوقت نفسه كانت الأمم المتحدة عاجزة عن القيام بعمليات سلام قمعية. وفضلا عن ذلك، فإن مثل هذه العمليات كانت "تتسلل بالفعل إلى المقصود به أن تكون عمليات حفظ السلام"، مثال ذلك حماية الأنشطة الإنسانية، وحماية السكان المدنيين فى "مناطق آمنة"،"والضغط على الأطراف لتحقيق المصالحة الوطنية أسرع مما هم على استعداد لقبوله".

ومن المهم أن سرد أسباب السخط لم يكن يستشهد به عامةً باعتباره أساس للإيحاء بأن الأمم المتحدة ليس لها دور فى هذه المواقف الصعبة والغامضة، ولا أن هناك أى كيان آخر يمكن أن تعهد إلية بالمسئوليات. بل إن الأمين العام يتحدى أعضاء الأمم المتحدة للتوصل إلى إجابات على الأسئلة الملحة.

إعلان العيد الخمسينى للجمعية العامة :

تميز العيد الخمسينى للأمم المتحدة باجتماع تذكارى خاص للجمعية العامة فى نهاية أكتوبر ١٩٩٥ . وقد حضر الاجتماع عدد كبير من رؤساء الدول والحكومات،

الذين أصدروا بيانا، وعلى الرغم من أن مادة البيان قد تكون مألوفة،إلا أن ما ظهر منه من حجة وشمول يضفى عليه قيمة خاصة ودائمة بالنسبة لدارس الممارسة الدبلوماسية. وهو يجمع الاهتمامات الدولية الرئيسية بطريقة تعكس الطموحات التى يجب أن تستمر لإرشاد المجتمع الدولى وتثير الاهتمام بالتفاصيل العملية التى تعتبر جوهرية فى تحقيق هذه الطموحات. ولم يثر البيان اهتماما شعبيا. ولكن استمر الاعتراف بقيمته الكاملة باعتباره جدول أعمال للمستقبل.

ويبدأ البيان بالتأكيد الجاد بمقاصد ومبادئ الميثاق. ويعبر عن الامتنان للذين قدموا خدمات جليلة للأمم المتحدة فى الماضى، وخاصةً أولئك الذين ضحوا بأرواحهم فى سبيلها. ويعبر البيان عن تصميم "الدول الأعضاء والمراقبين بالأمم المتحدة،الذين يمثلون شعوب العالم" على أن الأمم المتحدة ستعمل مستقبلا بفاعلية وقوة متجددة. وأنهم سيزودونها بما تحتاجه، ويقدمون لها التمويل اللازم، ويعملون على إنشاء هيكل لها من أجل أن تخدم بفاعلية الشعوب التى تم إنشاؤها باسمهم. وبناءً عليه "فإننا سنسترشد بما يلى بالنسبة للسلام والتنمية والمساواة والعدالة والأمم المتحدة". ثم أعقب ذلك ما هو مطلوب بالتفصيل فى الميادين الخمسة المذكورة. ومن الملاحظ أنه لا يوجد أى إيحاء بأن كل هذا النشاط سيتم من خلال نظام الأمم المتحدة وحده، ولا من خلال الأمم المتحدة نفسها. وبالأحرى فإن الدول من أعضاء ومراقبين تتحدث بالإنابة عن شعوب العالم بالنسبة للمنظومة الكاملة لأنشطتها. والحقيقة فإننا نتذكر بشكل محدد التعهد الوارد فى المادة ٥٦ من الميثاق بأن يقوم الأعضاء منفردين أو مشتركين، بما يجب عليهم من عمل لإدراك مقاصدها. والفقرة الختامية للإعلان تعترف بأن جهودا مشتركة ستكون أكثر نجاحا إذا لاقت مساندة "من كل الفاعلين ذوى الصلة فى المجتمع الدولى"، بما فى ذلك المنظمات غير الحكومية، والمؤسسات المالية متعددة الأطراف، والمنظمات الإقليمية، و"جميع الفاعلين فى المجتمع المدنى".

وتحت عنوان "المساواة"،خُصِّص لحقوق الإنسان مركز رئيسى فى الإعلان جاء فيه: "نؤكد ما أقره الميثاق من احترام لكرامة الإنسان وقدره وكذا المساواة فى الحقوق بين الرجال والنساء. ونؤكد من جديد أن حقوق الإنسان كلها حقوق عالمية لا تقبل التجزئة وأنها حقوق مترابطة متشابكة". وقد رؤى أن الإنجاز العملى للأهداف فى

ميدان حقوق الإنسان مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنصوص تحت العناوين الموضوعية وهى السلام، والتنمية، والعدالة. ويوضح نص الإعلان تعقد الساحة التى على الدبلوماسيين أن يعملوا فيها والحاجة إلى استيعاب الوسائل المؤسسية المتاحة. كما توضح المزج الذى لا فكاك منه بين الجوهر والعملية. والإعلان بالطبع هو إقرار بالمشكلة،أكثر منه خطة لحلها. فالتعبير عن الأهداف أسهل من تحقيقها.

إصلاح اليوبيل الذهبى :

يعترف الإعلان بأنه حتى تستجيب المنظمة بشكل فعال لتحديات المستقبل ويما يتوقعه الناس من الأمم المتحدة،لابد من إصلاحها وتحديثها. ولابد أن تكون لديها موارد كافية. ويجب على الدول الأعضاء أن يدفعوا المبالغ المستحقة عليها فورا. ويجب أن يتم تقاسم العبء المالى بشكل منصف. ولابد لأمانات نظام الأمم المتحدة القيام بعمل أكثر كفاءة وفاعلية فى إدارة الموارد. أما الدول الأعضاء فإنها من جانبها ستتابع وتتحمل مسئولية إصلاح النظام.

ويعود هذا بالنفع على الذين يرون اليوبيل الذهبى للأمم المتحدة فى ١٩٩٥ على أنه السياق الذى يضغطون به من أجل الإصلاح. وهناك مجال أساسى للقلق وهو دور مجلس الأمن وتكوينه. فانشغال الغالبية العظمى من الحكومات الأعضاء بالمحافظة على الاختصاص الداخلى كما هو منصوص عليه فى المادة ٢(٧) يضع حدودا ضيقة على المدى الذى يمكن أن تصل إليه أية اتفاقية فى زيادة سلطات مجلس الأمن فى التدخل فى شئون أية دولة. وعلى أى حال فالمسألة ليست مما يحتمل حلها بتعديل الميثاق. وهى على الأرجح سيتم معالجتها عن طريق السوابق. فالأمم المتحدة ستتعلم من الأفعال. وهذا بدوره يعلق أهمية الكفاءة التى تدار بها عمليات الأمم المتحدة، وكذلك على وضوح الأهداف التى تتوخاها، وعلى المحافظة على توافق الآراء داخل المجتمع الدولى، وبالذات بين أعضاء مجلس الأمن،خلال سير العمليات. والتوصل إلى توافق الآراء أمر جوهرى. فهو لا يتضمن ببساطة مجرد التشخيص المتفق عليه للحالات الفردية ومن ثم المعالجة المناسبة لها، ولكنه يكمن فى الثقة طويلة الأمد، التى تتوطد داخل عضوية الأمم المتحدة

بوجه عام،بأن مجلس الأمن،الذى قد يتم التوسع فيه بشكل مناسب،هو فى الحقيقة أداة السعى لتحقيق الصالح العام.

والتوسع فى حد ذاته قد لا يكون مشكلة عويصة بالمعنى القانونى، إذا علمنا أن مجلس الأمن قد تم التوسع فى عضويته الأصلية البالغة ١٠ أعضاء إلى العضوية الحالية المكونة من ١٥ عضوا. وإقرار شروط العضوية لمجلس الأمن الموسع سيكون أصعب. فالعضوية الدائمة الواقعية de facto لألمانيا واليابان،على سبيل المثال، والتى تعتبر على نطاق واسع مناسبة بسبب حجمهما وقوتهما الاقتصادية، كما تعتبر مقبولة بعد مرور ٥٠ عاما على نهاية الحرب العالمية الثانية، يمكن تحقيقها بحذف الجملة الأخيرة من الفقرة ٢ من المادة ٢٣ من الميثاق. وهى تنص على أن العضو غير الدائم بالمجلس بعد انتخابه لمدة سنتين "لا يجوز إعادة انتخابه على الفور". فإعادة الانتخاب فورا وبشكل آلى يمنح العضو عضوية دائمة ، دون حق الاعتراض. وعلى أى حال فليس من المحتمل أن توافق الجمعية العامة بالأغلبية الضرورية – أغلبية الثلثين – على منح سلطة الاعتراض للأعضاء الدائمين الجدد. ومن غير المحتمل أن تضغط الدول الدائمة الجديدة المحتملة من أجل ذلك. ولكن ما هى الدول التى يمكن أن تستفيد من هذا التغيير غير ألمانيا واليابان،إما على أساس نفوذها فى أنحاء العالم أو أهميتها الإقليمية ؟ هل هى إندونيسيا؟ هل هى الهند؟ هل هى البرازيل؟ هل هى مصر؟ هل هى نيجيريا؟ وإلى أى مدى يمكن لمجلس الأمن أن يتوسع دون أن يفقد فاعليته ؟ فالمشكلة ليست مشكلة من المتوقع أن يوافق عليها أعضاء الأمم المتحدة بسهولة. ومع هذا تبقى جزءًا أساسيا لوسيلة تناول سلسلة القضايا محل اهتمام البشرية والتى عرضتها ديباجة الميثاق بوضوح يدعو للإعجاب. وتوافق الآراء السياسية هو خدمة لتوافق الآراء العام فى المجالين الاقتصادى والسياسى وليس من زاوية الصراعات السياسية وحدها. إن تجنب الأزمات أمر مفضل على معالجة الأزمات بعد وقوعها. ويكون التركيز على المدى الطويل وليس على المدى القصير. فعلى المدى الأطول قد تكون القضايا الاقتصادية هى الحاسمة.

وفى سياق الأمم المتحدة، فإن الضغط من أجل الإصلاح يكون كبيرا كما فى المجالين الاقتصادى والاجتماعى وكما هو فى علاقته بمسائل الأمن الدولى. والانتقادات

التى توجه إلى الأمم المتحدة على الجانب الاقتصادى والاجتماعى تقع فى فئتين بشكل واسع،والتى يمكن أن تصنف للتسهيل بـأنها الفئة "الكلية" macro والفئة "الجزئية" micro. أما عن الفئة الأولى،فـإن نظام الأمم المتحدة ينظر إليها على أنها غير قادرة على أن تعبر بشكل عملي متماسك عن الأهداف التى نص عليها الميثاق. ومن هنا يقال إنه يحتـاج إلى إعـادة تنظيم جذرى وتدعـيم، بما فى ذلك الأمـانة العـامـة، والمجلس الاقتصادى والاجتماعى، وبنية النظام ككل. وقد طرح عدد من الأفكار فى هذا الصدد. ومع هذا، تتمثل الصعوبة الدائمة بشأنها فى أن إدارة الاقتصاد العالمى يتميز بأنه عمل شديد التنوع والتشتت بحيث لا يسمح بإقامة أية هيئة متحكمة فعالة بمفردها. وحتى إذا وافقت الحكومات على إقامة مثل هذا الجهاز،وهو احتمال بعيد،فإن العالم الحقيقى القائم على الاعتماد المتبادل سيقابله بالتحدى. ومع هذا، فإن القضية لن تنتهى. فهى تحتاج إلى تتبعها بما يتوافق مع "جدول أعمال" الأمين العام. وهذه قضية سنتناولها بالتفصيل فى المحاضرة التالية.

أما عن النوع " الكلى" من النقد، فإن الأمم المتحدة ينظر إليها فى الغالب على أنها غير ذى كفاءة، وأنها مسرفة وفاسدة فى أنشطتها التنفيذية وأنها باهظة التكاليف وصعبة المراس ومعقدة التصميم وتنقصها المهارة والحماسة فى إدارتها. وبعض هذا النقد هو نتيجة التحيز ضدها أو الجهل بها. ولكن الأمم المتحدة يجب أن تتابع بقوة أوجه النقد "السليم" الذى وجه إليها، إذا أرادت أن تحافظ على الثقة فى قدرتها على تحقيق مطامح الميثاق. وفى النهاية فإن الحكومات يمكنها أن تحجب الأموال ، أو تهدد بذلك، باعتبارها وسيلة لممارسة الضغط على إدارة الأمم المتحدة. ومن الواضح أن التعاون الدولى الذى يتابع أهداف الميثاق لا يقوم ولا يسقط بأنشطة الأمم المتحدة وحدها. فإذا بدا فى القرن الواحد والعشرين، أن هناك طرقا أكثر فاعلية لتحقيق بعض الأهداف المرغوبة على الأقل، فإن جهاز الأمم المتحدة سيجد نفسه فى وضع سيئ بشكل متزايد.

المسئولية النهائية :

لا توجد منظمة أفضل من أعضائها. فالأعضاء يمثلون المسئولية النهائية. والأمم المتحدة ليست دواء لكل الأمراض كما أنها ليست فى موضع اتهام. فإمكانياتها وأوجه

قصورها أمور معترف بها منذ البداية. وقد جاء فى تقرير رسمى للمملكة المتحدة وتعليق على الميثاق بعد أن وافق عليه مؤتمر سان فرانسيسكو ما يلى:

"لا يوحى أحد أن هذا الجهاز بأكمله، مهما كان مؤثرا، يمكن أن يقوم وحده بالمحافظة على السلام أو زيادة رفاهية شعوب العالم. فهذا يتوقف على كيف تستخدم الحكومات هذا الجهاز، كما أن أعمالها بالتالى ستتوقف إلى حد كبير على الرأى العام فى بلادها كما هو معبر عنه من خلال هيئاتها التشريعية وغيرها من الهيئات. وهذه الحقيقة لا يمكن أن نبالغ فى تأكيدها ... فهى بوضعها الراهن منظمة قوية ومرنة وعن قريب ستكون تحت تصرف (أعضائها). كما أنها فضلا عن ذلك منظمة تتكيف مع الحقائق السياسية للعالم الحديث".

هذا الحكم الواضح المتزن قد ثبتت صحته مع الزمن. فبالنسبة للعضوية الجماعية، وللأعضاء فرادى، تمثل الأمم المتحدة فرصة ومسئولية. وهى تشكل بعدا إضافيا لدبلوماسية أية دولة، مهما كان حجمها.

ولكن من المناسب أن نطلق كلمة تحذير. فإن إعادة توحيد القوة لا يعنى أن القوة، سواء أكانت عسكرية أو اقتصادية أو تكنولوجية أو متصلة بعالم الأفكار والآراء، لم يعد لها أهمية. وقد اقترحت أحيانا على طلبتى أنه ينبغى أن تكون هناك فقرة تقدم مخرجا وتضاف إلى الجمل التى جاءت قبل ذلك فى هذه المحاضرة، وأعنى مادة جديدة رقم ١١٢ تكون فى نهاية الميثاق، بحيث تقول: "لا شىء فى هذا الميثاق يجب أن يسمح له لتثبيت الوهم بأن القوة لم يعد لها أهمية تذكر". فحقيقة القوة لا يمكن تجاهلها. والشىء نفسه صحيح بالنسبة للمبدأ المجسد فى الأمم المتحدة بأن المصلحة الذاتية الرشيدة ستخفف من حدة استخدام القوة، خاصة فيما يتعلق باستخدام القوة. "والدبلوماسية الجديدة" تعطى مجالا للأقل قوة بطريقة مختلفة عن "الدبلوماسية القديمة" التى خلت من ذلك. فأى دولة عضو - مهما كان حجمها - لها رأى فى الشئون العالمية بحكم عضويتها. وأى دبلوماسى يجب أن يكون ملما بماهية الأمم المتحدة وما تفعله، وبما يمكن حثها على أن تفعله.

(٥)

الاقتصاد العالمى

فى المحاضرة السابقة نظرنا إلى الأمم المتحدة باعتبارها التعبير الأساسى المؤسسى للاعتماد المتبادل الحديث والقاطرة الرئيسية "للدبلوماسية الجديدة". إن نطاق أنشطتها واسع، ومازال نطاق مشاوراتها واهتماماتها أوسع. ومن الواضح أن الأمم المتحدة، مهما تعرضت للإصلاح أو إعادة الهيكلة، غير قادرة على أن تقوم وحدها بإدارة الاعتماد المتبادل. فهناك قدر كبير من الأعمال التجارية التى يجب أن يتم تبادلها دوليًا، والتى لا يمكن أن تتم - بشكل أو بآخر - بواسطة أو من خلال الأمم المتحدة. وكما شرحنا فى نهاية المحاضرة الأولى، فإن الوسيلة العملية لتقييم هذا الاحتياج هو أن ننظر إلى واقع الاقتصاد العالمى والتدابير التى تحتاجها الحكومات للتعامل معه.

والدقة مطلوبة دائما. فما الذى نعنيه "بالاقتصاد العالمى"، وهى عبارة تستخدم منذ فترة طويلة؟ إننا لا نعنى ببساطة تدويل العملية الاقتصادية فى حد ذاتها، على الرغم من أهميتها. ومن جهة أخرى، يجب أن نكون حذرين فى استخدام عبارات شاملة لكل شىء مثل "القرية العالمية" Global Village أو "كوكب الأرض". على الرغم أن هذه العبارات لها دور مفيد فى تحفيز الفكر والطموحات، إلا أنها قد تشتت الانتباه عن تناول أعمال أكثر تفصيلا، وإن كانت جوهرية، على المستوى المحلى أو القومى أو الإقليمى. وما يهمنا هو شىء فى الوسط، يكون شاملا، ومع هذا محددا، ونعنى المزج بين عوامل تدخل فى السعى الدولى لإحراز تقدم اقتصادى واجتماعى، وهو أحد الأهداف الرئيسية للبشرية، كما ورد فى ميثاق الأمم المتحدة. إننا نسعى إلى تحقيق

هذا الهدف، علاوةً على ذلك، ليس فى حد ذاته فحسب، ولكن أيضا باعتباره ملازما للهدف الرئيسى الآخر للسياسة الخارجية، وهو ضمان السلم والأمن. وطبقا لهذا التعريف فإن "الاقتصاد العالمى" يمتد فعليا إلى كل نطاق الاهتمامات الإنسانية فى عالم قائم على الاعتماد المتبادل. "والدبلوماسية القديمة" ما كانت تستطيع أن تتعامل مع مثل هذه المهمة. "فالدبلوماسية القديمة" تحتاج إلى مجموعة متنوعة من الآليات لمواجهتها. فهى يجب أن تتعامل مع المجتمع الدولى كما هو اليوم، وكما تم وصفه فى المحاضرة الثانية. ويجب أن نتقبل أوجه القصور فى قدرات الحكومات، كما أوضحناه فى المحاضرة الثالثة. ويجب أن نستخدم الحد الأقصى مما تقدمه الأمم المتحدة من نطاق، ليس لحفظ السلام فحسب، ولكن أيضا لتحقيق رفاهية الإنسان، كما ناقشناها فى المحاضرة الرابعة.

العولمة الأولية والثانوية :

تستخدم كلمة "العولمة" Globalisation كثيرًا تعبيرًا عن الاعتماد المتبادل على نطاق عالمى. وللمرة الثانية، فهى كلمة تعانى من عدم الدقة. ففى عام ١٩١٤، أى خلال فترة "الدبلوماسية القديمة"، كان العالم قد وصل إلى مرحلة متقدمة من النشاط المتقاطع مع الحدود، كما يقاس بالمعايير النمطية مثل الصادرات باعتبارها مئوية للناتج القومى الإجمالى، وحجم الاستثمار الأجنبى، ونطاق الهجرة. وكانت التدفقات الدولية للسلع والخدمات ورأس المال والبشر تلقى تشجيعا منذ قرون، من خلال الطرق الكلاسيكية لعقد معاهدات الصداقة والملاحة والتجارة وغيرها من الطرق. كما أن التوسع الاستعمارى يرتبط أيضا بالتنمية الاقتصادية ، "فالتجارة تتبع العلم". وقد تسبب اندلاع حربين عالميتين فصلت بينهما ٢٠ عاماً فقط من السلام المزعزع، فى إحداث نكسة حادة فى عملية العولمة. ولم يعد نصيب التجارة من إجمالى الناتج المحلى إلى مستويات عام ١٩١٣ إلا عام ١٩٧٠ فى حالة دول منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية OECD بوجه عام[1]. وفى حالة الولايات المتحدة لم يحدث ذلك إلا فى أواخر الثمانينات. وبالنسبة لعدد كبير من دول أمريكا اللاتينية والدول الآسيوية كان النصيب الحالى أقل عما كان منذ ثمانين عاماً. وفيما يتعلق بالاستثمار الخارجى المباشر فقد

كان إجمالي المخزون ٩ في المائة من إجمالي الناتج المحلي عام ١٩١٣، وهذا رقم لم يتم استعادته حتى ١٩٩٠ . ومع هذا كانت هناك زيادة سريعة في الاستثمار الخارجي المباشر منذ منتصف الثمانينات.

أما تحركات البشر فلها قصة أخرى. فالهجرة من أوروبا إلى الولايات المتحدة وكندا وأستراليا والأرجنتين والبرازيل في الأعوام الثلاثين أو ما يقرب منها قبل ١٩١٤ كانت أكبر بكثير نسبيًا مما هي عليه الآن. فالقيود الحالية على الهجرة تتعارض تمامًا مع النطاق والسرعة في التحرك الدولي لعوامل الإنتاج الأخرى.

ومن الواضح أننا عندما ننظر إلى "الاقتصاد العالمي" باعتباره مظهر مؤسسي للدبلوماسية، فإنه ليس العولمة في حد ذاتها هي التي تعنينا، بل هو عمق التفاعل ونوعيته. "فالاقتصاد العالمي" عام ١٩١٤ كان، بوجه عام، له طابع تجاري واستعماري. أما القرن العشرين، في اعتماده المتبادل المتعدد الأوجه، فقد أنتج شكلا أكثر تعقيدا من العولمة – العولمة "الثانوية" وليست العولمة "الأولية". وفي المحاضرة الأولى بحثنا سلسلة من "الغزوات" للواجهة السياسية مما يفسر التحول من "الدبلوماسية القديمة" إلى "الدبلوماسية الجديدة". لقد كانت هناك سلسلة من الغزوات المتداخلة للواجهة التجارية والاستعمارية للاقتصاد العالمي. وهذه السلاسل، التي خضعت لكل التحفظات التي انطبقت على سابقتها، التي لا علاقة بها، يمكن أن ترتب كالآتي :

بداية الثورة التكنولوجية/المعلومات، التي ألغت الثورة الصناعية للقرن الثامن عشر، وأتت معها بتقدم هائل في العملية الاقتصادية، بما في ذلك خفض كبير في تكاليف النقل وزيادة سرعة الاتصالات وحجم المعلومات.

قيام الشركات العابرة للقوميات، وهي المركبة الرئيسية للنقل الدولي للتكنولوجيا وعولمة الإنتاج، وهي مختلفة عن التجارة في السلع والخدمات وحركة العوامل الفردية للإنتاج.

(جـ) زيادة كبيرة في التدفقات المالية الدولية، تمثل مضاعفًا للتجارة وتدفقات الاستثمار والتي تعتبر أن وظيفتها التقليدية هي تسهيل عملها.

(د) قبول الحكومات مسئوليات أكبر بكثير فى إدارة الاقتصاد، وهذا مختلف عن توازن الإنفاق الحكومى والإيرادات. وهذه المسئوليات لها مضاعفات دولية وقومية بعيدة الأثـر.

(هـ) تأثير الاهتمام الشديد برفاهية الإنسان والتقدم الاجتماعى، وهما مختلفان عن النمو الاقتصادى فى حد ذاته، وهو مرة أخرى اهتمام بالتشعبات الدولية الواسعة النطاق.

(و) ارتفاع اختيارات المستهلكين باعتباره عامل فى الاقتصاد العالمى، مما يعكس الزيادة الضخمة فى الدخل المتوفر للاستعمال والتسهيلات الائتمانية الشخصية التى زادت من الازدهار خاصةً فى الدول المتقدمة. واليوم أصبح وقت الفراغ والأزياء الحديثة والترفيه والرياضة والسياحة من العوامل القوية فى الشئون الدولية.

(ز) إدراك دائم بالمشكلات المعنية والصعوبات التى تعانى منها الدول النامية، التى شكلت الغالبية العظمى من عضوية الأمم المتحدة فى مطلع التخلص من الاستعمار.

(حـ) أولويات بيئية أصبحت أكبر إلحاحًا.

(ط) الأبعاد الأمنية للاعتماد المتبادل، الذى يعكس العلاقة المعقدة بشكل متزايد بين السعى للأمان والسعى للازدهار وهما يحظيان بالتزام عالمى.

يمكن الصفح عن المرء إذا توقف ليأخذ نفسا عميقا قبل تناول أبعاد كل هذه "الغزوات". ولكن لا مفر من المهمة إذا أريد لصنع السياسات أن يكون فعالا. والعولمة الثانوية تتطلب منا أن نتنبه إلى مظاهر ذات صلة بالاعتماد المتبادل، مع الاعتراف بأنه حتى ونحن مستعدون للتوغل فى أرض جديدة فى أثناء بحثنا، فيجب علينا أن نكون مستعدين للعمل مرةً أخرى فى الأرض القديمة. وكان هناك اقتراح بأن أحد المؤشرات المفيدة للعولمة يتمثل فى النسبة المئوية من الوقت الذى تستغرقه البرامج المنتجة فى الخارج على محطات التلفزيون الوطنية. وتوجد ثلاث اعتبارات عريضة ذات صلة بذلك. ففى المقام الأول، فإن الاعتماد المتبادل يتقدم بشكل هندسى وليس بشكل حسابى. فلا يوجد فقط اعتماد متبادل "داخل" الفئات – البلاد أو الشعوب أو القضايا أو المؤسسات

أو قنوات الاتصال – فهناك أيضا اعتماد متبادل "بين" هذه الفئات، بما يتبع ذلك من توسع للظاهر التى نحتاج إلى أخذها فى الاعتبار. وحتى يمكن فهم الاعتماد المتبادل فإنك لا تضيف العملية إلى الجوهر وإنما تضاعفهما معًا.

ثانيا: إن التطورات الخطيرة التى غيرت العولمة الأولية إلى عولمة ثانوية هى عمل المشروعات الخاصة والسوق وليس الحكومات. وأدوات التغيير الرئيسية هى غير حكومية. وكان دور الحكومة هو إزالة العوائق التى تعترض العمل الحر لقوى السوق وطاقة الإنسان وإبداعه. ويعكس ذلك فلسفة "سياسة الحرية الاقتصادية" بأنه حتى تحكم بطريقة أفضل من الضرورى أن تحكم بطريقة أقل. وقد وفر القرن العشرين بعض الأمثلة المبهرة عن صحة هذا الافتراض، وخاصةً الكوارث التى أحدثها التخطيط الاشتراكى ونظرية التدخل. وقد جعل انهيار الاتحاد السوفيتى أحد وزراء الخزانة البريطانية السابقين يتحدث عن نصر "داروينى" (نسبةً إلى داروين) لقوى السوق على الاقتصاد الذى تسيره الأوامر(٢).

ثالثا: إن ضمان النطاق الأقصى للمشروعات الخاصة وقوى السوق لا يعنى أن الحكومة يمكن أن تنزوى وتتمحى. فمازال من الضرورى أن تحتفظ بالخاتم، وهى مسئولية على الحكومات أن تقوم بها داخليا ودوليا، على حساب التضحية بدرجات متفاوتة من السيادة، وهو ما ناقشناه فى المحاضرة الثالثة. ومهما كانت ضآلة ما قامت به الحكومات من إدارة مباشرة للشئون الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، فإن هذه الحكومات ستجر حتما إلى شبكة دولية ممتدة من القواعد والاستشارات والعمل التعاونى. ومع هذا فإن إقامة الشبكة يميل إلى أن يكون بطيئا. ولقد كان هناك تخلفا زمنيا مؤسسيا فى الطريقة التى جاءت فيها البنية فى أعقاب الجوهر.

التحول المؤسسى: إدارة الاقتصاد العالمى :

كل هذه التطورات مجتمعة تتطلب تحولا فى الإدارة الاقتصادية الدورية. فالعالم، كما سبق أن ذكرنا، شهد توسعًا كبيرًا فى المنظمات الدولية المهتمة بالمظاهر المختلفة للاعتماد المتبادل. وشبكة الاستشارات بين الحكومات التى نألفها اليوم ضرورية

في ظل الظروف الحالية والمتوقعة، وهى تسمح حتى بتشجيع كامل للنشاط الاقتصادى "المستقل ذاتيًا"، أو الذى يكون مدفوعا بالسوق. والمشكلة هى أن نجعل الجهاز يتكيف مع الاحتياجات المتغيرة.

وربما نجد أن أوضح مثال على هذا التطور فى الاقتصاد العالمى متمثلٌ فى محتوى وسياق دورة أورجواى لمفاوضات التجارة المتعددة الأطراف، التى عقدت فى نهاية ١٩٩٣ تحت رعاية الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة GATT(٢). وقد أدى التعقيد الكبير الذى اتسمت به المناقشات والعمليات التى استغرقت مدة طويلة فى أن تحجب جزئيًا ضخامة ما تم إنجازه، وما يجب أن يتم للاستفادة من هذا الإنجاز. وكانت تغطية دورة أورجواى أفضل بكثير مما حدث فى الدورات السابقة. وكان أمام منظمة التجارة العالمية، وهى المنظمة التى أنشئت لتحل محل الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة، مسئوليات أوسع وسلطات أكبر. وحتى يمكن للمرء أن يفحص الموقف الحالى من المفيد أن يبدأ من إنجازات أورجواى، والمسألة المتعلقة بها وهى مهام المنظمة المنشأة حديثا، ثم بحث السياق الذى تم فيه الوصول إلى اتفاقٍ شاقٍ، وهو السياق الذى على المنظمة أن تعمل فيه.

إنجازات جولة أورجواى ومهام منظمة التجارة العالمية:

أولا: الإنجازات. تم تلخيص هذه الإنجازات فى إعلان مراكش (المغرب) الذى تمت الموافقة عليه فى أبريل ١٩٩٤، والتى أنهت دورة أورجواى رسميًا :

(أ) إطار قانونى أقوى وأوضح لمسار التجارة الدولية، بما فى ذلك آلية لتسوية الأزمات تكون أكثر فاعلية ويمكن الاعتماد عليها.

(ب) خفض عالمى قدره ٤٠ فى المائة للتعريفات الجمركية، واتفاقات أوسع لانفتاح الأسواق، وزيادة القدرة على التنبؤ والأمن ممثلة فى توسع كبير فى نطاق الالتزامات التعريفات.

(جـ) إقامة "إطار متعدد الأطراف من النظم" فى الخدمات وحقوق الملكية الفكرية المرتبطة بالتجارة ونصوص "تدعيمية" فى الزراعة وفى المنسوجات والملابس.

وكان للوزراء فى المغرب الحق فى الادعاء بأن إقامة منظمة للتجارة العالمية يبشر بعهد جديد للتعاون الاقتصادى العالمى. ولكنهم لم يقولوا أن قضايا السياسة التجارية التى تدخل ضمن مسئوليات منظمة التجارة العالمية كانت مستقلة عن غيرها، أو أن عمل المنظمة يمثل وسيلة شاملة لإدارة الاقتصاد العالمى ككل. ولكنهم دعوا إلى ترابط عالمى أقوى فى السياسات فى ميدان التجارة والمال والتمويل، بما فى ذلك التعاون بين المنظمة وصندوق النقد الدولى والبنك الدولى. وبمعنى آخر، فإن الاقتصاد العالمى يحتاج إلى إدارة محدثة.

إن عمل دورة أورجواى الذى لم ينته، إذا قيس بمقارنة الناتج الحقيقى بالنوايا المعلن عنها فى بدايتها (كما جاءت فى إعلان بونتا دى ليستا فى أورجواى فى ٢٠ سبتمبر ١٩٨٦[٤]) يعتبر مهمًا فى مناطق معينة، وخاصةً الخدمات. ومع هذا فإن الاقتصاد العالمى يتحرك باستمرار. وقد تغيرت الأحوال فى عدد من الجوانب المهمة. والاحتياج العملى اليوم هو وضع قائمة بالمهام التى يجب أن تقوم بها منظمة التجارة العالمية، وبعضها نشأ مما لم يتم الاتفاق عليه فى دورة أورجواى. ولاشك أن مسألة الخدمات والمناطق الجديدة لتحرير السوق تأتى فى مقدمة هذه الفئة. ولكن هناك أولوية أولى فى أن تصبح المنظمة مؤسسة عالمية بالفعل، والصين وروسيا من بين عشرين دولة تنتظر أن تنضم إليها. ثانيا: لابد أن تحرص المنظمة على أن تعم منافع دورة أورجواى على جميع أعضائها. ثالثا: لابد لها أن تقوى سيادة القانون فى التجارة الدولية، وأن تكون فعالة فى تسوية المنازعات التى يمكن أن تنشأ. رابعا: يجب أن تكون قادرة على أن تتكيف مع الحاجات التى تتطور وتحديات الاقتصاد العالمى وأن تتعاون بشكل فعال مع غيرها من المؤسسات، وخاصةً صندوق النقد الدولى والبنك الدولى. كما يجب أن تطبق خبرتها الفنية وأن تمارس سلطتها على المسائل المتعلقة بالتجارة التى تتجاوز مجرد مفهوم الوصول إلى الأسواق. ولما كان السوق العالمى قد تخلى عن موقعه للاقتصاد العالمى، فإن الترتيبات الدولية لتنظيم وتنشيط التجارة ستتوغل داخل الحدود الوطنية لكل دولة. وهذه الترتيبات الدولية قد تحتاج إلى تشريعات وطنية. ومن المؤكد أن ينظر إليها بعض الناس على أنها مقحمة.

وهذا التوغل الدولى فى الترتيبات الاقتصادية والاجتماعية الوطنية سيؤثر بشكل عميق فى تشكيل السياسة الاقتصادية، وفى تطور الفلسفة الاقتصادية بلا شك. وهناك قدر من السخرية حقا فى أنه بينما أصبح العالم، خاصةً بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، متجها باطراد نحو آليات السوق، إلا أن الثقة فى التأثير المفيد لقوى السوق تعرضت لهجوم متزايد. فمثلا، ليس من الواضح أن تحقيق المنافسة الدولية يجب أن يمثل الأولوية الغالبة، إذ أن لها أصداء مدمرة فى الداخل. ويخشى عدد من الدول المتقدمة، التى تواجه بالفعل مشكلات بطالة حادة، من أن تتفاقم بسبب إقدام الشركات على نقل الإنتاج إلى ما وراء البحار حيث تكلفة العمال أقل. وثمة جدل أكاديمى مفعم بالحيوية عما هو أكبر مصدر للبطالة فى العالم المتقدم: هل هو المنافسة الدولية على الأجور المنخفضة أو أنه التقدم التكنولوجى النابع من الداخل؟ وقد أدت سرعة التغيير إلى زيادة حدة هذا الجدل. وهل استخدام الإنسان الآلى يمثل حقا خطرا على العالم المتقدم أكبر من السلع الرخيصة فيما وراء البحار؟

إلى حدٍّ ما تبدو المسألة أقل أهمية من الحاجة لزيادة الكفاءة فى تخصيص الموارد واستخدامها على أى حال. ولكن خطر ازدياد الإجراءات الحمائية التى تطيل أمد المستويات العالية من البطالة لا تحتاج إلى تأكيد. إن اعتبارات من هذا النوع العام هى التى يمكن أن تكون حاسمة بالنسبة لمستقبل منظمة التجارة العالمية. هل هناك حقا تناقضات كامنة فى العولمة يمكن فى النهاية أن تمنع تحقيق الأهداف العريضة لدورة أورجواى؟ إن التجارة الحرة الكاملة لم يكن لها وجود على الإطلاق. والتجارة "المسيطر عليها" لم تختف أبداً. وتمثل نجاح سنوات ما بعد الحرب فى تفكيك القواعد والتحرر أساساً. ولكن الضغوط الحمائية بدأت تتصاعد مع انخفاض التجارة المسيطر عليها. ومصادر الحمائية متعددة، وتشمل اعتبارات أمنية واجتماعية كما تشمل اعتبارات اقتصادية. وكلما كان الاقتصاد عالميا وزاد عدد المستهلكين والمنتجين الذين يشعرون بأن طريقتهم فى المعيشة وأسلوبهم فى الحياة مهددة لسبب أو لآخر، كلما أبدوا مقاومة للواردات أو أقدموا على إقامة تحالفات إقليمية لمواجهة الضغوط العالمية. وحتى يمكن المحافظة على التحرر الاقتصادى لابد من بناء ثقة عامة بأن المنافسة "عادلة" وأنها تؤدى كذلك إلى الكفاءة.

السياق العام لمولد منظمة التجارة العالمية :

إن جدول أعمال التجارة الدولية الذى يواجه منظمة التجارة الدولية مزدحم هكذا. ولكن لا يمكن تناوله بمعزل عن الجوانب الأخرى من الاستقلال الذى يؤثر على الاقتصاد العالمى فى أحوال العولمة الثانوية. وهذه الأحـوال، التى سبق وصفها بأنها سلسلة من "الغزوات" للواجهة الأمامية التجارية والإمبراطورية، يمكن تصنيفها قطاعياً. وسنطلق عليها "أبعاداً" من باب التيسير:

(أ) البعد الاقتصادى.

(ب) البعد الاجتماعى، حيث التركيز على البشر باعتبارهم منتفعين من التنمية الاقتصادية وليسوا فقط مجرد عملاء.

(جـ) بعد الهجرة، أى تأثير الحركة الإرادية واللاإرادية للبشر عبر الحدود الوطنية.

(د) بعد الدولة النامية، أى الهموم والحاجات المعنية، الجماعية والفردية، للدول الأقل ثراء والتى تشكل الأغلبية العظمى لعضوية الأمم المتحدة، والحاجة إلى استمرار المساعدات الدولية لها.

(هـ) البعد البيئى، وهو الاهتمام بالمحافظة على كوكبنا الأرضى وبيئتنا لمستقبل جدير بالمحافظة عليه من أجل أبنائنا وأحفادنا.

(و) البعد الأمنى، أى التفاعل المستمر بين السعى من أجل الأمان والسعى من أجل الازدهار الذى نلتزم بهما جميعا.

(أ) البعد الاقتصادى :

مر أكثر من خمسين عاماً على مؤتمر برايتون وودز الذى أنشأ صندوق النقد الدولى International Monetary Fund والبنك الدولى للتعمير والتنمية International Bank for Reconstruction and Development ، والمعروف الآن باسم (البنك الدولى) أو World Bank . وكانت النية تتجه أساسا فى أن تقام مؤسسة ثالثة، هى منظمة

التجارة الدولية. ولكن ميثاقها – كما صيغ فى المؤتمر التالى فى هافانا – فشل فى الحصول على موافقة الكونجرس بالولايات المتحدة الأمريكية. ومع هذا فإن نصوص السياسة التجارية لمنظمة التجارة الدولية تم إنقاذها وإدراجها فى الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (الجات). وقد وقع مهندسو اتفاقيات بريتون وودز وميثاق هافانا تحت التأثير القوى للتجربة المنهكة والكئيبة لفترة ما بين الحربين، مع إجراءات تحمل بذور فشلها وهى خاصة بالحماية وتخفيض قيمة العملة التى اتخذت فرديا وبشكل أنانى، على يد دول تمر بصعوبات. وكان جون مينارد كنيز مؤثرا إلى حد كبير فى الحصول على موافقة الحكومات على مسئوليتها عن الإدارة الاقتصادية، بما فى ذلك المحافظة على مستوى عالٍ ومستقرٍ من العمالة[٥]. ومثل هذه السياسات تطلبت تعاونا دوليا. ومن خلال تدابير برايتون وودز كان الهدف هو إعادة بناء سوق عالمية، مع تحكم كافٍ على رءوس الأموال لمنع شرور "المال الساخن" وتخفيض العملة المنافسة. وفى الوقت نفسه فإن حرية التجارة الدولية والمدفوعات (على الحساب الجارى وليس بالضرورى على حساب رأس المال) كان لابد أن يتمشى مع تحقيق مستويات عالية من العمالة المحلية، كما أن التدابير الثنائية والإقليمية كان يجب أن تتمشى مع التدابير على مستوى العالم. وكان على صندوق النقد الدولى أن يدعم نظاما لمعدلات التحويل الثابتة للصرف، بينما مول البنك الدولى عمليات إعادة التعمير والتنمية بعد الحرب. وعلاوة على ذلك، كان هناك إطار للتعاون الدولى ليحل محل القومية الاقتصادية وسياسات "التسول من جارى" "beggar-my-neighbor" التى كانت بارزة فى سنوات ما بين الحربين.

وبأى مقياس معقول، فإن إنجاز المؤسسين الأوائل لبرايتون وودز كان إنجازاً باهراً. فالنمو فى الازدهار كان كبيراً. وزاد الإنتاج والتجارة بشكل هائل فى السنوات الخمسين التى تخللت هذه الفترة. أما عن دور الأمم المتحدة فى تجنب حرب عالمية، فمن الحماقة أن نعزو هذا النجاح الاقتصادى كله إلى مؤسسات برايتون وودز: لأن ذلك يحرمها من أى فضل على الإطلاق فى تحقيق هذا النجاح. كما أنه ليس من المعقول أن نفترض أن دور هذه المؤسسات والغرض منها يجب أن يبقيا دون تغيير فى حين حدثت متغيرات كثيرة. فقد انهار نظام معدلات الصرف الثابتة، ويرجع ذلك إلى حد

كبير بسبب أنه لا يمكن الاحتفاظ بالعمالة الكاملة إلى جانب ذلك، عندما تتحرر حركات رأس المال. ومع هذا فإن حرية تدفقات رءوس الأموال كانت وسيلة لتوفير الموارد لإعادة التعمير والتنمية على نطاق لم يسبق تصوره للبنك الدولى. والحقيقة أن التدفقات الخاصة قد استعادت دورها السابق باعتبارها قاطرة قوية للتنمية. وقد تم تحويل الأموال نفسها عن طريق التطورات فى التكنولوجيا والاتصالات. والمال، شأنه شأن المعلومات أصبح الآن لا وزن له. فالنظام النقدى الدولى بأكمله أصبح "ساخنا" بمعنى أن التدفقات المالية اليومية تمثل، كما سبق أن أوضحنا، تدفقات تجارية متعددة وضخمة، ومن وظيفة النظام التقليدية أن يسهل ذلك(٦).

وهناك مثال مؤثر للاعتماد المتبادل وهو الطريقة التى أصبح بها الإنتاج معلوما. فالسلع والخدمات لا يتم تبادلها بسهولة عبر الحدود الوطنية فى الدول التى أصبحت فيها نهائية. فالشركات المتعددة الجنسيات تضع إنتاجها حيث تكاليف الإنتاج أقل. ويمكن لقوة رأسمالها وتقنيتها وجهازها التسويقى أن يجند للإنتاج حيثما تكون التكلفة أقل. واليوم فإن نسبة مئوية كبيرة من صادرات وواردات أية دولة قد تحتوى على ما يسمى "التحويلات فى داخل الشركة"، أى التحركات عبر الحدود الوطنية للسلع فى مراحل متعددة للإنتاج داخل مشروع متعدد الجنسيات. وبالطبع فإن واقع السيادة الاقتصادية الوطنية قد تقلص بشكل كبير نتيجة لذلك.

إن فشل مؤسسات برايتون وودز فشلا كاملا فى أن تواكب التطورات على أرض الواقع ربما يكون أقل أهمية فى المدى الطويل من الاعتراف العام الذى ساعدت على خلقه بأن لا غنى عن إطار مستمر من الاستشارات. فالتطورات فى الاقتصاد العالمى قد تصبح "مستقلة ذاتيا" أكثر من منتج مؤسسات دولية قائمة. ولاشك أن خطوات التغير التقنى، وهى بالفعل سريعة، ستزداد سرعة. واستجابةً لذلك، فإن التعاون بين الحكومات سيتطلب أن يصبح تعاونا لأغراض خاصة مؤقتة ad hoc وأن يتبع أيضا النماذج القائمة. ولكن الإطار سيستمر، لا ليحافظ على حكم القانون فى الشئون الاقتصادية فحسب وأن يتابع ما يجرى، ولكن أيضا لتحليل ظواهر الاقتصاد العالمى، وللتعبير بحرية عن التصورات الوطنية المختلفة والمصالحة فيما بينها والتفكير قدمًا.

(ب) البعد الاجتماعى :

إن الاقتصاد العالمى باعتباره مظهر مؤسسى لاهتمام الدبلوماسيين لا يقتصر على الظواهر الاقتصادية، على الرغم من تعقدها. فالغرض النهائى للإدارة الاقتصادية ليس النمو الاقتصادى وحده، ولكن الازدهار بمعنى رفاهية الشعب - "التقدم الاجتماعى والمستويات الأفضل للحياة فى ظل حرية أوسع" - كما جاء فى ديباجة الأمم المتحدة. ولا يدعو إلى الدهشة أن المدخل الإيجابى للإدارة الاقتصادية، التى دعا إليها كينز بوجه خاص فى الثلاثينيات، قد واكبها مدخل شامل للأمن الاجتماعى، ارتبط فى المملكة المتحدة باسم وليم بيفيريدج William Beveridge . ففى تقريره الشهير عن "التأمين الاجتماعى والخدمات المتحالفة" Social Insurance and Allied Services الذى نشر عام ١٩٤٢، تحدث بيفيردج، بعبارات تليق تقريباً بجون بانيان، عن معركة المجتمع ضد "العمالقة" الخمسة وهى الكسل والجهل والمرض والقذارة والعوز. وكان كل اهتمامه منصبا على الكسل الاضطرارى أو البطالة غير الإرادية، ومن ثم على السياسات التى تعمل على تنشيط العمالة والمحافظة عليها(٧). ولم يكن وحده فى هذا الاهتمام. فقد أدت التجربة المريرة فيما بين الحربين إلى ضمان أن تصبح البطالة بؤرة للاهتمام. وما هو جدير بالذكر أن المؤتمر الذى عقد بعد الحرب فى هافانا، والذى أشرنا إليه من قبل، والذى كان الغرض منه إنشاء منظمة التجارة الدولية، كان عنوانه : "مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والعمالة"(٨).

ولو لم تشكل البطالة مشكلة مهمة فى عشرات السنين التى أعقبت الحرب العالمية الثانية مباشرةً، لأمكن للمناقشات الدولية أن تركز على النمو الاقتصادى، وليس على البطالة أو خلق فرص عمل. ولكن لم تكن هذه هى الحالة. فقد أصبح التوقع الآن متمثلا فى أن الضغوط المتنافسة من أجل التحرر الاقتصادى الدولى من ناحية، وتوفير العمالة فى الداخل من جهة أخرى، ستكون الموضوع الرئيسى للمناقشات والمفاوضات الاقتصادية.

والتركيز على البطالة لا يعنى أن "العمالقة" الأربعة الآخرون الذين استهدفهم بيفريدج لم يعودوا محل اهتمام. على العكس من ذلك، فهؤلاء العمالقة يلقون اهتماماً متزايداً بسبب زيادة الوعى الاجتماعى والتوقعات الناشئة. ومن هنا فإن التركيز على الصحة والتعليم وكيان الأسرة وحاجات الشباب، ومكافحة الجريمة والإجراءات لوقف سوء استخدام المخدرات، من الأمثلة المألوفة. والعلاقة بين الإصابة بالأمراض ومدى شدتها وبين النمو الاقتصادى هى علاقة مركبة بالطبع. ولكن الاهتمام بالنمو الاقتصادى مع إهمال الأولويات الاجتماعية يمكن أن يكون ذا نتيجة عكسية فى المدى الطويل.

(جـ) بعد الهجرة :

كان أحد السمات الغريبة للقرن العشرين هو مدى ازدياد حراك عوامل الإنتاج الأخرى - مثل رأس المال والتكنولوجيا - بشكل كبير بينما تقلص عامل العمال. فقد كانت الهجرة أقل "انفتاحا" بكثير عما كانت عليه عام ١٩١٤، فيما عدا طبعًا داخل مناطق التكامل مثل الاتحاد الأوروبى. وفى القرن التاسع عشر زاد توفر الجهات المرغوب فيها فى الواقع أكثر من الطلب. وما يحدث الآن هو النقيض. فالحكومات بطيئة فى استيعاب أبعاد هذا التغير. ولكن المزج بين نمو السكان السريع غير المنتظم فى الدول الفقيرة والمفارقة الشديدة بين عمليات الخصخصة ومشاعر السخط السائدة فى هذه الدول والفرص المعروف أنها موجودة فى دول أخرى، كل ذلك قد أدى إلى وضع المناطق المزدهرة نسبيا فى العالم تحت ضغط رهيب. وأكثر مظاهر هذا الضغط وضوحا هو بالطبع تدفق اللاجئين المستمر وهو ما نراه فى التليفزيون وهم يهربون من الكوارث، سواء من صنع الإنسان أو الطبيعة. ولكن يظهر هذا الضغط فى أشكال أخرى. ولا يمكن إلا أن يكون عاملاً مهماً فى تطور الاقتصاد العالمى. فالهجرة، سواء أكانت إجبارية أم اختيارية، لها أهمية سياسية وأمنية قصوى. وفى النهاية فإن المناطق المزدهرة فى العالم ستضطر إلى استيراد إما السلع أو الخدمات أو السكان من المناطق الأقل ازدهاراً.

(د) بعد الدولة النامية :

تحول العالم فى القرن العشرين بسبب حصول عدد كبير من البلاد والأقاليم التى كانت تابعة، على استقلالها. ويوجد حاليا ١٨٥ عضو فى الأمم المتحدة (وصل عدد أعضاء الأمم المتحدة إلى ١٩١ دولة عام ٢٠٠٥ – المراجع) ، وهو ثلاثة أضعاف عدد الأعضاء الذى كان عندما تمت الموافقة على الميثاق عام ١٩٤٥ . والغالبية العظمى من هؤلاء الأعضاء الجدد هى دول نامية وفقيرة نسبيًا. وبعض هذه الدول حقق تقدمًا بارزا. ولكن البعض الآخر سيستمر فى وضع محروم من المزايا فى المستقبل المنظور. والمزايا مثل الحرمان منها تعتبر من الأمور التراكمية.

وقد انشغل المجتمع الدولى منذ مدة طويلة بمشكلة التخلف عن التنمية والمساعدات المقدمة للبلاد الأكثر حاجة إليها. وهذا الانشغال مر بعدد من المراحل ومنذ البداية[٩] كان التأكيد على المساعدة الفنية – مثال ذلك " النقطة الرابعة" لترومان عام ١٩٤٩ – وعلى رأس المال من أجل التنمية. ولكن مع ظهور حركة عدم الانحياز، ودخولها فى مرحلة ثانية، زاد التأكيد على "قواعد اللعبة" فى التجارة العالمية، وعلى التحيز الملاحظ المبيت ضد الدول النامية الجديدة، وأساسًا بالطبع الدول المنتجة للمواد الأولية، فى صالح الدول المتقدمة الأقدم، وأساسًا الدول الصناعية. وقد مضى الآن ٣٠ عامًا على إنشاء مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية و ٢٠ عامًا على إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة عن النظام الاقتصادى الدولى الجديد. وهذا النظام الأخير مثَّل قمة جهود الدول النامية مجتمعة لإعادة هيكلة العلاقات الاقتصادية الدولية لما فيه مصلحتها عن طريق قرارات الجمعية العامة. وكان نتيجة هذه الجهود التى وصفت بوجه عام بالحوار بين الشمال والجنوب كان مخيبًا للآمال لعدد من الأسباب. ولكن ربما كان أهمها الإدراك بأن التركيز المبالغ فيه على المناقشات الاقتصادية تؤدى إلى تفاقم، وليس حل المشكلات الاجتماعية الملحة التى يجب أن تكون الهدف النهائى للتقدم الاقتصادى هو أن يخفف من وطأتها .

إن الحوار بين الشمال والجنوب، الذى برزت ملامحه بوضوح فى السبعينات، قد حلت محله مرحلة ثالثة من الانشغال العالمى بمشكلات الدول النامية. وهذه الدول

استمرت فى نشاطها الجماعى فى حركة عدم الانحياز ومجموعة ٧٧ . ولكن بؤرة الاهتمام تغيرت. فقد أصبح هناك ابتعاد أكبر عن دراسة قضايا التنمية، وتركيز أكبر على المنافع للفرد، وتركيز أقل على "الفجوة" بين الدول الغنية والدول الفقيرة، وأصبح هناك وزن أكبر مرتبط بتدفقات رأس المال الخاص والأنشطة الخيرية غير الحكومية، وتركيز أكبر على السياسات التى تتبعها الدول النامية نفسها، وخاصةً بالنسبة للتكيف الهيكلى وتشجيع قوى السوق، وتركيز أكبر على الحكم الرشيد واحترام حقوق الإنسان. وعقدت سلسلة من مؤتمرات الأمم المتحدة فى السبعينات عن البيئة الإنسانية، والسكان والغذاء، ودور المرأة، والمستوطنات الإنسانية والعمالة. وقد تكررت هذه المؤتمرات – بوجه عام – على فترات مدتها عشر سنوات. ولكن نوعية المؤتمرات فى التسعينات قد اختلفت بشكل جذرى عن سابقتها ويرجع ذلك إلى حجمها ونطاقها والأعداد الضخمة من المشاركين، سواء الحكوميين أو غير الحكوميين. وكان مؤتمر ريودى جانيرو عن البيئة والتنمية (قمة الأرض) فى عام ١٩٩٢ – قد عقد بعد مرور عشرين عامًا على أول مؤتمر للبيئة فى ستكهولم عام ١٩٧٢ – وكان حدثا ضخما. لقد كان جديداً فى أن الذى تكفل بتكاليفه الشركات والمؤسسات التجارية إلى جانب الحكومات. كما أن المنظمات غير الحكومية كانت نشيطة فى الأعمال التمهيدية. وقد وافقت قمة الأرض على خمسة نصوص: إعلان ريو عن البيئة والتنمية، وجدول الأعمال ٢١، وهو برنامج موسع يعترف بالعلاقة التبادلية بين قضايا الفقر والتنمية والاقتصاد من جهة، وحماية البيئة من جهة أخرى، ومن ثم المساعدة التى يتوقعها الجنوب من الشمال فيما يتعلق بالشمال والملاحقة المشتركة من الجنوب، وإطار معاهدة عن تغيير المناخ، تنص من بين أشياء أخرى على التحكم فى انبعاث غازات البيوت الزجاجية، ومعاهدة عن التنوع البيولوجى، تؤكد الحاجة إلى حماية الأنواع والمحافظة عليها. وقد أقام النص الخامس هيئة للتنمية المستدامة للرصد والمتابعة.

إن أرقام الحضور تتحدث عن نفسها: فقد كانت هناك ١٧٨ دولة ممثلة، منها ١١٧ ممثلة برؤساء دول وحكومات، وأرسلت ١٤٠٠ منظمة غير حكومية مراقبين. وكان المجموع الكلى حوالى ٣٥٠٠٠ مشارك معتمد. وقام ثمانية آلاف صحفى بتغطية الحدث . حقًا ووضعوا فى اعتبارهم الأنشطة المصاحبة، التى جذبت ١٨٠٠٠ مشارك، وربما كان وصف المؤتمر بأنه "واقعة" **happening** مناسبًا أكثر من كلمة "حدث" **event** .

إن مؤتمرات الأمم المتحدة لن تكون مثل هذا المؤتمر مرة أخرى(١٠). فقد تم التوصل إلى مرحلة جديدة من "الدبلوماسية الجديدة". لقد اجتذب المؤتمر الدولى للسكان والتنمية الذى عقد عام ١٩٩٤ بالقاهرة ١٠٧٥٧ مشارك مسجل، بينما حضر ٤٠٠٠ شخص منتدى المنظمات غير الحكومية NGO forum الذى عقد مصاحبًا للمؤتمر. وفيما يتعلق بالمضمون والتنظيم فإن مؤتمر القمة العالمى للتنمية الاجتماعية الذى عقد فى كوبنهاجن فى مارس ١٩٩٥، ذهب بعيدا فى إقامة نموذج لهذه المرحلة الثالثة من اهتمام المجتمع الدولى بتقدم الدول النامية، بعد المرحلة الأولى من التأكيد على التعاون الفنى ورأس المال من أجل التنمية، والمرحلة الثانية التى تميزت " بالحوار بين الشمال والجنوب". إن التنمية الاجتماعية هى مفهوم شامل لأنها تحتضن البيئة، وعدم المساواة بين الشمال والجنوب، وضغوط السكان والتوترات العالمية باعتبارها عوامل فى الانشغال بنوعية حياة الفرد، بالإضافة إلى القيود الآنية للفقر والأمية والبطالة والعزل الاجتماعى. وفى كوبنهاجن فإن الموضوعات المحددة كانت الفقر والعمالة والاندماج الاجتماعى. وكان الإعلان وبرنامج العمل اللذان وافق عليهما مؤتمر القمة متشعبان إلى حد كبير، حتى مع الالتصاق بهذه الموضوعات ذات الأولوية. وقد تم اعتماد ألفى منظمة غير حكومية فى المؤتمر وقام أكثر من ٢٥٠٠ من ممثلى وسائل الإعلام بتغطية الحدث.

وقد عقد المؤتمر العالمى الرابع للمرأة فى بكين فى سبتمبر ١٩٩٥، وقد وصف بأنه أكبر اجتماع دولى يعقد تحت رعاية الأمم المتحدة، وقد سجل ١٧٠٠٠ شخص أنفسهم فيه، وشمل ذلك ٥٠٠٠ مندوب من ١٨٩ دولة والاتحاد الأوروبى، و ٤٠٠٠ ممثل للمنظمات غير الحكومية و ٣٢٠٠ ممثل لوسائل الإعلام العالمية. وبالإضافة إلى ذلك عقد منتدى للمنظمات غير الحكومية بشكل منفصل فى هويرو Huairou ، على بعد ٣٥ ميل من العاصمة الصينية، جذب ما لا يقل عن ٣٠٠٠٠ مشارك. وكان برنامج العمل الذى وافق عليه المؤتمر يضم ١٢ مجالاً مهمًا مثيرًا للاهتمام هم : الفقر، والتعليم، والصحة، والعنف ضد المرأة، والصراع المسلح، والهياكل الاقتصادية، وتقاسم السلطة واتخاذ القرارات، والآليات الوطنية والدولية لتنشيط تقدم المرأة، وحقوق الإنسان، ووسائل الإعلام، والبيئة، والأطفال الإناث. وفى تلخيص لنتائج المؤتمر، أعلنت البارونة شوكر Baroness Chalker ، الوزيرة البريطانية للتنمية فيما وراء البحار أنه فى بكين حركت

اهتمامات المرأة جدول أعمال صنع السياسات. وتم الاعتراف بأنها متعلقة بنطاق واسع من المشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وجاء كثير من الإلهام للتغيير من آلاف الجماعات النسائية من جميع أنحاء العالم. وسيتوقف أثر بكين إلى حد كبير على "نجاحها" في العمل جنبًا إلى جنب مع الرجال والحكومات لتحويل الكلمات إلى أفعال(١١).

وكان الحدث الضخم التالي هو مؤتمر الأمم المتحدة الثاني عن "المستوطنات الإنسانية ٢" (Habitat II) الذي عقد في إستامبول في يونيو ١٩٩٦ . وقد ضم ممثلين من المدن والقطاع الخاص والسلطات المحلية الأخرى، والقواعد الشعبية والمنظمات غير الحكومية، بالإضافة إلى ١٧٠ حكومة وطنية. وقد شارك حوالي ١٦٤٠٠ شخص في المناقشات وغيرها من الجلسات. وكان الموضوع الرئيسي يدور حول حقيقة أن المدن هي مستقبل العالم وأنه يمكن تحويلها إلى أماكن يمكن العيش فيها. وقد وافق المؤتمر على إعلان إستانبول عن المستوطنات الإنسانية، وألزم الحكومات – من بين أشياء أخرى – ببرامج واسعة النطاق ضمنها جدول أعمال المستوطنات الإنسانية.

وكل مؤتمر من مؤتمرات الأمم المتحدة هذه يبنى على أعمال ما سبقه من مؤتمرات. ولقد كان هناك في الواقع سلسلة متعاقبة من المؤتمرات في العقد الحالي. وبالرغم من أنها جميعا تركز تركيزًا كبيرًا على المتابعة، كما هو متوقع، فإن هناك صعوبة واضحة في ضمان وجود عمل فعال في مثل هذا العدد من القضايا المتشعبة والمعقدة. وقد نجح مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية UNCTAD في إقامة جهاز للمتابعة الشاملة منذ ثلاثين عامًا. ولكن لمؤتمرات هذه الأيام الضخمة دورًا مختلفًا إلى حد ما، يتمثل في لفت الانتباه للقضايا، وتسهيل مناقشتها من كل الجهات المعنية وتحفيز الحكومات والمجتمعات والأفراد وكذلك الوكالات الدولية سواء أكانت حكومية أم غير حكومية، على العمل بفاعلية أكثر وحدها وبتنسيق أكبر مع الجهات الأخرى ذات الصلة. وهذا المدخل العريض يتسم بالواقعية في أنه يتعرف على درجة الانتشار الواسع لمسئولية القيام بالعمل المطلوب. ولكنها تتطلب قدرًا معينًا من الصبر والمثابرة بالنسبة لتحقيق نتائج ملموسة.

إن الاهتمام الدولى بالمشكلات الاجتماعية للدول النامية قد امتزج بشكل متزايد بالانشغال العام بالقضايا الاجتماعية التى يعتبر عنصر الدول النامية فيها عنصراً مهماً، ولكنه ليس بالضرورة مسيطراً. وهذه نتيجة حتمية للاستقلال والتنوع الكبير فى الأداء الاقتصادى والاجتماعى لكل دولة نامية على حدة. ولكن هذا لا يلغى الحاجة إلى تقديم المساعدة المستمرة للأقل ثراءً، والأكثر ضعفاً، والذين نزلت بهم كوارث. بل إن ذلك يغير السياق الذى يجب أن يتم بمقتضاه السعى للمساعدة وعرضها، والفهم، على ضوء نصف قرن من التجارب المختلطة، عما يمكن أن نتوقع أن تحققه واقعيا المساعدات الدولية. وسيكون هناك دائما بُعد خارجى للتنمية، يشمل التجارة والتكنولوجيا والتنمية والمساعدات التنموية والترتيبات الدولية العامة. وسيكون هناك أيضا اقتصاديون على استعداد لأن "يبرهنوا" على أن "المعونة" غير فعالة، إن لم تكن ضارة فعلا بالدول المتلقية. ومن غير المحتمل أن تنال هذه التأكيدات استحسان أولئك الذين لهم رؤية طويلة الأمد للصعوبات التى تنشأ فى العلاقات الدولية ويدركون مزايا الدبلوماسية الوقائية. ومع هذا، فإن هذه التأكيدات تمثل نظاماً مفيداً لحماسة أولئك الذين يريدون أن يساعدوا، كما تمثل حافزا للبلاد الأكثر فقراً للموارد المتاحة لها. وهى أيضا بمثابة تذكير بأن المعونة، مهما وجهت الوجهة الصحيحة، هى أقل فائدة من التجارة. وبالطريقة نفسها فإن التدفق الشامل للموارد إلى البلاد النامية هو الأمر المهم، وليس نسبة أولئك الذين لهم عنصر امتياز فيها، وبهذا يمكن اعتبارها "معونة". وهذا التدفق الشامل للموارد يتأثر بالاستحقاق للقروض، بما فى ذلك درجة المديونية السابقة التى كانت تعانى منها البلاد النامية. وفى العقد الماضى كان هناك قلق كبير من مثل هذه المديونية وعن الطريقة التى أدت خدمة الديون ببعض الدول المحتاجة إلى أن تصبح مصدرة تماماً لرأس المال بدلاً من أن تكون متلقية له. وقد قامت مؤسسات بريتون وودز بتطبيق بعض الإجراءات البغيضة ولم تكن كلها على أساس متين فى هذا السياق. وقد أدى التخفيف من حدة المديونية إلى عدد من المبادرات البريطانية، من بين أشياء أخرى، اتخذت أساساً فى اجتماعات الكومنولث(١٢).

(هـ) البعد البيئى :

هناك عدد قليل من القضايا المنتشرة مثل حماية البيئة، كما أن هناك قليل من القضايا صعبة التناول على ضوء الدقة المطلوبة لضمان عمل ملموس. والاهتمام الكبير الذى تحقق لقضايا البيئة لابد أن تواكبه متابعة عملية فعالة. وقد أشرنا من قبل إلى مؤتمر ريو دى جانيرو عام ١٩٩٢ عن البيئة والتنمية (قمة الأرض). والوثائق التى صدرت عن المؤتمر تعطى فكرة ما عن مدى الاهتمامات البيئية. فمثلا كان أولئك الذين تفاوضوا فى جولة أورجواى مدركين تماماً الحاجة إلى حماية البيئة. وفى مراكش وافق وزراء التجارة على الإعلان الخاص بالتجارة والبيئة، وهذا بالتأكيد منهج جديد لأولئك الذين تتخذ مسئوليتهم الطابع التجارى. ولكن إيجاد تصالح بين الإدراك بالروابط بين التجارة والبيئة مع الضغوط التى تفرضها مفاوضات التجارة الدولية تعتبر مسألة أخرى. ومع هذا، فإن العالم سيحتاج إلى وضع مبادئ "لاخضرار" التجارة ليس فقط لصالح حماية البيئة فى حد ذاتها ولكن بالطبع لصالح التنمية المستدامة sustainable development ، التى تعتبر حماية البيئة عنصراً مهماً فيها(١٣).

(و) البعد الأمنى :

وأخيراً، البعد الأمنى. ويعيدنا هذا إلى نقطة الانطلاق المتمثلة فى العلاقات التبادلية بين السعى للأمن والسعى للازدهار بأعتبارهما هدفين رئيسيين للسياسة الخارجية. فالبعد الأمنى مهم فى السعى من أجل الرخاء الاقتصادى بأهمية العوامل الاقتصادية نفسها بالنسبة للسعى من أجل الأمن. وكما أن الاقتصاد العالمى هو أكثر بكثير من مجرد تبادل السلع والخدمات عبر الحدود، فإن الأمن العالمى أيضا يتضمن أكثر بكثير من مجرد تجنب الصدامات المسلحة بين الدول. فالأمن فى تعريفه العريض الحديث، تم وضعه بشكل مناسب فى سياقه بمعرفة أمين عام الأمم المتحدة، فى "جدول أعمال للتنمية"، الذى جاء فى المحاضرة السابقة. وعلينا أن نعود بعملية الأمن إلى الخلف مرة أخرى، من حفظ السلام إلى صنع السلام، ومن صنع السلام إلى الدبلوماسية الوقائية، ومن الدبلوماسية الوقائية إلى بناء السلام. فأسباب الحروب والتهديدات للأمن

تكمن بعنف فى الاهتمامات الاقتصادية والاجتماعية للبشرية، كما تكمن فى طموحات الزعماء الحاليين ومخططاتهم. ومن هنا فإن التنمية أمر ضرورى فى حد ذاتها تتعلق أيضا بالقضاء بلا رحمة على السخط والشقاق ونجد أن الاستهلال فى ورقة الأمين العام واضح فى أن "التنمية هى حق من حقوق الإنسان الأساسية. والتنمية هى أهم أساس مضمون للسلم". وبعد ذلك، يعدد الأمين العام أبعاد التنمية فى الجمل التالية :

السلام باعتباره الأساس.

الاقتصاد باعتباره قاطرة التقدم.

التنمية باعتبارها قاعدة الاستدامة.

العدالة باعتبارها أحد أعمدة المجتمع.

الديموقراطية باعتبارها الحكم الرشيد.

وهذا وصف رائع للاعتماد المتبادل اليوم، ليس باعتباره أساس للتحليل وحده، ولكن أيضا باعتباره أساس للعمل. ولكنه مثله مثل الإعلان الذى وافقت عليه الدورة السنوية الخمسين للأمم المتحدة. يعتبر خلاصة وليس مسودة مشروع. وكما رأينا فى سياق المؤتمرات الكبرى التى وصفناها فى الجزء السابق، فإن مسئولية العمل أصبحت منتشرة بشكل واسع، وتجاوزت أى برنامج بين الحكومات. وعلى الحكومات أن تنور وتشجع وتلهم وتنسق مع الآخرين، كما أن عليها أن تقوم بالعمل بنفسها سواء على شكل فردى أو جماعى.

ضمان التعاون الدولى الفعال: إعادة تأكيد :

نحن نحتاج إلى إعادة تأكيد الاحتياج الخاص بضمان التعاون الاقتصادى الدولى، بطريقة تحقق الأهداف المشتركة، والتى نصت عليها ديباجة ميثاق الأمم المتحدة.

أولاً : إن الاقتصاد العالمى يحتاج إلى تنظيم دولى (يعنى بين الحكومات) وإلى إدارة، بالإضافة إلى منافع قوى السوق والمبادرات والمشاريع الخاصة. وتعتبر منظمة التجارة العالمية فى هذا الشأن المظهر المؤسسى المحورى. وهى المفتاح بالنسبة لإبقاء الاقتصاد العالمى مستنداً إلى قواعد.

ثانيًا : إن عمل منظمة التجارة العالمية يجب أن ينظر إليه بالنسبة لعدد من الاهتمامات الدولية الأخرى، أن له أبعاد اقتصادية واجتماعية وتنموية وبيئية وأمنية. ولهذا يعتبر من الأمور الجوهرية لمنظمة التجارة العالمية التعاون مع الوكالات الدولية الأخرى التى لها مسئوليات ذات صلة بها.

ثالثًا : لأسرة الأمم المتحدة دور محورى عليها أن تؤديه فى إدارة التعاون الاقتصادى، كما فى التعاون الأمنى، وفى إدراك التفاعل بينهما. ولهذا فإن مسألة إصلاح الأمم المتحدة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمسألة ضمان التعاون الدولى الفعال.

رابعًا : ليست هذه مسألة يمكن لمنظمة التجارة العالمية ولا مؤسسات برايتون وودز ولا الأمم المتحدة أن تسويها فيما بينها على أساس علاقة بين الوكالات. فهى تحتاج إلى مشاركة مباشرة وإيجابية من الحكومات والتى تعتبر مسئوليتها النهائية هى ضمان بأن جميع الوكالات التى أقامتها تعمل بشكل ملائم. كما أن المسألة ليست علاقة بين الحكومات فقط. فهى تحتاج أيضا إلى مشاركة جميع من لديهم سلطة اتخاذ القرار. وكما ذكرت مجموعة السبع – من رؤساء الدول والحكومات لسبع دول صناعية كبرى ورئيس المفوضية الأوروبية – فى بيان أصدروه فى مؤتمرهم السنوى (مؤتمر القمة) عام ١٩٩٥، فى هليفاكس فى يونيو ١٩٩٥: "إن التحدى الأكبر الذى يواجهنا هو إدارة هذا الاعتماد المتبادل المتزايد أثناء العمل مع ما تتطلبه الأسواق والاعتراف بالعدد المتنامى للفاعلين المهمين. وهذا أمر مهم بشكل خاص فى السعى من أجل الاستقرار المالى والاقتصادى الكلى العالمى".

وفى سياق الأمم المتحدة، فإن التوصيات التى قدمها الأمين العام فى "جدول أعمال للتنمية" تعكس أيضا هذه المسئولية. لقد تناول دكتور بطرس بطرس غالى عددا كبيرًا من المسائل: أنشطة عمليات الأمم المتحدة، احتياجاتها المالية، أزمتها المالية الحالية، جهازها للتنسيق، فيما يتعلق بالجمعية العامة، والمجلس الاقتصادى والاجتماعى، ومؤسسات برايتون وودز والوكالات القطاعية والفنية، ومسئولياتها الإدارية لضمان الانسجام بين الوكالات فى نظام الأمم المتحدة من خلال اللجنة الإدارية للتنسيق. ويسعى الأمين العام لكى تركز الجمعية العامة على اهتمام المجتمع الدولى من أجل وضع إطار جديد للتنمية. والصعوبات هائلة. والمفتاح إلى النجاح قد يكمن فى وضع

أولوية معينة مختلفة عن الأولويات العامة، بحيث تجذب السلطة المطلوبة والمساندة بين الدول الأعضاء. وقد تم اقتراح بأن تكون متابعة "قمة الأرض" ١٩٩٢ التى عقدت فى ريو دى جانيرو يمكن أن تقدم "فارسا أخضر يسارع بحصانه لإنقاذ النظام الدولى المريض"(١٤). وقد تكون عملية ريو الأمل العملى لإصلاح مؤسسى داخل نظام الأمم المتحدة. ولكن كما سبق أن اقترحنا، قد تكون الحالة متمثلة فى أن نموذج المؤتمرات الكبرى قد يثبت أنه أفضل طريقة يمكن به للأمم المتحدة أن تحقق أهداف الميثاق، وذلك بالعمل كجماعة ضغط قوية تجمع بين التنمية والأمن تمارس عملها على صانعى القرار، على أى مستوى وبأى نوع، فى الاقتصاد العالمى. وبالطبع لن يكون ذلك بديلا للعمل الذى يقوم به نظام الأمم المتحدة نفسه، ولكن سيكون إضافة قيمة له.

الحكم العالمى الرشيد :

إن أحدث تقارير للمفوضيات المستقلة التى أسهمت فى السنوات الخمس عشرة الأخيرة، أو نحو ذلك، فى فهمنا لمشكلتنا المشتركة، هى بعنوان "جوارنا العالمى" وقد أصدرتها مفوضية الحكم العالمى تحت الرئاسة المشتركة لمستر إنجفار كارلسون، رئيس وزراء السويد وسير شريداث رافغال، الأمين العام السابق للكومنولث(١٥) ويعرف التقرير الحكم الرشيد governance بأنه :

"حصيلة الطرق العديدة التى تدير بها المؤسسات العامة والخاصة شئونها المشتركة.... وهو يشمل المؤسسات الرسمية ونظم الحكم المخولة تنفيذ الالتزام وكذلك الترتيبات غير الرسمية التى وافق عليها الناس أو أدركوا أنها لصالحهم".

وهذا التعريف يؤكد الطبيعة الشاملة لما تشتمل عليه إدارة الاقتصاد العالمى بشكل يفى بالغرض، وعدد الفاعلين وتنوعهم. وبعد وضع "القيم للجوار العالمى"، ذكرت المفوضية أربع مناطق للعمل هى :

(أ) تنشيط الأمن.

(ب) إدارة الاعتماد المتبادل الاقتصادى.

(جـ) إصلاح الأمم المتحدة.

(د) تقوية دور حكم القانون فى جميع أنحاء العالم.

ومن المفيد أن نقارن هذا التشكيل "بأبعاد التنمية" التى ذكرها أمين عام الأمم المتحدة فى "جدول أعماله للسلام" واهتمامات مؤتمرات القمة العديدة فى التسعينات، بدايةً "بقمة الأرض" فى ريو دى جانيرو. والرسالة المشتركة هى الاعتماد المتبادل للقضايا وللمزج المعقد بين المادة والعملية.

ومع المخاطرة من عدم إعطاء توصيات أخرى حقها، إلا أن هناك توصية معينة، يمكن – فى السياق الحالى – أن ننتقيها من التقرير. فالمفوضية تقول أن الوقت حان لإقامة منتدى عالمى لتوفير قيادات فى الميادين الاقتصادية والاجتماعية والبيئية. وبوجه خاص، فإن المفوضية تقترح إقامة مجلس أمن اقتصادى. وتعلق المفوضية بأن مجموعة الدول السبع، هى أقرب هيئة توصل لها العالم باعتبارها "هيئة قمة" مهتمة بالاقتصاد العالمى. ولكنها "ليست ممثلة لسكان العالم ككل كما أنها ليست فعالة". وتقول المفوضية إن مجلس الأمن الاقتصادى سيكون تشاورى فقط. وسيستمد نفوذه من جودة عمله وأنه ذو صلة وكذلك من أهمية أعضائه.

وعلينا أن ننتظر لنرى كيف ستتابع الأمم المتحدة هذه التوصية وغيرها من توصيات المفوضية، ولكن من الحكمة مراعاة تعريف اللجنة بالحكم الرشيد العالمى الذى ذكرناه آنفا والتشكيلة الواسعة من "الفاعلين" المرتبطة به. إن إدارة الاقتصاد العالمى هى مسألة تتعلق بالاهتمام الوثيق بين الحكومات والحاجات التى يجب التعهد بتلبيتها على الأقل جزئيًا على أساس المساواة السيادية والإجراءات الديموقراطية التى تعبر عنها الأمم المتحدة، وفى الوقت نفسه فإن الحقائق الاقتصادية والمالية ، حتى بين الحكومات، تنعكس فى نظام التصويت المرجح الذى تبنته مؤسسات برايتون وودز. والتخلى عن هذا النظام هو بمثابة تهميش هذه المؤسسات. ومن المحتم أن هناك تجمعات داخلية. ففى الدول المتقدمة أقيمت مجموعة العشر Group of Ten لتعبئة اعتمادات إضافية. واهتمت مجموعة الخمس Group of Five بوجه خاص فى التحكم والإشراف المالى.

وعندما اتسعت مصالحها، وبدأت تجتمع على مستوى رؤساء الحكومات عام ١٩٧٥، فإن الضغط لضم إيطاليا وكندا أولا، ثم المفوضية الأوروبية إلى الدول الخمس الأصلية – وهي الولايات المتحدة واليابان وألمانيا وفرنسا وبريطانيا – قد أصبح أمرًا لا يمكن مقاومته. إن رغبة روسيا في الانضمام إلى المجموعة واضح. والتنسيق الأوروبي الأوسع، من خلال منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية أمر أساسي وقائم على أساس أعمال أمانة عامة مقتدرة. وقد تم القيام بعمل مفيد فيما يتعلق بتنسيق المساعدة للبلدان النامية. وفيما يتعلق بهذه البلدان، فإن التنسيق بين التجمعات المحدودة كان أقل أهمية. وقد أشرنا من قبل إلى حركة عدم الانحياز ومجموعة السبع وسبعين. ولقد كانت مجموعة الأربع وعشرين أحد سمات مؤسسات برايتون وودز، وتعتبر مجموعة الخمس عشرة إحدى المجموعات الأكثر حداثة. ويبدو أن المدى الذي يمكن لها أن توزع مواردها بشكل مشترك، وهو أمر مختلف عن تبني سياسات مشتركة، هو مدى محدود. وفضلا عن ذلك، فإن المحاولات لإدارة الاقتصاد العالمي على أساس عمل بين الحكومات فقط مصيرها الفشل. فتعدد الفاعلين لابد أن يؤخذ في الاعتبار، كما لاحظت مجموعة السبع في الفقرة المذكورة في بيان هليفاكس الذي استشهدنا به آنفا.

(٦)

هندسة العمارة الأوروبية

إن أحد السمات القريبة لعالمنا هو الطريقة التى تتركز فيه سطحها الأرضى فى النصف الكرة الشمالى. وهذا الخلل فى التناسب ربما تبالغ فيه أكثر الخرائط التقليدية المألوفة، وهو مسقط مركاتور Mercator's projection (فى رسم الخرائط). ففى هذا المسقط الذى كان ذا فائدة كبيرة لأغراض الملاحة، تتقاطع خطوط الطول وخطوط العرض فى زوايا قائمة. ومع هذا، فإن درجة من خطوط الطول تتقلص بالنسبة لدرجة من خطوط العرض كلما ابتعدت من خط الاستواء وكلما اقتربت من القطبين. وتأثير هذا التشويه يؤدى إلى زيادة كبيرة فى الحجم الظاهر للبلدان البعيدة عن خط الاستواء، وبهذا يقلل من الحجم النسبى للبلدان القريبة منه. وهذا التشويه أقل أهمية فى نصف الكرة الجنوبى لأنه لا توجد أرض فى خطوط العرض الأعلى. ولكن المسألة مختلفة فى نصف الكرة الشمالى. فأى إنسان ينظر إلى مسقط مركاتور للعالم لن يخمن أن أفريقيا هى فى حجم كندا وروسيا مجتمعتين.

وهذا التشويه له استخداماته باعتباره مؤشر لتوزيع القوة السياسية والاقتصادية العالمية. كما أنها تذكرنا بالطريقة التى يتم بها وصف البلدان الأغنى والأوفر بأنها الشمال، والبلدان الأفقر بأنها الجنوب. وهناك مسقطات أكثر حداثة وتمثل مناطق أرضية بنسب أكثر دقة وبهذا تمثل خطوة أبعد عن المفهوم الأوروبى الجغرافى والثقافى للعالم.

الطبيعة المتغيرة للمركزية الأوروبية :

إن تعبير "المركزية الأوروبية" له أهمية قصوى. فقد استغرقت أوروبا بعض الوقت لتخرج من "عصورها المظلمة" بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية. ولكن الأعوام المائة السابقة شهدت تطوراً مذهلاً للحضارة الأوروبية، وتركت - بعد فترة تأخير - أثراً عميقاً على بقية العالم. وقد بدأ "عصر الاكتشافات"، كما يتصوره الأوروبيون منذ ٥٠٠ عاماً. وفى عبارات دبلوماسية فإن المركزية الأوروبية بلغت ذروتها فى القرون الثلاثة بين حرب نهاية الأعوام الثلاثين فى ١٦٤٨ ونشوب الحرب العظمى فى ١٩١٤ . وهناك إغراء فى أن نرى فى قوة أوروبا القديمة وغطرستها بنور دمارها. وعلى أية حال بعد مرور ٨٠ عامًا من الصعب أن نعيد إلى أذهاننا تصور أوروبا عام ١٩١٤ . فقد كانت هناك ست إمبراطوريات عظمى - هى الروسية والتركية (العثمانية) والنمساوية المجرية والألمانية والفرنسية والبريطانية وهناك على الأقل خمس إمبراطوريات ذات أهمية سياسية وعسكرية أقل وهى الإمبراطوريات الإسبانية والإيطالية والبلجيكية والبرتغالية والهولندية. وبعد أربع سنوات، تهاوت أجزاء كثيرة من هذا الجهاز المسيطر داخل أوروبا أو دَخَل فى مرحلة التفكك. وكانت السيطرة الأوروبية فى القارات الأخرى أقل تأثر لحين. وكان العالم الجديد، المتمثل فى الولايات المتحدة قد ظهر للوجود ليعدل كفة العالم القديم(١). (وكانت اليابان تعتبر بالكاد عاملاً رئيسيًا فى الحرب العظمى. ولكن كانت إمكانياتها الكامنة واضحة للعيان). وكان المد والجذر لأوروبا ، الذى كان قد ارتفع عاليا، قد بدأ ينحسر. فقد كان العالم قد بلغ سن الرشد.

ولم تكن القوة العسكرية والاقتصادية الأمريكية وحدها هى التى عدلت من الكفة فى العالم القديم. فكما سبق أن أوضحنا ، فإن ودرو ويلسون رئيس الولايات المتحدة، أدخل منهجا جديدا ذا طابع أمريكى متميز على العلاقات الدولية وهو "الدبلوماسية الجديدة" لتحل محل "الدبلوماسية القديمة". وقد سبق أن وضعنا الملامح المتناقضة للدبلوماسية الجديدة والدبلوماسية القديمة. وكذلك بالنسبة للتاريخ المتنوع لعصبة الأمم المتحدة التى كانت من بنات أفكار ودرو ويلسون. ومهما كانت الإيضاحات فإن الفشل السياسى والدبلوماسى والاقتصادى فى السنوات العشرين بعد نهاية الحرب العظمى، امتزج مع الحرب العالمية الثانية لإكمال تدمير أوروبا القديمة وإمبراطورياتها.

وكانت قد تمت تسوية المسألة فى الصراع العالمى الثانى، ليس بمناشدة العالم الجديد بتعديل الكفة فى العالم القديم، وإنما بتخفيض مرتبة أوروبا إلى دور المفعول به وليس الفاعل. فقد استبدلت الهيمنة الأوروبية بالاعتماد الأوروبى بل بالخضوع. وظهرت قوتان عظمتان - الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي - وبينهما أوروبا المنهكة المغلوبة على أمرها إلى حد كبير. وقد اتخذت "المركزية الأوروبية" دلالة جديدة. فلم تعد تجسد منطقة الضغط العالى للقرن التاسع عشر التى نشرت نفوذها الإمبريالى على باقى العالم، بينما دخلت فى منافسات بين دول القارة بطيش متصاعد. فقد أصبحت ساحة المعركة للقوى العالمية المتمركزة خارج أوروبا، وهو مصير لم تكن تتوقع أن تفلت منه ما لم تستعد هويتها وإحساسها بالهدف، وبالتالى القيام بدور فى العالم القائم على الاعتماد المتبادل بما يتناسب مع خبراتها وإمكانياتها. أما الفرصة التى قدمها نصر الحلفاء أصلا عام ١٩٤٥ لأوروبا لإعادة تعميرها، وبناء مستقبل تقل فيه الكوارث وقتل الأقارب ويختلف عن ماضيها القريب، فقد ضيعتها إلى حد ما الحرب الباردة - على الأقل فيما يتعلق بأوروبا الشرقية والوسطى. وعلى الرغم من ذلك فإن سجل الجهود لإعادة بناء أوروبا بعد ما أحدثته الحرب العالمية الثانية من دمار، إنما يبرر قدرا من التفاؤل عن إدراك الأخطار التى تحيط بالزعماء اليوم وهم يقومون بمسئولياتهم. ومع هذا فإن تعقيدات الموقف، الداخلية والخارجية تتطلب قدرا مصاحبا من الحذر. ولنبدأ بالأساسيات.

أولا: تمثل أوروبا بالمعنى الجغرافى من الشاطئ الشرقى للمحيط الأطلنطى إلى جبال الأورال فى روسيا، جزءًا بسيطًا جداً من سطح الكرة الأرضية. ولكنها تشكل ثلث إجمالى الناتج القومى، وجزءا كبيرا من رأس مالها الثقافى. إنها ينبوع العالم الحديث فى الاهتمامات السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية والثقافية. كما أنها مسئولة أيضا عن الكم الهائل من الشقاء الذى أنزلته بالجنس البشرى فى هذا القرن بالذات.

ثانيا: إن التجربة المريرة للقرن العشرين تؤكد ما يقال من أنه ليست أوروبا وحدها، بالتعريف الجغرافى التقليدى، هى موضع خلاف فى مناقشة "هندسة العمارة الأوروبية". فنحن نشعر بالقلق أيضا من قيام مراكز قوى ونفوذ أخرى تعمل فى أوروبا، وخاصةً الولايات المتحدة وكندا غربا، وروسيا واليابان شرقًا. فالجغرافيا يجب أن تكون مرنة بحيث تعكس الاعتماد المتبادل للقوى الاقتصادية والسياسية فى العالم الحديث، كما هى معبر عنها فى هيئات مثل مجموعة الدول السبع ومنظمة التعاون الاقتصادى

والتنمية وفى حلف شمال الأطلنطى ومنظمة الأمن والتعاون فى أوروبا. وعلاوة على ذلك فإن الاتحاد الأوروبى، وهو يتطور كان له تداعيات مهمة للبلدان الخارجة عن حدوده، ناهيك عن تلك التى داخله. وقد أصبح الاتحاد المكون من اثنتى عشرة دولة اتحاداً من خمسة عشرة دولة فى أول يناير ١٩٩٥ . وقد يصل عدد أعضائه إلى عشرين أو أكثر فى نهاية القرن العشرين وبداية قرن جديد(*). إن الصلة العملية المباشرة لكل هذا الجهاز الأوروبى فى الشئون العالمية هى صلة واضحة. ولكن مغزاها الكامل أقل وضوحاً. ذلك أن جذوره تمتد إلى الماضى. ففى السياسة لكل شىء تقريباً تاريخ طويل. وبصفتنا دبلوماسيون علينا أن نزن الحاضر على ضوء الماضى. وهذا مهم فى فهم التعقيدات والتناقضات الغريبة فى "هندسة العمارة الأوروبية" وما تعنيه هذه المتناقضات بالنسبة لباقى العالم.

إعادة بناء أوروبا بعد الحربين العالميتين :

إن المنهج الذى اتبع فى هذه المحاضرة قائم على فحص - بشكل فردى ولكن بالتفاعل مع الآخرين- العناصر المتعددة " لهندسة العمارة الأوروبية" التى تطورت، بطرقها المنفصلة، منذ عام ١٩٤٥، وهى :

(أ) **استعادة الهوية**، التى أشار إليها مؤتمر أوروبا فى لاهاى عام ١٩٤٨، مما أدى بصفة خاصة إلى إنشاء مجلس أوروبا.

(ب) **إعادة الإعمار الاقتصادى**، تحت قيادة الولايات المتحدة عن طريق مشروع مارشال ومنظمة التعاون الاقتصادى الأوروبى OEEC (التى حولت نفسها فيما بعد إلى منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية OECD ، ونسيج استشارات الدول المتقدمة - المجموعة ١٠، والمجموعة ٥ والمجموعة ٧ - التى عملت فى توازٍ مع عمل صندوق النقد الدولى، والبنك الدولى والاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة GATT ، التى لعبت فيها الدول المتقدمة دوراً مسيطراً كأمر حتمى.

(*) بعد أن وصل عدد الدول الأعضاء فى الاتحاد الأوروبى إلى ٢٥ دولة، تم التوقيع فى ٢٥ مايو ٢٠٠٥ على اتفاق بانضمام دولتين أخريين هما رومانيا وبلغاريا تمهيداً لانضمامها إلى عضوية الاتحاد الأوروبى عام ٢٠٠٧ والبقية تأتى. (المترجم) .

(**جـ) البحث عن الأمن،** حيث اندمجت ألمانيا تدريجياً فى تدابير الدفاع الغربية، التى كانت تسيطر عليها نفسها الحرب الباردة، وفى معاهدة بروكسل، وحلف شمال الأطلنطى، ومجموعة الدفاع الأوروبية، والاتحاد الأوروبى الغربى.

(**د) التحركات نحو الاندماج الأوروبى،** السوق المشتركة والمجتمعات الأوروبية، والسوق الواحدة، والاتحاد الأوروبى، و"الفدرالية"، " و"التكاملية".

(هـ) معاهدة ماستريخت.

(**و) توسيع اتحاد المجموعة الأوروبية،** وزيادة العضوية من ست إلى تسع دول، ثم إلى عشر، واثنتى عشرة، وخمسة عشر، والعلاقات مع الدول غير الأعضاء، وخاصةً اتحاد التجارة الحرة الأوروبية والمنطقة الاقتصادية الأوروبية، والمأزق الناتج عن التوسع فى العضوية، والانتشار الفقى والانتشار الراسى والموازنة بينهما.

(**ز) التحام أوروبا معًا بعد الحرب الباردة،** بالتكيف مع والتوسع فى الجهاز الذى نما خلال العملية، سواء داخل الغرب أو بين الشرق والغرب، وخاصةً مؤتمر (وهو الآن منظمة) الأمن والتعاون الأوروبى.

وعلى الرغم من أن هذه العناصر لهندسة العمارة الأوروبية مختلفة منطقيا، وتحتاج إلى أن تبحث كل منها على حدة، إلا أن الاعتماد المتبادل فيما بينها أمر واضح. وستواجه القيادات الأوروبية اختبارا فيما يتعلق بالاحتفاظ بهذا الاعتماد المتبادل، بكل تفاصيله المحيرة والمتعارضة، وفى منظورة، ومن ثم منع أوروبا من أن تصبح مرة أخرى برميل بارود قابل للانفجار فى أية لحظة(٢).

الهوية الأوروبية : كونجرس أوروبا :

تعود أحلام الوحدة الأوروبية إلى الماضى. ولكن المنافسات الضارية فى نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، والدمار المخيف الذى حدث خلال الحربين العالميتين، أدت إلى إعطاء دفعة جديدة للسعى من أجل إقامة الوحدة الأوروبية. ولقد ظهر للوجود عدد من المنظمات بعد ١٩٤٥، على الأقل فى إنجلترا،

بإلهام من ونستون تشرشل، ثم معارضة له بعد هزيمته فى الانتخابات العامة فى ١٩٤٥ .
وفى خطبة شهيرة فى زيورخ فى سبتمبر ١٩٤٦، قال: "إن نصيحتى لأوروبا يمكن أن ألخصها فى كلمة واحدة : اتحدوا!" وتشكلت لجنة دولية "للحركة الأوروبية". واجتمع كونجرس أوروبا فى لاهاى فى مايو ١٩٤٨، وحضره عدد كبير من الشخصيات القيادية الأوروبية، من بينهم تشرشل، الذى كان رئيسا فخريا. وكان الذين تجمعوا فى لاهاى قد تمت دعوتهم بصفاتهم الشخصية. وباعتبارهم مجموعة، كما قالوا وقتئذ، كانوا يمكنهم أن "يدعوا أنهم يمثلون بقوة كل مناحى الحياة والآراء المهمة فى أوروبا". وقد دعا الكونجرس إلى إنشاء أوروبا متحدة تشمل مجلسًا أوروبيًا European Assembly تختاره برلمانات الدول المشاركة.

وقد قام وزراء الدول الأعضاء الخمس لمنظمة معاهدة بروكسل (وهى المملكة المتحدة، وفرنسا وبلجيكا وهولندا ولكسمبورج) ببحث نتائج كونجرس لاهاى. وبعد ذلك عقد اجتماع أوسع للسفراء نتج عنه إنشاء مجلس أوروبا The Council of Europe . وقد وقعت لائحته فى أبريل ١٩٤٩ . وكانت أهداف المجلس هى: العمل من أجل وحدة أوروبية أعظم، ودعم مبادئ الديموقراطية البرلمانية وحقوق الإنسان، وتحسين الأحوال المعيشية وتنشيط القيم الإنسانية. ثم اهتم المجلس بعد ذلك بتطوير الملامح العامة التى تشترك فيها كل شعوب أوروبا، أو ما يسمى "بالبعد الأوروبى". ولهذا كان مجلس أوروبا فى جوهره يجسد توصيات كونجرس لاهاى، ولكن مع البعد عن مناصرة الفدرالية والمتجاوزة للقوميات. وقد منع المجلس من مناقشة مسائل الدفاع، على أساس أن حلف شمال الأطلنطى قد تكفل بها، وكذلك المسائل الاقتصادية على أساس أنها تدخل فى نطاق اختصاص منظمة التعاون الاقتصادى الأوروبى. وقد ضم مجلس أوروبا من بين أجهزته لجنة وزراء الخارجية، وكذلك المجلس الاستشارى للبرلمانيين من بين الدول الأعضاء. وقد صمم المجلس على أن يحتفظ فى يده بالتحكم الحازم، وكانت صفته باعتباره مجلس "استشارى" هى مجرد تذكير فقط بوضعه المتواضع. وكان لذلك تأثير على التأكيد على المسائل القانونية والثقافية فى أنشطة المجلس، وهو ما استمر منذ ذلك الحين. وأصبح لمجلس أوروبا نفوذ كبير فى تنشيط وحماية حقوق الإنسان.

وكان الأعضاء الأصليون هم القوى الخمس لمعاهدة بروكسل، بالإضافة إلى الدنمارك وأيرلنده وإيطاليا والنرويج والسويد. وفيما بعد ارتفعت العضوية إلى ٢٣ وتضم دول "أوروبا الغربية". وفيما يتعلق ببناء أوروبا، فإن مجلس أوروبا كان بداية. ولكن المتحمسين للاندماج كان لابد لهم أن يتجهوا إلى مكان آخر لتجد أفكارهم تعبيراً عملياً.

إعادة الإعمار الاقتصادى: مشروع مارشال ومنظمة التعاون الاقتصادى الأوروبى:

فى نهاية الحرب العالمية الثانية كانت أوروبا مدمّرة تماماً. وكان هناك تقليل من حجم درجة الدمار. ولكن المؤكد هو أن شتاء ١٩٤٦-١٩٤٧ القارس بشكل غير معهود زاد من معاناة أوروبا إلى حد أن جهود إعادة الأعمار القائمة لم تكن كافية بشكل واضح.

وقام جورج مارشال George Marshall وزير خارجية الولايات المتحدة بتحليل مقتضب فى خطاب له فى جامعة هارفارد فى ٥ يونيو ١٩٤٧، ذكر فيه أن دول أوروبا تحتاج إلى مساعدة إضافية ضخمة. ولكن قبل أن تستطيع الولايات المتحدة أن تتقدم أكثر، "لابد أن يكون هناك نوع من الاتفاق بين دول أوروبا فيما يتعلق باحتياجات الموقف والجزء الذى ستتحمله هذه الدول بنفسها، وأن البرنامج لابد أن يكون مشتركاً، وأن توافق عليه عدد من الأمم الأوروبية إن لم تكن كلها. وقد أخذ إرنست بيفين Ernest Bevin وزير الخارجية البريطانى زمام المبادرة فى تنظيم استجابة أوروبية لهذا العرض. واختار الاتحاد السوفيتى عدم المشاركة ومنع الدول التى تسير فى فلكه من أن تشارك وعقد فى باريس مؤتمر برئاسة بيفين وتم وضع مشروع مشترك لإعادة إعمار أوروبا. وعين المؤتمر لجنة للتعاون الاقتصادى الأوروبى لمتابعة المناقشات مع الولايات المتحدة. وكان لست عشرة دولة تمثيل فى اللجنة : الدول الأعضاء العشر الأصليين فى مجلس أوروبا بالإضافة إلى النمسا واليونان وأيسلنده والبرتغال وسويسرا وتركيا. وتولت فرنسا وبريطانيا مسئولية اشتراك ألمانيا الغربية فى المشروع. وتحولت اللجنة إلى منظمة التعاون الاقتصادى الأوروبى عام ١٩٤٨ . وبدأ العمل ببرنامج إعادة إعمار أوروبا. وبلغ حجم المساعدة، التى كان خمسها على شكل قروض وأربعة أخماس على شكل منح ١٢ مليار دولار على فترة أربع سنوات، بما يعادل ٢٪ من إجمالى الناتج القومى.

وبالنسبة للولايات المتحدة، وكذلك كندا، كان ذلك مشروعًا يكتنفه خيال كبير ومجهود إدارى وسخاء. وباعتباره عمل من أعمال السياسة الخارجية كان يمثل نجاحًا هائلاً. وفيما يتعلق بالمستفيدين الأوروبيين، فإن درجة تجاوز القوميات المعنى القانونى، المتضمن فى الممارسة كانت محدودة. ولكن التعاون التفصيلى فى التخطيط الاقتصادى والفحص المشترك للمشروع كان يعكس الوقائع الملحة للموقف السائد، إلى جانب إدراك الحاجة المستمرة للتنسيق والتعاون الاقتصادى. وتحولت منظمة التعاون الاقتصادى الأوروبى إلى منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية عام ١٩٦١، مما يعكس، بين أشياء أخرى، اهتمامها بمساعدة الدول النامية. ولكن فى ذلك الوقت أصبح التكامل الذى تتطلع إليه أوروبا أمرًا مستقرًا بحزمٍ داخل مجموعة أصغر من الدول، هى مجموعة الدول الست.

(جـ) البحث عن الأمن: حلف الأطلنطى واتحاد غرب أوروبا :

هذه التطورات طغى عليها توتر متزايد بعد الحرب فى أوروبا. ففى أوائل مارس ١٩٤٦ تحدث تشرشل فى خطاب شهير فى فولتون، ميسورى، عن ستار حديدى يمتد عبر أوروبا "من ستيتين على البلطيقى إلى تريسته على الادرياتيكى". وقد تحول التحالف أثناء الحرب بين الغرب والاتحاد السوفيتى إلى شكوك وعداوات متبادلة. واعتبرت تدابير الدفاع الكلاسيكية، التى كانت قائمة بالفعل بين بلدان أوروبا الغربية، غير كافية. فقد كانت تهتم أساسا بالحماية ضد أى انتفاضة عسكرية ألمانية. وقد وقعت معاهدة دنكرك بين فرنسا وبريطانيا عام ١٩٤٧ . وفى ١٩٤٨ أدت معاهدة بروكسل بين بريطانيا وفرنسا ودول البنيلوكس (التى أقامت اتحادًا جمركيًا فيما بينها عام ١٩٤٥) إلى إنشاء منظمة دفاعية.

وكان الحصار السوفيتى لبرلين عام ١٩٤٨-١٩٤٩ بمثابة خلفية للمناقشات مع الولايات المتحدة أدت إلى توقيع معاهدة حلف الأطلنطى فى واشنطون فى مايو ١٩٤٩ . وانضمت الولايات المتحدة وكندا والدول الأوروبية العشر - ودول معاهدة بروكسل الخمس بالإضافة إلى الدنمارك وأيرلنده وإيطاليا والنرويج والبرتغال - إلى حلف دفاعى ينص على أن أى هجوم على أية دولة منها يعتبر هجوما على جميع الدول الأعضاء،

وهذا التزام لأوروبا له قيمة عظيمة فى عالم ما بعد الحرب. وبالإضافة إلى مشروع مارشال، فقد كان هذا الالتزام يمثل إسهامًا من الولايات المتحدة لم يسبق له مثيل، فى أمن وازدهار أوروبا الغربية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

وقد أصبح موقف ألمانيا الغربية شاذا بشكل متزايد. فمن جهة، كانت تمثل عدواً سابقًا منهزمًا ومحتلاً، وكان الضحايا السابقون المحيطون بها ينظرون إليها بارتياب كبير. ومن جهة أخرى كانت ألمانيا الخط الأمامى فى أى حرب مع الاتحاد السوفيتى والدول الدائرة فى فلكه، وهو أمر لسوء الحظ لم يعد بعيداً عن التفكير. وكان الحل الذى تقدم به رينيه بليفين رئيس وزراء فرنسا عام ١٩٥٠، هو عن مجموعة دفاع أوروبية بهدف السيطرة المشتركة للقوات العسكرية الأوروبية داخل إطار الدفاع الأطلنطى. وتحت إمرة مجموعة الدفاع الأوروبية ستكون هناك فرق ألمانية فى جيش أوروبى بدلا من جيش ألمانى وطنى. ولم يكن الفرنسيون راغبين فى الموافقة على جماعة الدفاع الأوروبية ما لم يشترك البريطانيون. ومع هذا، فإن البريطانيين كانوا مصممين على عدم الاشتراك. وأخيراً فى عام ١٩٥٤ لم توافق الجمعية الوطنية على معاهدة جماعة الدفاع الأوروبية التى وقعت فى باريس عام ١٩٥٢ .

وللخروج من المأزق اقترح أنطونى أيدن وزير الخارجية البريطانى بديلاً لذلك، وهو التوسع فى منظمة معاهدة بروكسل لتشمل ألمانيا الغربية (وهى الآن جمهورية ألمانيا الاتحادية) وإيطاليا. وكانت إيطاليا قد شاركت فى مناقشات جماعة الدفاع الأوروبية. وأوضح أيدن أن بريطانيا ستقوم – تحت شروط معينة – بمرابطة قوات فى أراضى القارة الأوروبية، وهذا التزام تاريخى آخر. وعلى هذا الأساس تمت الموافقة على أن جمهورية ألمانيا الاتحادية يجب أن تصبح دولة ذات سيادة، وأن تنضم إلى منظمة معاهدة بروكسل وتصبح عضواً فى حلف شمال الأطلنطى. ووضع عدد من القيود على إعادة تسليح ألمانيا. ولكن الروح العسكرية التى كان هناك خوف كبير منها خارج ألمانيا لم تظهر علامات عن إحيائها من جديد.

وكانت القضية من الناحية المؤسسية هى كيف يتطور الاتحاد الأوروبى الغربى بالتساوى مع التكامل الأوروبى بطريقة تقوى التحالف الأطلنطى ولا تضعفه. وتمثلت الصعوبة الرئيسية فى هذا الشأن منذ البداية فى أن ديجول، الذى عاد إلى السلطة

فى فرنسا عام ١٩٥٨، قد أصر على أن يؤدى دوراً فردياً(٣). وكان ابتعاد فرنسا عن الهياكل التكاملية لحلف شمال الأطلنطى، وهو أمر مختلف عن معاهدة حلف شمال الأطلنطى نفسها، قد استمر طويلا بعد اختفاء ديجول. ويبقى غموض الاتحاد الأوروبى الغربى، باعتباره عنصر فى الاتحاد الأوروبى البازغ من جهة وباعتباره أحد الأعمدة الأوروبية للدفاع الأطلنطى من جهة أخرى.

(د) التكامل الأوروبى : الجماعة الأوروبية والاتحاد الأوروبى :

لقد سبق أن أشرنا إلى جماعة الدفاع الأوروبية التى لم يوافق عليها البرلمان الفرنسى عام ١٩٥٤ . ولكن هناك جماعة معاصرة لها وهى الجماعة الأوروبية للفحم والصلب التى كان لها حظ أوفر. فلقد كان النبض واحداً، وهو الحاجة إلى المصالحة، وخاصةً بين فرنسا وألمانيا، وتحقيقًا لهذا الهدف، أنشأ مؤسسات تتجاوز القوميات، بحيث تربط بين هاتين الدولتين وغيرهما معا من الناحية العملية، فضلا عن الإسهام فى استعادة أوروبا الغربية باعتباره عامل فى الشئون الدولية. وكانت فكرة جماعة للفحم والصلب قد أطلقها إعلان شومان فى ٩ مايو ١٩٥٠ . وكانت كلمات روبرت شومان Robert Schuman ، وزير خارجية فرنسا وقتئذ بهذه المناسبة لها نبرة تاريخية :

"إن السلام لا يمكن حمايته دون القيام بجهود خلاقة تتناسب مع الأخطار التى تهدده. وإن الإسهام الذى يمكن لأوروبا المنظمة الحية أن تقدمه للمدنية هو أمر لا غنى عنه للمحافظة على علاقات سليمة..."(٤).

"إن أوربا لا يمكن أن تقوم لها قائمة فورا، أو طبقا لخطة منفردة. إنها ستبنى من خلال إنجازات ملموسة تخلق أولا تضامنا واقعيا. ويتطلب إعادة تجميع بلدان أوروبا إزالة ما بين فرنسا وألمانيا من خلاف امتد زمنا طويلا. وأى إجراء يتخذ لابد أن يراعى أولا هاتين الدولتين".

ولقد كانت فرنسا تدعو إلى التصرف فى نقطة محدودة ولكن حاسمة، وهى وضع الإنتاج الفرنسى الألمانى للفحم والصلب ككل تحت سلطة مشتركة أعلى. وكان النجاح فى إقامة مجلس اقتصادى واجتماعى بين الدول الست إنجازا مذهلا، وكان شاهدا

على كسر القالب الأوروبى الذى استمر قرونا. فقد أنشئت جماعة مشابهة فى مجال الطاقة الذرية وهى EURATOM عام ١٩٥٧ . ومع هذا، فإن الخطوة الرئيسية للأمام بالنسبة للتكامل الأوروبى اتخذت عام ١٩٥٥، عندما قرر وزراء خارجية الدول الست، المنعقدون فى ميسينا فى صقلية أن يمتد التكامل إلى جميع فروع الاقتصاد.

ولم تكن بريطانيا ممثلة فى اجتماع ميسينا. ومع هذا فقد كانت ممثلة فى اللجنة التحضيرية التى أعقبته، ولكن على مستوى متواضع دون نفوذ كبير. وكان التقويم العام فى لندن هو أنه لن يتمخض شىء عن المشروع، وهو تقييم فند بوقاحة عندما وقعت الدول الست على معاهدة روما عام ١٩٥٧، بإنشاء الجماعة الاقتصادية الأوروبية European Economic Community ، المعروفة أفضل باسم السوق الأوروبية Common Market . وكانت السوق الأوروبية أساسا عبارة عن اتحاد جمركى مرتبط بسياسة زراعية مشتركة تتمتع بحماية عالية.

وربما كانت درجة التكامل الدقيقة المتصورة، والسرعة التى تم بها أقل أهمية من الهدف النهائى والوسائل التى تم اختيارها للوصول إلى ذلك. وقد نص فى الديباجة أن الأطراف "عازمة على وضع أسس اتحاد أوثق بين شعوب أوروبا". وقد اقتربوا من مهمتهم "بإقامة سوق مشتركة والتقريب التدريجى بين السياسات الاقتصادية للدول الأعضاء". (المادة ٢). وكان العنصر الرئيسى فى هذا العمل هو المفوضية الأوروبية European Commission ، وهى أمانة عامة تتجاوز القوميات ومطلوب منها (طبقًا للمادة ١٥٥) أن تضمن التشغيل السليم والتطوير للسوق المشتركة. وقد منحت سلطات واسعة بل واحتكار لتأدية واجباتها. وكان جان مونيه الأب المؤسس الرئيس للتكامل الأوروبى قد عين لفترة نائب أمين عام عصبة الأمم. وقد شعر بالإحباط بسبب عجز أمانة عصبة الأمم وتجردها من السلطات. وقد صمم على أن المفوضية الأوروبية لابد أن تكون لها سلطات كافية حتى يمكنها أن تنفذ قرارات الجماعة وأن تتخذ الإجراءات الضرورية لتحقيق أهدافها. وكان مونيه رئيسا للهيئة العليا لجماعة الفحم والصلب، والرائد المتجاوز للقوميات لمفوضية السوق الأوروبية المشتركة. ولكن التفويض للهيئة العليا لم يكن بالطبع كبيراً مثل التفويض للمفوضية. وكان ديجول مصمماً على الحد من طموحات المفوضية.

وكانت استجابة المملكة المتحدة لمعاهدة روما هو اقتراح منطقة تجارة حرة أوروبية، تضم أوروبا بأكملها مع الجماعة الاقتصادية الأوروبية التى انضمت باعتبارها وحدة منفردة. وقد فند ديجول هذا. ولهذا تحولت بريطانيا إلى البديل بإقامة اتحاد تجارة حرة أوروبية مع الدول الإسكندنافية والنمسا وسويسرا والبرتغال. وتم التوصل إلى اتفاقية عام ١٩٦٠ . ولكن أوجه قصورها كانت واضحة لبريطانيا. وقررت حكومة المحافظين برئاسة هارولد ماكميلان عام ١٩٦١ أن تتقدم بطلب عضوية كاملة للجماعة الاقتصادية الأوروبية. واستخدم ديجول حق الاعتراض على هذا الطلب فى مؤتمر صحفى شهير فى ١٤ يناير ١٩٦٣ . فقد شك فى أن بريطانيا على صلة وثيقة أكثر من اللازم بالولايات المتحدة، كما أنها منشغلة بالكومنولث ومنطقة الإسترلينى مما يشتت جهودها.

وقررت حكومة العمال التى أعقبتها تحت رئاسة هارولد ويلسون فى خريف ١٩٦٦ أن تعاود الطلب. وهذا الطلب ووجه بمصير مشابه على يد ديجول فى العام التالى. وأتاحت استقالة ديجول فى ربيع ١٩٩٦ للبريطانيين فرصة للضغط مرة أخرى للعضوية. وكان لدى جورج بومبيدو، خليفة ديجول تحفظات أقل بالنسبة للبريطانيين. وبالإضافة إلى ذلك فإن التطبيق تم بصدق واقتناع أكثر من جانب إدوار هيث، الذى أصبح رئيسا للوزراء بعد فوز المحافظين فى الانتخابات العامة فى ١٩٧٠ . وكان الثمن الذى دفعته بريطانيا للانضمام هو قبول الهياكل والنظم التى تطورت آنذاك بكل ما فيها من مظاهر غير مناسبة، وخاصةً ما يتعلق بالزراعة والرسوم على الواردات من العالم الخارجى نتيجة لذلك. وأدى امتناع بريطانيا عن الانضمام عند الإنشاء إلى أن دفعت ثمنًا غاليًا.

وانضمت المملكة المتحدة وأيرلندا والدنمارك إلى الجماعة الاقتصادية الأوروبية فى أول يناير ١٩٧٣ . ورفضت النرويج العضوية فى استفتاء فى ١٩٧٢ (كما فعلت مرة أخرى بعد ٢٢ عامًا). وانضمت اليونان عام ١٩٨١، كما انضمت إسبانيا والبرتغال عام ١٩٨٦ . وكانت أسباب انضمام الدول الثلاث ترجع إلى اعتبارات سياسية أكثر منها حتمية اقتصادية. وكانت هناك حاجة إلى الحرص على النمو الديموقراطى ومقاومة العودة إلى الحكم العسكرى والدكتاتورية. ومع هذا ففى ذلك الوقت كانت عيون الجماعة مركزة على التوسع الكبير فى مساحة السياسة المشتركة والنشاط المشترك.

فمنذ ١٩٦٧ كان هناك مجلس واحد ومفوضية واحدة، تمارس كل السلطات والمسئوليات التى منحتها للحلفاء السابقين المعاهدات الثلاثة للجماعة، وهى المعاهدات التى أنشأت المجلس الاقتصادى والاجتماعى والسوق المشتركة والجماعة الأوروبية للطاقة الذرية. وفى مؤتمر القمة للدول التسع فى باريس فى أكتوبر ١٩٧٢، أى قبل أن تتوسع السوق رسميا بقليل، كان هناك قرار صريح للتحرك تجاه الاتحاد النقدى ونية عامة متزايدة لزيادة التعاون فى السياسة الخارجية. وكان النظام النقدى الأوروبى، بآليته الخاصة بمعدل الصرف قد بدأ فى ١٩٧٩، ولكن المملكة المتحدة رفضت أن تشترك منذ البداية.

وكان أحد المعالم الثانية هى القانون الأوروبى المنفرد لعام ١٩٨٦ الذى بمقتضاه وافق أعضاء الجماعة على مخطط وجدول زمنى للموافقة على الإجراءات، والتى بلغ عددها حوالى ٢٧٠ إجراء، لإنشاء سوق واحدة فى أول يناير ١٩٩٣ . ونص القانون على أغلبية الأصوات المشروطة فى بعض الحالات، وبهذا يتم تجاوز الحاجة إلى قرار إجماعى. وفى الوقت نفسه فإن الجماعات الأوروبية وافقت على أن يحاولوا معا "تشكيل وتنفيذ سياسة خارجية أوروبية". وتحقيقا لهذا الغرض، قررت وضع التعاون السياسى الأوروبى على أساس مؤسسى متين.

(هـ) معاهدة ماستريخت :

وفى اجتماع المجلس الأوروبى فى هانوفر بألمانيا فى يونيو ١٩٨٨(٤) شرع المجلس فى إحياء الاتحاد الاقتصادى والمالى. وتم الدعوة إلى مؤتمر بين الحكومات فى إبريل ١٩٨٩ . ونزولا على رغبة فرنسية ألمانية تمت الدعوة إلى مؤتمر منفصل بين الحكومات يتناول الإصلاح السياسى والمؤسسى. وتقرر أن يفتتح المؤتمران فى ١٤ ديسمبر ١٩٩٠ . وتمت الموافقة على نتائج المؤتمرين فى اجتماع المجلس الأوروبى فى ماستريخت فى ٧ فبراير ١٩٩٢ . وكانت هناك تحفظات بريطانية رئيسية وانسحابات، وخاصةً فى مجال السياسة الاجتماعية وفيما يتعلق بالخطوات نحو إقامة اتحاد اقتصادى ونقدى. ولكن هذه لم تؤثر على الدفعة الرئيسية للمعاهدة نفسها. فقد تجاوزت بكثير أى اتفاقية سابقة بين أعضاء الجماعة الأوروبية. وهى تُنشئ اتحاداً

أو "مرحلةً جديدةً فى عملية خلق اتحاد أوثق بين شعوب أوروبا، وتقدم مفهوم المواطنة المشتركة، وتضع إجراء لتحقيق عملة موحدة باعتباره جزء من اتحاد اقتصادى ونقدى، وتقدم سياسة خارجية وأمنية مشتركة، وتوفر تعاونا فى ميادين العدالة والشئون الإنسانية. كما أنها تدخل على قانون الجماعة مبدأ مهم - وأن كان غير دقيق - وهو القائل بأن أى إجراء يمكن أن يتخذ على مستوى الجماعة فقط فى حالة تعذر تناوله بشكلٍ كافٍ من قبل الدول الأعضاء.

وكان هناك نص على أن تتم - فى مؤتمر بين الحكومات يعقد فى ١٩٩٦ - عرض عناصر لمراجعة محتملة وهذا منصوص عليه فى المعاهدة وفى تفسير للمعاهدة وظروف الموافقة عليها، لم يعد إلا القليل أمام مثل هذا المؤتمر بين الحكومات إلا بعض تعديلات بسيطة فى المسيرة المتقدمة نحو أوروبا اتحادية. ولكن الحقائق فى أوروبا قد تحكم بغير ذلك. فتاريخ التكامل الأوروبى مفعم بأمثلة حيث الاتفــاق بين الحكومات أثبت فشله؛ لأن المناقشات بين الحكومات كانت تسبق الرأى الشعبى وما يمكن أن يقبله. وهناك شعور متزايد بأن معاهدة ماستريخت هى "معاهدة ذهبت بعيدا". فالنص يمثل الذروة فى عملية المبالغة فى المناقشات بين الحكومات، حيث التكامل الأوروبى قد انتقل من معاهدة إلى أخرى مضيفا أو حاذفا لنصوص سابقة، لدرجة أنه حتى الخبير، وليس فقط القارئ العادى، تنتابه الحيرة عما هو معروض بالدقة. وكانت مصادر المنازعات القانونية والسياسية لا حدود لها(٥).

وللإعداد للمؤتمر، الذى افتتح فى تورنتو فى ٢٩ مارس ١٩٩٦، كوَّن رؤساء الحكومات الأوروبية "جماعة التأمل Reflection Group وصدر تقريرهم فى ديسمبر ١٩٩٥ . ونشرت المملكة المتحدة كتابا أبيض فى ١٢ مارس ١٩٩٦ بعنوان "شراكة الأمم - المدخل البريطانى لمؤتمر الاتحاد الأوروبى بين الحكومات". وإلى اليوم لم يحرز أى تقدم ملموس. ولم يكن هناك مفر أن تطغى أزمة لحم البقر على المؤتمر وكانت هذه الأزمة قد نشبت فى أعقاب الشك فى وجود صلة بين "مرض جنون البقر" ومرض كروتزفلد - جاكوب. ولم تحسم سياسة بريطانيا فى عدم التعاون مع أوروبا إلى أن عقد المجلس الأوروبى فى فلورنسا فى ٢١ ، ٢٢ يونيو ١٩٩٦ .

وفيما يتعلق بالتوقعات بوجه عام، كان هناك مجالان رئيسيان يثيران القلق فى الموقف الذى أعقب ماستريخت. أولا : بالنسبة للمادة، يمكن أن ندرك أن النصوص التفصيلية للمدخل للاتحاد الاقتصادى والنقدى كانت – على أحسن تقدير – على درجة عالية من التفاؤل. ولم تكن دروس فشل المحاولة الأولى لتحقيق الاتحاد الاقتصادى والنقدى فى السبعينات، وقد استوعبت بشكلٍ كافٍ(٦). فقد اكتسحت أزمة النفط العالمية خطط السبعينات. وربما مثلت البطالة فى الدول الأعضاء، وما نتج عنها من علل اجتماعية عقبة باعتبارها أداء لماستريخت. وكان يمكن لقضية الاتحاد الاقتصادى والنقدى أن تكون أقل إثارة للخلاف لو كان هناك تشجيع مستمد من التقدم الذى أحرز فى "الدعامتين" الأخريين لماستريخت – وهما سياسة خارجية وأمنية ومشتركة وتعاون فى ميادين العدالة والشئون الداخلية – واللذان صمما لإيجاد "توازن" فى التوسع فى سلطات الجماعة فى مجال الاتحاد الاقتصادى والنقدى. وكان الموقف فى البوسنة عقبة بارزة فى هذا الصدد.

ثانيا : إن مسألة التأييد الشعبى للاتحاد الأوروبى مازالت تحتاج إلى استيعابها بشكل يتسم بالتخيل. وكما أن ديباجة ميثاق الأمم المتحدة يبدأ بكلمتى: " نحن الشعوب"، فإن الهدف الأساسى للتكامل الأوروبى هو خلق اتحاد أوثق بين "شعوب" أوروبا، وليس بين حكوماتها. وليس من الواضح أبدا أن المساومة بين الحكومات هى الوسيلة الوحيدة لتحقيق ذلك. فهناك إغراء بأن نقترح أن مسابقة الأغنية الأوروبية المرئية أو كأس اتحاد جمعيات كرة القدم الأوروبية قد تكون أكثر تأثيرا، كما أنها أقل فى مطالبها الثقافية، لأولئك المشاركين فيها بشكل مباشر.

إن أسباب التوتر والخلافات بين الأعضاء الحاليين على المسائل "الداخلية"، على الرغم من خطورتها، قد تكون أقل حسما فى تحديد مستقبل الاتحاد الأوروبى من الضغوط الواقعة من أجل التوسع. وهذه الضغوط تأتى من دول أوروبا الغربية التى تطمح للانضمام، أو بالأحرى من دول الكتلة السوفيتية السابقة، حيث الاعتبارات الأمنية والاقتصادية المتشابكة تنطبق بقوة وبتعقد شديدين. وقد تحولنا الآن إلى هاتين المسألتين : التوسع فى الاتحاد إلى ما يتحتم أن يصبح عليه الوضع الذى يكون فيه هناك غلبة ساحقة للستار الحديدى السابق على الغرب، وقبول دول للشرق منه بطريقة تدعم أمنها أكثر مما تنقص منه.

(و) التوسع : المنطقة الاقتصادية الأوروبية :

كما سبق أن أوردنا، فإن الجماعة الأوروبية المكونة من اثنتى عشرة دولة عام ١٩٨٦ قد نمت لتكون الاتحاد الأوروبى المكون من خمسة عشر دولة بانضمام النمسا، وفنلندا والسويد فى أول يناير ١٩٩٥ . إن مغزى جماعة بهذا الحجم بالنسبة لباقى دول أوروبا، وبالنسبة للعالم ككل، هو مغزى عميق. والحقيقة أن أثر الدول الاثنتى عشرة عند تقدير الأمور، ليس فقط على تكوين سوق واحدة، ولكن أيضا على اتخاذ خطوات مهمة أخرى نحو الوحدة المنصوص عليها فى معاهدة ماستريخت، كان عاملا رئيسيا فى المسرح الدولى لعشر سنوات. وقد وقع إعلان مشترك فى لكسمبورج فى أبريل ١٩٨٤، بمعرفة الدول الأعضاء فى الجماعة الأوروبية (التى كان عددها عشرة وقتئذ) ودول اتحاد التجارة الحرة الأوروبى وهى النمسا وفنلندة وأيسلندا والنرويج والسويد وسويسرا وليخنشتاين Liechenstein . وكان فى هذا اعتراف لأول مرة بأن هناك حاجة إلى منطقة اقتصادية أوروبية تضم المنظمتين. ومع هذا فإن المفاوضات الرسمية لم تبدأ إلا فى يونيو ١٩٩٠ . وقد تم التوقيع على وثيقة "الاتفاقية الرئيسية" للمنطقة الاقتصادية الأوروبية فى أوبورتو بالبرتغال فى ٢ مايو ١٩٩٢ . وتقرر أن تسرى فى أول يناير ١٩٩٣، فى الوقت نفسه الذى تسرى فيه السوق الواحدة. وتعترف الاتفاقية بالإسهام الذى تقدمه المنطقة الاقتصادية الأوروبية "من أجل تعمير أوروبا على أساس السلام والديموقراطية وحقوق الإنسان". وتؤكد "العلاقة المميزة" بين الجماعة واتحاد التجارة الأوروبى القائمة على التقارب، والقيم المشتركة قديمة العهد والهوية الأوروبية". وتنص الاتفاقية على حرية حركة السلع والأشخاص والخدمات ورأس المال. وهى تضم نصوصاً "أفقية" أو جانبية تتعلق بهذه الحريات الأربع وتتصور تعاونا أوسع فى أمور لا تغطيها الاتفاقية بالتحديد. وتتضمن ترتيباتها المؤسسية: مجلسا، ولجنة مشتركة لضمان التنفيذ الفعال للاتفاقية، ولجنة برلمانية مشتركة للإسهام "من خلال الحوار والمناقشات، فى الوصول إلى تفاهم أفضل بين دول الجماعة واتحاد التجارة الحرة الأوروبى فى الميادين التى تغطيها هذه الاتفاقية، ولجنة استشارية لاتحاد التجارة الحرة الأوروبى للتعاون والتعليق على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للاعتماد المتبادل المتنامى لاقتصاديات الأطراف المتعاقدة".

وكان التأثير العملى للاتفاقية هو إضفاء مزايا والتزامات السوق الواحدة على دول اتحاد التجارة الأوروبى دون إعطائها صوت فى تطوير الجماعة إلى اتحاد، أى تكامل اقتصادى فى الواقع دون تكامل سياسى. وقد رأت دول اتحاد التجارة الحرة الأوروبى أن هذا الترتيب غير كاف. وقد تقدمت كل من النمسا والسويد وفنلندا وسويسرا والنرويج بطلبات للانضمام لعضوية الجماعة. وقد رفضت سويسرا اتحاد التجارة الحرة الأوروبى فى استفتاء فى ديسمبر ١٩٩٢، ولكنها احتفظت بطلب عضويتها للاتحاد الأوروبى. ورفضت النرويج عضوية الاتحاد الأوروبى فى استفتاء فى نوفمبر ١٩٩٤ . وبهذا تكون اتحاد التجارة الحرة الأوروبى من أربع دول هى النرويج وسويسرا وأيسلندا وليختنشتاين.

ويجب النظر إلى اتحاد التجارة الحرة الأوروبى باعتباره بطة عرجاء. ومع هذا فإن المنطق الذى تصوره هذا الاتحاد لا يمكن إلا أن يبقى على إغراءاته بالنسبة للمعارضين للفدرالية (الاتحادية) داخل الاتحاد الأوروبى. فاتحاد التجارة الحرة الأوروبى يمثل اختبارا يتعلق بمدى حتمية التكامل السياسى والنقدى، وليس مجرد أنه شىء مرغوب فيه. فهل هناك سبب وجيه لا مناص منه عن ضرورة أن يواكب السوق الواحدة اتحاد اقتصادى ونقدى وسياسة خارجية وأمنية مشتركة، كما تنبأت معاهدة ماستريخت؟. الإجابة بالنفى عند عدد كبير من الناس. فالنبض الاتحادى الذى حث على التحركات نحو الاتحاد الاقتصادى والنقدى ونحو اتحاد سياسى هو أساسا استجابة لمعايير سياسية وأمنية واجتماعية أكثر منها لمعايير اقتصادية وتجارية. فالأمن الأوروبى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حافظ الوجود الأمريكى عليه ، كما حافظت عليه الحرب الباردة على الرغم مما فى ذلك من تناقض. وقد أدى انهيار النظام السوفيتى إلى إدخال عنصر مهم من عدم الاستقرار فى العلاقات الأوروبية فى الوقت نفسه، كما زاد من الضغوط على الولايات المتحدة لتخفيض وجودها العسكرى فى أوروبا. وهذا التغيير المفاجئ فى الموقف فى أوروبا عزز من الحركة التى بدأت فى الثمانينات لإعادة الحيوية إلى الجماعة الأوروبية، والتى كانت سمة خاصة لشغل جاك ديلور منصب رئيس المفوضية الأوروبية، بالتعاون الوثيق مع الشراكة الفرنسية الألمانية للرئيس ميتران والمستشار كول. وكانت لدى فرنسا شكوك عميقة تجاه إعادة توحيد ألمانيا دون تقيد

بروابط اتحادية قوية. وكان المستشار كول يرغب فى أن يضع سقفا أوروبيا على ألمانيا بدلا من سقف ألمانى على أوروبا. وكان أحيانا يشار إليه على أنه بمثابة "بسمارك فى سترة من صوف". لقد كان الأمر مزيجا من تلك الاعتبارات والمصالح، والحاجة لمواجهة "التشاؤم الأوروبى" فى منتصف الثمانينات، بإعادة الحيوية لعملية التكامل الأوروبى، وليس بمنطق اقتصادى وتجارى لا مفر منه، وهو الذى أنتج معاهدة ماستريخت.

وكانت المشكلة أحيانا تطرح على أساس أنها مقايضة بين توسيع الاتحاد وتعميقه. ومهما كان الأمر مرغوبًا على أسس اقتصادية أو لأسباب سياسية فقد استمرت المناقشة، بأن التوسع لا يمكن إلا أن يخاطر بنوبان الاتحاد ما لم يتم تقوية هياكله. "فمع وجود كثير من طلبات العضوية على المائدة أو توقع طلبات جديدة فى المستقبل القريب، فإنه ليس أمام الجماعة خيار آخر إلا التحرك أكثر على الطريق إلى اتحاد قائم على الفلسفة الاتحادية. وما لم تعمل الجماعة على تقوية هياكلها وترشيد عملية اتخاذ قراراتها بحيث تجمع بين الكفاءة والديموقراطية، فإن الجماعة لا يمكن أن تأمل فى أن تتطور إلى اتحاد حقيقى. وهذه الملاحظة المقتبسة من إحدى المطبوعات الرسمية للجماعة الأوروبية عام ١٩٩٢[٧]، تصور الفوضى السائدة بين بعض المتحمسين. فبينما مفهوم التوسيع – أى مسألة إضافة أعضاء جدد – يتسم بالصراحة والوضوح، فإن "التعمق" له معنيان مختلفان. فمن جهة يمكن أن يعنى جعل النظام، سواء أكان اتحاديا أم غير اتحادى – يعمل بطريقة أفضل، بالتعامل مع مسائل مثل حجم المفوضية وسلطاتها، ونطاق تصويت الأغلبية داخل مجلس الوزراء، وتناوب رئاسة الاتحاد الأوروبى ودور البرلمان الأوروبى، ويشمل ذلك العلاقة مع مجلس الوزراء والمفوضية. وهذا النوع من التعمق، باعتباره جزء من السعى لزيادة الكفاءة، أمر حتمى مع زيادة حجم الاتحاد. ومن غير المحتمل أن الهياكل المناسبة لست دول فى الخمسينات ستكون كافية لعشرين دولة أو أكثر فى القرن الواحد والعشرين.

ومن جهة أخرى فإن "التعمق" يمكن أن يعنى زيادة درجة السيادة التى تنازلت الدول الأعضاء عنها للاتحاد، والتى دونها، كما جاء فى الرأى المشار إليه أعلاه "لا أمل فى التطوير ليكون اتحاداً حقيقياً". وقد يكون الأمر أن زيادة العضوية قد تشير فى الحقيقة إلى ناحية نقل عناصر أخرى من السيادة إلى المؤسسات المركزية على

أساس أن هذه المؤسسات لا يتوقع منها أن تؤدى مهامها دونها. ولكن ليس هذا هو الشيء نفسه مثل التخلى "المستقل" لبروكسل عن سلطات إضافية تغطى مناطق جديدة من الاختصاص. ولابد من النظر إلى "التعمق" فى سياقه. والغرض الذى تبتغيه الدول الأعضاء هو التقدم نحو الاتحاد، ليس باعتباره هدف فى حد ذاته، ولكن باعتباره وسيلة لتحقيق الأغراض المتعددة التى تم النص عليها فى القرار الذى يشكل ديباجة معاهدة ماستريخت.

(ز) التحام أوروبا معاً بعد الحرب الباردة :

إن الانهيار المفاجئ المذهل للاتحاد السوفيتى والكتلة السوفيتية، وما تبع ذلك من نهاية الحرب الباردة، أدى إلى سلسلة من المشكلات المتلاحقة سواء السياسية أو الأمنية أو الاقتصادية وكان لابد من ابتكار هندسة عمارة أوروبية من أجلها. وفى جمل تحليلية، فإن كل من المظاهر الخمسة لهندسة العمارة الأوروبية التى ناقشناها من قبل – وهى الهوية الأوروبية، وإعادة البناء الاقتصادى، والبحث عن الأمن، والتحركات نحو التكامل، والتوسع فى الاتحاد الأوروبى – يجب مراجعتها من جديد على ضوء التطورات فى أوروبا الوسطى والشرقية. ومع هذا لابد من القيام بهذه المراجعة، ليس على أساس البدء من درجة الصفر، ولكن على أساس ما قد حدث فى السنوات الأخيرة، سواء داخل أوروبا الغربية، أو فى العلاقات غير السهلة بين الجانبين، الشرق والغرب. ومن الأمور الحيوية أيضا أن الانتقال من الهياكل القائمة إلى الاحتياجات الحديثة يجب أن يأخذ فى الاعتبار بشكل كامل مظاهر عدم الاستقرار التى كشف عنها التحول فى الشرق. فضلا عن أن الانتقال يجب أن يتم بشكل يعكس واقع القوة الروسية والعوامل المؤثرة فيها.

وفى قمة الحرب الباردة كان يبدو أن أهم جزء فى جهاز التعاون بين الشرق والغرب من ناحية التأثير – وإن كان المستوى متواضعاً – إنما يتمثل فى اللجنة الاقتصادية لأوروبا، وهى تعادل اللجنة الاقتصادية الإقليمية للأمم المتحدة. ومما له مغزى أن كلا من الولايات المتحدة وكندا كانا عضوين فى اللجنة الاقتصادية لأوروبا، مما يؤكد المكونين

الأطلنطي وعبر الأطلنطي للمنطقة. وقد تم تبني مدخل رفيع المستوى وواسع المدى للتعاون بين الشرق والغرب في عقد مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا، الذي انعقد في الفترة من ١٩٧٣ إلى ١٩٧٥ وأنهى أعماله في مؤتمر قمة في هلسنكي بالقرار النهائي في أول أغسطس ١٩٧٥[٨]. وهذا القرار النهائي قدم إطارا للتعاون في ثلاث مناطق (أو سلال): الأمن في أوروبا، والاقتصاد، العلوم والتكنولوجيا، والبيئة، والميدان الإنساني وغيره من الميادين خاصة " الصلات الإنسانية (السلة الثالثة). وكان الهدف من برنامج التعاون هذا هو تعزيز، وليس الإحلال محل، جهاز الأمم المتحدة القائم، بما في ذلك بالطبع اللجنة الاقتصادية. وتقرر أن تشرف عليه اجتماعات للمتابعة. وكان الهدف العام هو إذابة الجليد وتشجيع "سياسة الوفاق الدولي" بما يحققه ذلك من فوائد تالية متمثلة في مزيد من اتصال مواطني الكتلة السوفيتية بالعالم الخارجي. وقد أثار ذلك سؤالا عما إذا كان من المناسب للغرب تشجيع حكومات الاتحاد السوفيتي والدول الدائرة في فلكها على أن تتعامل مع شعوبها بطريقة سبق أن التزمت بها على أي حال لمجرد عضويتها للأمم المتحدة وتوقيعها على وثائق عديدة، مثال ذلك ما حدث في مجال حقوق الإنسان. وفيما يتعلق بالغرب، فإن الالتزامات التي قبلت في هذا الشأن طبقا للقرار الأخير كانت سطحية في معظمها. وكان قد سبق الأخذ بها. ولهذا كان هناك بعض التخوف من أن القرار الأخير لهلسنكي هو تدبير غير متماثل، فهو ينحاز للشرق ويعطي صلاحية للاستمرارية بالمعنى الإستراتيجي لمناطق النفوذ السوفيتي والأمريكي، وهو ما ألمح إليه مؤتمر يالتا عام ١٩٤٥ .

وعلى أي حال فإن الغزو السوفيتي لأفغانستان سرعان ما أعاد عقارب الساعة إلى الوراء. فقد تحدث الرئيس ريجان عن الاتحاد السوفيتي باعتباره "إمبراطورية الشر". إلا أن الثمانينات شهدت زيادة أقل في مستواها في التعاون بين الشرق والغرب والذي كان لغرض معين. كما كان الحال في مجلس الأمن مثلا، مع تقدم محسوس في مجال نزع السلاح. وكان تولي جورباتشوف أرفع منصب في السلطة السوفيتية في منتصف الثمانينات بالشعارين: جلاسنوست glasnost (الانفتاح) وبرسترويكا perestroika (إعادة البناء)، قد حمل وعدا بآمال جديدة من التعاون مع الاتحاد السوفيتي، في تناقض قوي مع النكسة في التعاون مع الصين، التي تسبب فيها صدام ميدان تيانامان Tiananman في يونيو ١٩٨٩ .

ومع هذا فإنه خلال تلك الفترة كانت الإمبراطورية السوفيتية قد بدأت تتفتت. وكان من الواضح أن مؤتمر الأمن والتعاون فى أوروبا يمثل منهجا رئيسيا للتعامل مع الموقف الجديد بكل ما يحتويه من أمور معقدة وغير مؤكدة. وقد عقد مؤتمر الأمن والتعاون فى أوروبا فى باريس فى نوفمبر ١٩٩٠، والذى تم الترحيب به – مقدمًا على الأقل إن لم يكن بالنظر إلى ما مضى – باعتباره حدث بأهمية مؤتمر فيينا نفسها عام ١٨١٥ . وقد حضرت المؤتمر ٣٥ دولة سبق لها أن وقعت على اتفاقيات هلسنكى (ونقصت إلى ٣٤ بإعادة توحيد ألمانيا). وقد منحت ألبانيا وضع المراقب. وقيل إن الاتحاد السوفيتى قد أصر على استبعاد ممثلى ثلاث جمهوريات من البلطيق – وهى أستونيا ولاتافيا وليتوانيا – وكانت الحكومة الفرنسية قد وجهت الدعوة إليها. ووقعت ١٦ دولة من دول حلف الأطلنطى وست دول من حلف وارسو على معاهدة تخفيض القوات التقليدية فى أوروبا التى فرضت سقوفا متساوية من الأسلحة غير النووية بين الأورال والأطلنطى. وصدر بيان مشترك أكد على أن الدول الموقعة لم تعد متخاصمة وأن أسلحتها لن تستخدم أبدا إلا فى حالة الدفاع عن النفس. وقد قام رئيس وزراء المجر بإبلاغ المندوبين بأن الدول أعضاء حلف وارسو قد وافقت على حل التحالف بحلول عام ١٩٩٢ . ووصف الممثل التشيكى وهو كاتب مسرحى مرموق ومنشق، حلف وارسو بأنه من "بقايا الماضى وأنه نتاج نموذجى للتوسعية السوفيتية".

كما أن ميثاق باريس الذى صدر عن مؤتمر قمة باريس أيضا، تحدث عن "عصر جديد للديموقراطية والسلام والوحدة فى أوروبا. ووصف مؤتمر الأمن والتعاون فى أوروبا بأنه "منتدى مركزى للاستشارات السياسة فى أوروبا الجديدة". وكان هناك نص موسع على عقد اجتماعات للمتابعة، والمفاوضات، تشمل اجتماعات سنوية لرؤساء الدول والحكومات ابتداءً من عام ١٩٩٢ . وأقيمت أمانة عامة فى براغ. وأصدرت الجماعة الأوروبية والولايات المتحدة، والجماعة الأوروبية وكندا، بيانات عن علاقاتها الثنائية مما أضفى طابعًا غربيًا على مؤتمر قمة مثمر ومبشر ويهتم أساسًا بالعلاقات بين الشرق والغرب، والشرق والشرق، والمسائل الأمنية. ولكن كانت هناك غيوم كما كان هناك سطوع للشمس. فقد قامت العراق بغزو الكويت واحتلالها بعد ذلك بشهور قلائل. وكان الموقف فى يوغسلافيا قد انفرط. وقد أدى طرد العراقيين بقيادة الولايات المتحدة

من الكويت إلى ظهور آمال فى "نظام عالمى جديد". ولكن اتضح أن يوغسلافيا قد أربكت "العهد الجديد للديموقراطية والسلام والوحدة داخل أوروبا"، كما أربكت "أيضا العلاقات داخل المجتمع والعلاقات عبر المحيط الأطلنطى. وقد قام مؤتمر القمة فى هلسنكى عام ١٩٩٢، لمتابعة مؤتمر الأمن والتعاون فى أوروبا بتبنى وثيقة رائعة أخرى بعنوان: "تحدى التغيير". ولكنها معروفة أساسا بفشلها فى وضع خطط لحل الأزمة فى يوغوسلافيا. وكان مؤتمر قمة بودابست للأمن والتعاون فى أوروبا عام ١٩٩٤ قد أثبت على نطاق واسع أنه كان فاشلا بسبب الخلاف بين الرئيسين كلينتون ويلتسن الذى أعلن عنه جيدا ودار حول مسألة التوسع المحتمل لحلف الأطلنطى ليغطى دول أوروبا الشرقية. وكان هناك مصدرٌ آخر للنقد يتمثل فى الطريق المسدود حول البوسنة، وهى مسألة سكت عنها إعلان مؤتمر القمة، على الرغم من أنه لم يكن مختصراً. ولكن هذا لا يجب أن يحجب الجهود لمواجهة موقف ما بعد الحرب الباردة التى يبذلها مؤتمر الأمن والتعاون فى أوروبا CSCE ، والذى أعيدت تسميته فأصبح منظمة الأمن والتعاون فى أوروبا OSCE .

ومع هذا، فمن الواضح أن التطور الحذر لمنظمة الأمن والتعاون فى أوروبا لن يكون كافيا لتلبية الاحتياجات الملحة لأوروبا بعد الحرب الباردة. فدول حلف وارسو السابق ترغب فى أن تستعيد هويتها الأوروبية التى حرمتها منها الهيمنة السوفيتية بفاعلية ولمدة طويلة، فضلا عن رغبتها أيضا فى أن تستعيد أمنها وازدهارها. فإذا لم يتوسع حلف شمال الأطلنطى شرقا، فلابد أن توجد آلية أخرى والوسيلة الأرجح لتحقيق الأمن الذى تنشده هذه الدول هو التوسع فى الاتحاد الأوروبى، الذى تسعى هذه الدولة إلى الحصول على عضويته بأى حال لأسباب ثلاثة، من أجل الهوية والازدهار، ومن أجل الأمن. وفى اجتماع للمجلس الأوروبى فى أسن Essen فى ديسمبر ١٩٩٤ أقدم المستشار الألمانى على خطوة معينة بدعوة رؤساء الدول والحكومات ووزراء الخارجية للدول الست أعضاء حلف وارسو السابق – وهى بولندا وجمهورية الشيك وسلوفاكيا والمجر وبلغاريا ورومانيا – وهى الدول التى ارتبطت بالاتحاد الأوروبى من خلال اتفاقيات "أوروبا"، "لإجراء تبادل لوجهات النظر معها حول الإستراتيجية التى تقودهم إلى الاتحاد الأوروبى. وكانت اللغة الحذرة المستخدمة مناسبة تمامًا. فمن الواضح أن مشكلات التأهيل للعضوية،

على أساس المعايير الاقتصادية وفى الظروف السياسية السائدة، أمر له أهمية. والأمر المشكوك فيه هو كيف يتم تناول الطموحات لعضوية الاتحاد الأوروبى التى تصبو إليها دول كانت فى الماضى جزءا من الاتحاد السوفيتى نفسه، وليس أعضاء الكتلة السوفيتية، وخاصةً جمهوريات البلطيق وهى أستونيا ولاتفيا وليتوانيا.

الاتحاد الأوروبى والعالم :

من الحتمى أن كيانا فى حجم وأهمية الاتحاد الأوروبى لابد أن يحدث أثراً على باقى العالم، بالإضافة إلى الأثر - الذى تناولناه فى المحاضرة - على الدول المجاورة القريبة والدول الأخرى فى المنطقة الأوروبية. وهذا الأثر ينظر إليه على أنه أثر مباشر على الجانب الاقتصادى أكثر من الجانب السياسى، طالما أن اختصاص المجموعة، ومن ثم السلوك فى الشئون الخارجية، تعلق بالجانب الاقتصادى. ولكن مع تطور السياسة الخارجية والأمنية المشتركة، وهى التى تم الاتفاق عليها فى معاهدة ماستريخت، فإن الأثر السياسى للاتحاد الأوروبى سيصبح مباشرا أكثر أيضا.

إن دول البحر المتوسط المجاورة للاتحاد، كانت من بين أولى الدول فى إقامة روابط اقتصادية وتجارية معه. كما أن العلاقات مع أفريقيا جنوب الصحراء ترجع أيضا إلى معاهدة روما عام ١٩٥٧، عندما منحت الأقاليم فيما وراء البحار لدول معينة وضع المشارك. وقد أدت عملية القضاء على الاستعمار التى أسرعت من خطاها فى أوائل الستينات إلى تحويل هذه الرابطة إلى شكل جديد من المشاركة بين الدول ذات السيادة. واليوم هناك حوالى ٧٠ دولة فى قارة أفريقيا وتطل على الكاريبى والهادى تستفيد من علاقات خاصة مع الاتحاد ومن مساعداته طبقا لاتفاقيات لومى Lome (والتى جددت الاتفاقية الرابعة منها فى نوفمبر ١٩٩٥ لتغطى الفترة حتى ٢٠٠٠). والتعاون مع الدول النامية فى آسيا وأمريكا اللاتينية أقل فى هيكلته. ولكن مسألة تطوير العلاقات مع التجمعات الإقليمية سيصبح مهما بشكل متزايد. وكذلك العلاقات مع الاقتصاديات البازغة بشكل كبير وهى اقتصاديات الصين والهند. وسيكون على الاتحاد الأوروبى، باعتباره أعظم كيان تجارى، مسئولية كبرى فى ضمان إقامة منظمة التجارة العالمية وإدارتها باقتدار.

ومن الناحية السياسية، فإن كل الدول تتأثر إلى حد ما بوجود الاتحاد الأوروبى، مهما كان حجمها أو قوتها، حتى الأكبر حجما والأكثر قوة من هذه الدول. وربما جاء التعليق الأكثر فائدة من الدكتور هنرى كيسنجر فى دراسته الرزينة بعنوان " الدبلوماسية" ، التى يقول فيها : "إن أمريكا من الناحية الجغرافية هى جزيرة تطل على شواطئ كتلة الأراضى المتسعة لأوروبا وآسيا، اللتين تفوق مواردهما وسكانهما موارد وسكان الولايات المتحدة"(٩).

عمل لم يتم :

إن قول كيسنجر هذا تشجيع على الوقوف بعيداً والنظر إلى الغابة وليس الشجرة وحده. إننا مهتمون بهندسة المعمار الأوروبية كأحد المظاهر المؤسسية الأساسية التى لابد أن تدخل فى حسبان المارس الدبلوماسى اليوم. وإذا حكمنا بالنتائج التى أنجزت فى السنوات الخمسين الماضية، فإن الترتيبات الأوربية حققت نجاحاً كبيراً، على الرغم من أن عناصرها كانت مربكة أحيانا ومتناقضة فى أحيان أخرى. إن الاندماج الأوروبى كان فى لب هذه الترتيبات. والمشكلة الكبرى فى هذا الشأن هى متابعة معاهدة ماستريخت، سواء بالنسبة لتعميق الترتيبات بين الأعضاء الحاليين فى الاتحاد الأوروبى أو الاتجاه إلى التوسع فى عضويته.

إن العمل، على الرغم من حيويته، لم ينته بعد. ويمكن تقديم أربعة مبادئ استرشادية بالنسبة للاتجاه القادم. أولا : إن الاندماج لا يمكن أن يكون عملا غير متكافئ، وربما غير مرتب، ويثير شكوكا وتحفظات كما يثير حماسة والتزاما. وأى عمل يقوم على الثقة، ويعتمد على رؤية وقيادة قوية، سيثير الشكوك ويدعو للمقاومة وهو ما يجب على العملية الديموقراطية أن تدركه. وسيكون هناك ميل لأن تتشتت المناقشات. وهناك إغراء للجوء للقوالب الشائعة مثل :"لا يمكنك أن تصنع عجة دون أن تكسر البيض"، أو "إذا كان لابد أن تجتاز سياجا فقد يكون من الأفضل أن تجتازه من الخلف". ثانيا : إن إقامة اتحاد أوثق بين شعوب أوروبا ليس غاية فى حد ذاته. بل إنه أساساً وسيلة لتجنيب القارة الأوروبية فظائع الحرب. والمحافظة على السلام فى أوروبا مشاركة دائمة من الولايات المتحدة وكندا. فالأمن الأوروبى يقوم على دعامتين على جانبى المحيط الأطلنطى.

ثالثا : إن التحركات لإدماج دول أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية فى تدابير الأمن الأوروبى ستفشل إذا كانت معادية لروسيا. والأمر يقتضى صبرا طويلا ومهارة فى إقامة وضع مستقر يتمشى مع الرغبة فى أمن دول أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية وفى الوقت نفسه يحترم الحساسيات الروسية.

رابعا : إن باقى دول العالم تهتم بشدة بتطور الترتيبات داخل أوروبا، سواء على الجانب السياسى والأمنى أو بالنسبة للتعاون الاقتصادى. وكان الانشغال بالمشكلات الناشبة بين الدول الأوروبية قد أدت فى الماضى إلى قصور كبير فى قيام الدول الأعضاء فى الاتحاد الأوروبى بمسئولياتها بالنسبة لباقى دول العالم، وهى مسئوليات تم الاعتراف بها فى بداية التحرك نحو التكامل الأوروبى، مثال ذلك ما جاء فى إعلان شومان. فهندسة المعمار الأوروبية باعتبارها مظهر مؤسسى فى عالم اليوم تمتزج بشكل معقد بالمظهرين المؤسسين الآخرين اللذين سبق أن تحدثنا عنهما، وهما الأمم المتحدة والاقتصاد العالمى. وفى كلمة ألقاها جان مونيه فى نادى الصحافة الوطنى فى واشنطون فى ٣٠ أبريل ١٩٥٢، عرض الأمر بطريقته اللاذعة المعهودة عندما قال :

"أن توحيد أوروبا له مغزى للحضارة وبما يتجاوز حتى الأمن والسلام. فأوروبا هى أصل التقدم الذى ننتفع به جميعا، والأوروبيون بروحهم الخلاقة قادرون على الإسهام فى الحضارة بالعظمة نفسها التى ساهموا فيها فى الماضى. ولكن حتى يمكن للروح الخلاقة أن تزدهر من جديد، فإننا نحتاج إلى أن يكون هناك انسجام بين مؤسساتنا واقتصادنا، وبين العصر الحديث. وباتحاد أوروبا سنحقق ذلك ... فنحن لا ندمج بين دول، وإنما نحن نوحدها"(١٠).

ملحق للمحاضرة السادسة : اتفاقية السلام للبوسنة والهرسك :

فى ٢١ نوفمبر ١٩٩٥، تم توقيع الأحرف الأولى بين ممثلى جمهورية البوسنة والهرسك وجمهورية كرواتيا والجمهورية الاتحادية ليوغوسلافيا فى دايتون، أوهايو، على "الإطار العام للسلام فى البوسنة والهرسك والملاحق المرفقة بها". وقد شهد على ذلك المفوض الخاص للاتحاد الأوروبى وممثلو عدد من حكومات "مجموعة الاتصال"،

التى أدت دوراً مهمًا فى المفاوضات وهى حكومات فرنسا وألمانيا وروسيا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة. وقد وقع اتفاقية السلام رؤساء الدول والحكومات فى باريس فى ١٤ ديسمبر ١٩٩٥ .

وفى السنوات القادمة فإن اعتبار تاريخ ١٤ ديسمبر ١٩٩٥ "لحظة فاصلة" لم تأت فقط بالسلام ليوغوسلافيا السابقة التى مزقتها الحرب، وإنما أتت أيضا بالارتياح لدائرة أوسع بكثير ممن تهدد أمنهم، وكذلك لدائرة أوسع لأولئك الذين يعيشون فى عالم مستقل ويتعرض استقرارهم للمخاطر، وهو ما سوف يتوقف أساسًا على كيف ينفذ الاتفاق عمليا. ولكن المسألة أيضا هى أن الجهد الجماعى، الذى تم تعبئته للتوصل إلى الاتفاقية والنص على تنفيذه، إنما يضفى أرضية شرعية من التفاؤل عن قدرة المجتمع الدولى على معالجة مشكلات معقدة لها تداعيات واسعة ومدمرة. وبشكل أكثر تحديداً فى سياق هذه المحاضرات أتاحت اتفاقية السلام فرصة غير عادية لبلورة العوامل المؤسسية التى تؤثر على صنع السياسة الخارجية، التى درسناها فى المحاضرتين الرابعة والخامسة. وهذا الملحق – بناءً على ذلك – سيستعرض أولا اتفاقية السلام نفسها ثم بعض الاعتبارات ذات الصلة الخاصة بالهندسة المعمارية الأوروبية، والاقتصاد العالمى والأمم المتحدة بهذا الترتيب.

اتفاقية السلام :

إن نص اتفاقية السلام، فى الشكل الذى وزع على الأمم المتحدة[١١] . بلغ عدد صفحاته ١٥٠ صفحة. وتتناول الملاحق للإطار العام للاتفاقية بالترتيب الجوانب العسكرية للتسوية السلمية، متضمنة إقامة قوة التنفيذ العسكرية المتعددة الجنسيات IFOR (multinational Military Implementation force) ، والاستقرار الإقليمى، متضمنا انسحاب القوات الأجنبية وضبط التسلح، وخط الحدود داخل الكيان (أى الحدود بين جمهورية البوسنة والهرسك واتحاد البوسنة والهرسك وجمهورية الصرب) ، والمسائل المتصلة بها، والانتخابات، ودستور البوسنة والهرسك، والتحكيم، وحقوق الإنسان، واللاجئين والأشخاص المشردين، ولجنة المحافظة على الآثار الوطنية،

والهيئات العامة للبوسنة والهرسك، والتنفيذ المدنى، وقوة الشرطة الدولية. وإن مجرد عناوين الملاحق المختلفة كافية لإعطاء فكرة عن تفاصيل وتعقيد الاتفاقية وعدد وتنوع أولئك المرتبطين دوليا بتنفيذها.

وتنبع الفكرة الأوضح لهذا الارتباط الدولى من خلاصات مؤتمر تنفيذ السلام الذى عقد فى لانكسترهاوس فى لندن فى ٨ و ٩ ديسمبر ١٩٩٥(١٢) . والهدف من هذا المؤتمر هو "تعبئة المجتمع الدولى لمساندة بداية جديدة لشعب البوسنة والهرسك" وكان المؤتمر جيداً مثل اسمه. وقد تناولت الخلاصات بالتوالى : التنفيذ العسكرى، متضمنا بالطبع المسألة الحيوية وهى إقامة قوة التنفيذ العسكرية المتعددة الجنسيات، والاستقرار الإقليمى، متضمنا إجراءات لبناء الثقة على غرار نموذج الاتفاقيات التى عقدت بنجاح فى بلاد أخرى فى أوروبا تحت رعاية منظمة الأمن والتعاون فى أوروبا OSCE (Organisation for Security and Cooperation in Europe)، والتنفيذ المدنى، وخاصةً بالنسبة لإعادة إقامة أوضاع طبيعية فى سراييفو، وتعيين مستر كارل بلديت، المفاوض الخاص للاتحاد الأوروبى "ممثل سام" معين طبقا لشروط اتفاقية السلام لمتابعتها، والهياكل الإدارية للتنفيذ الإدارى، متضمنا مجلس تنفيذ السلام ١٩٥٢ PIC (Peace Implementation Conference) وسيكون لهذا المجلس لجنة للتوجيه تحت رئاسة الممثل السامى ومكونه من ممثلين للدول الأعضاء فى مجموعة السبع المكونة من الدول الصناعية الكبرى، وروسيا، والاتحاد الأوروبى، والمفوضية الأوروبية والمؤتمر الإسلامى، والمساعدة الإنسانية، واللاجئين والسجناء، متضمنة المندوب السامى للاجئين ووكالات الأمم المتحدة وبرامجها الأخرى، واللجنة الدولية للصليب الأحمر، وعدد من المنظمات غير الحكومية وحقوق الإنسان، ومنظمة الأمن والتعاون فى أوربا التى عهد إليها إعداد الانتخابات والإشراف عليها، ومتضمنة أيضا مجلس أوروبا وجهاز حقوق الإنسان بالأمم المتحدة، وإعادة الإعمار حيث أصبح البنك الدولى والمفوضية الأوروبية فى المقدمة ولكن بمشاركة صندوق النقد الدولى، والبنك الأوروبى لإعادة التعمير والتنمية EBRD (European Bank for Reconstruction and Development) وعدد من منظمات الأمم المتحدة أيضا.

اتفاقية السلام وهندسة المعمار الأوروبية :

لم يثبت أن هناك مصدرا أكبر يتسبب فى صعوبة بناء أوروبا المستقرة والمزدهرة بعد نهاية الحرب الباردة، أكثر من انهيار يوغوسلافيا السابقة ونشوب حرب مريرة على أراضيها. وبالتساوى، فإنه لا يوجد شيء يمكن أن يسهم بشكل أكبر فى تحقيق هدف الاستقرار والازدهار الأوروبى أكثر من التنفيذ الناجح لاتفاقية السلام. ولن يأتى هذا بفوائد كبيرة فى حد ذاته فحسب. بل إنه سيلهم الثقة فى المدخل الذى تم تبنيه. وهذا المدخل قد تم تصميمه بشكل يدعو للإعجاب. أولا : تم منح منظمة الأمن والتعاون فى أوروبا تفويض واضح ومهم بالنسبة للاستقرار السياسى فى البوسنة والهرسك، وخاصةً فيما يتعلق بالإعداد والإشراف على الناخبين. وقد سبق أن أشرنا إلى النقد الموجه إلى منظمة الأمن والتعاون فى أوروبا لفشلها فى التعامل مع الموقف فى البوسنة . ويوجد الآن احتمال أن هذه المنظمة يمكن أن تنجز الدور الذى تصوره لها مؤتمر باريس عام ١٩٩٠ بأنها "المنتدى المركزى للاستشارات السياسية فى أوروبا الجديدة".

ثانيا : إن عمل مجموعة الاتصال وإقامة قوة التنفيذ العسكرية المتعددة الجنسيات هما مثالان على الطريقة التى يمكن بها جذب روسيا إلى التعاون المثمر مع الغرب. والصعوبات حول التوسع فى حلف الأطلنطى والاتحاد الأوروبى باقية، ولكن التنفيذ الناجح لاتفاقية السلام يمكن أن يساعد فى بناء الثقة بين روسيا والغرب.

ثالثا : وجد حلف الأطلنطى دوراً كبيراً ولكنه محدد بشكل جيد. وهو دور منشط لحلف الأطلنطى نفسه. ففى اجتماعه الوزارى فى بروكسل فى ٥ ديسمبر تحدث مجلس شمال الأطلنطى عن استعداداته لتنفيذ الجوانب العسكرية لاتفاقية السلام "تحت قيادة حلف الأطلنطى وبمشاركة الدول الأخرى. وهذا يؤكد الدور الرئيسى للتحالف فى ضمان السلام والاستقرار فى أوروبا ... وأن تماسك التحالف وتضامنه أمران جوهريان لكى يقوم حلف الأطلنطى بوظائفه الأساسية وكذلك القيام بعملية من هذا النوع"[١٣].

رابعا : إن مشاركة الولايات المتحدة الرئيسية، ليس فقط فى تحقيق اتفاقية السلام ولكن أيضا فى تقديم قوات على الأرض، وهو شيء مختلف عن القوات الجوية أو البحرية، كما حدث فى مرحلة سابقة، وهو ما يعد أمراً مهماً جداً، بالنسبة للعلاقات

عبر الأطلنطى بوجه عام. إن "جدول الأعمال عبر الأطلنطى" وخطة العمل الأمريكية الأوروبية المشتركة" (التى وقعها الرئيس كلينتون والاتحاد الأوروبى فى مدريد فى ٣ ديسمبر) تغطى مجالاً واسعًا جدا من المسائل فى الميادين السياسية ونزع السلاح والشئون الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية. وهى تنم عن إدراك أعظم بمدى حاجة المشكلات العالمية إلى التعاون عبر الأطلنطى. وتشكل البوسنة والهرسك حالة مهمة فى هذا المجال.

خامسا : لقد نجح الاتحاد الأوروبى فى أن يضع المسائل التى كان يتردد بشأنها أو يختلف عليها حول التقدم للأمام وتجاوز معاهدة ماستريخت فى منظور أكثر إيجابية نتيجة للدور الرئيسى الذى ستدعى لتأديته فى تنفيذ اتفاقية السلام. وهناك جانبان يتعلقان بذلك وهما تعيين مفاوض أوروبى وهو مستر كارل بلدت، باعتباره ممثل سام، و"إقامة علاقات تعاقدية مباشرة وحركية بين البوسنة والهرسك والاتحاد الأوروبى داخل إطار مدخل إقليمى"، وهذا ما جاء فى خلاصات مؤتمر تنفيذ السلام فى لندن فى ٨ و ٩ ديسمبر. فخلاصات الرئاسة التى صدرت بعد مؤتمر المجلس الأوروبى فى مدريد فى ١٥ و ١٦ ديسمبر (والتى نوقشت فى نهاية المحاضرة السابعة) توحى بقدر من الثقة والغاية، وهو ما كان غائبًا، بينما كان الموقف فى يوغوسلافيا السابقة سببًا فى كثير من المناقشات والإحباطات داخل الاتحاد.

سادسا : إن اتفاقية السلام لها أهمية قصوى بالنسبة لتطور الدور الدولى لألمانيا، سواء بشكل فردى أو باعتبارها جزء من السياسة الخارجية والأمنية للاتحاد الأوروبى. لقد لعبت ألمانيا دورًا فى غاية النشاط فى المفاوضات المؤدية إلى اتفاقية دايتون. وباعتبارها جزء من قوة التنفيذ العسكرية المتعددة الجنسيات، فإن القوات الألمانية ستترابط فى الخارج لأول مرة فى دور له مثل هذه الطبيعة. وهذه القوات لن تكون فى البوسنة فعلا، وإنما فى كرواتيا. ولقد كان هناك إجماع على ذلك بين مختلف الطوائف السياسية فى ألمانيا.

وأخيرًا، إن الأبعاد الخاصة بسلوك السياسة الخارجية للولايات المتحدة قد تكون عميقة. فخلال حملة الانتخابات الرئاسية عام ١٩٩٢، ركز الرئيس كلينتون بشدة على ما اعتبره تركيزا فى غير محله للرئيس بوش على السياسة الخارجية على حساب المشكلات الداخلية. ولكن عمليا ركز الرئيس كلينتون بشكل متزايد على السياسة

الخارجية ولم يستطع إلا أن يقيم حملته لإعادة انتخابه عام ١٩٦٦ إلى حد ما على نجاحاته المتصورة فى السياسة الخارجية. وفى النهاية فإن الاعتماد المتبادل العالمى سيجهض محاولات أية إدارة أمريكية للتخفيف من اهتمامها بالشئون الخارجية.

اتفاقية السلام والاقتصاد العالمى :

أوضحت المحاضرة الخامسة طبيعة الاقتصاد العالمى اليوم فيما يتعلق : "بالعولمة الثانوية". إن "العولمة الأولية" بمعنى التجارة الموسعة فى السلع والخدمات، والهجرة والاستثمار فيما وراء البحار هى من المظاهر البارزة للحياة منذ بداية هذا القرن. ومع هذا فخلال هذه الفترة، أصبح الاقتصاد العالمى من الأمور الأكثر تعقيدا إلى حد كبير، ويتضمن اندماج المسائل الاقتصادية والسياسية والأمنية والتكنولوجية والمعلوماتية والبيئية التى تتسم بقدر كبير من التعقيد. فالمتطلبات الملحة لاقتصاد العالم الحديث فى هذه المرحلة الثانوية للعولمة قد ظهرت بشكل درامى فى النتائج التى ترتبت على اتفاقية السلام الخاصة بالبوسنة والهرسك.

لقد أظهرت صحة المدخل فى جدولى أعمال أمين عام الأمم المتحدة للسلام والتنمية (وهما يقدمان مثلا للمدخل للشئون العالمية الذى تم تبنيه فى تقرير لجنة الحكم الرشيد العالمى.) وهناك أربعة جوانب محددة لاتفاقية السلام تستحق الانتباه. الجانب الأول : هو مجرد تعدد "الفاعلين" ، فهناك عدد كبير من منظمات الأمم المتحدة وبرامج المنظمات الدولية الأخرى، واللجنة الدولية للصليب الأحمر والمنظمات غير الحكومية بالإضافة إلى الحكومات – التى تشترك فى تنفيذ النصوص المعقدة للاتفاقية وهى فى الوقت نفسه نصوص حيوية. ثانيا : إن الصلة الوثيقة بين المساعدة الإنسانية وإعادة الإعمار، وهى صلة تعتبر الآن حتمية فى تناول مسألة الغوث من المعاناة وتنشيط التنمية. ثالثا : حاجة الجهات المانحة إلى التشاور عن قرب لتلبية الاحتياجات الهائلة للغوث وإعادة الإعمار. ولقد وضع البنك الدولى احتياجات البوسنة من المعونة فى حدود ٥ بلايين دولار أمريكى فى السنوات الثلاث أو الأربع القادمة. وتنص نتائج مؤتمر لندن على أن اجتماعات "الجهات المانحة المتكررة، تتطلب إنجاز مشاركة واسعة ومنصفة فى جهود المعونة الدولية" ،

وأخيراً وربما الأكثر مدعاةً للاهتمام، فإن النتائج أفردت لفرنسا بسبب رئاستها لمجموعة الدول الصناعية الكبرى السبع (G7) "دوراً تنسيقيًا قويًا بوجه عام فى مجلس تنفيذ السلام". ولم يكن يخطر على بال الزعماء الذين أقاموا مجموعة الدول الصناعية الكبرى السبع منذ عشرين عاماً، أنها تتطور بحيث يعهد إليها المجتمع الدولى بمسئوليات تنفيذية من هذا النوع(١٤) . ولكن هذا المنطق لا مفر منه. فالهدف المعلن من مؤتمر تنفيذ السلام، كما سبق الإشارة إليه، كان "تعبئة المجتمع الدولى خلف بداية جديدة لشعب البوسنة والهرسك"، وهو هدف لا يمكن إلا أن يتضمن بشدة الدول الأعضاء فى مجموعة الدول الصناعية الكبرى السبع.

اتفاقية السلام والأمم المتحدة :

لقد كان لاتفاقية السلام نتائج بعيدة المدى بالنسبة للأمم المتحدة. وكانت السلطة الدولية النهائية بل والمباشرة لعقد الاتفاقية قد تعززت حيث إن مجلس الأمن كان يعمل طبقا للفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة. وقد أوضح ذلك بجلاء قرار مجلس الأمن ١٠٣١ (١٩٩٥) الذى تمت الموافقة عليه فى ديسمبر ١٩٩٥(١٥) . والحقيقة أن الأمم المتحدة قدمت الإطار لاتفاقية الإطار. وتمثلت حقائق السلطة فى دور مجموعة الاتصال تحت قيادة فعالة للأمم المتحدة. وهذا مثال للنقطة التى أثارها سير شارلز وبستر Charles Webster منذ خمسين عاماً بأن الميثاق يمثل "تحالفا للقوى الكبرى مستنداً على منظمة عالمية". وفى الوقت الذى تستطيع فيه القوى الكبرى أن تعمل بفاعلية اليوم بعد ما أحدثته الحرب الباردة من طريق مسدود، فإن هذه القوى تحتاج إلى مساندة لا يمكن لغير منظمة عالمية أن تقدمها.

ثانيا : إن الانخراط المستمر لأمين عام الأمم المتحدة ونظام الأمم المتحدة على أساس عريض، أمر جوهرى على الصعيدين العملى والسياسى. وبالتحديد، فإن أمام الأمم المتحدة الكثير لتقوم به فيما يتعلق بشرق سلوفانيا ومقدونيا. كما أنه من الحيوى أيضا أن يتماسك الائتلاف السياسى الذى جعل اتفاقية السلام أمراً ممكنًا. وسيقوم مجلس الأمن بمراقبة الأحداث عن كثب. ومن المثير للانتباه أن نصف الوحدات

التى تشكل قوات قوة التنفيذ العسكرية متعددة الأطراف ستكون من دول ليست أعضاء فى حلف الأطلنطى. كما أن العمل الذى كانت الأمم المتحدة وغيرها يقومون به فى الماضى، فى ظروف صعبة وأحيانًا خطرة، يمكن أن يطويه النسيان. إن شجاعتهم وتضحياتهم هى جزء من الخلفية للاتفاقية الحالية. وفى بداية عام ١٩٩١ كان للأمم المتحدة ٦٠ مراقبًا فى يوغوسلافيا السابقة. وانخراطهم أدى فى النهاية إلى ارتفاع عددهم إلى ١٦٠٠٠ جندى. ولقوة التنفيذ العسكرية متعددة الأطراف ٦٠٠٠٠ جندى مسلح، وهم مكلفون بتنفيذ اتفاقية أسهمت فيها كل الأطراف، بدلا من محاولة حفظ السلام وسط اضطرابات، وهو ما كان مصير قوة الحماية فى يوغوسلافيا السابقة التابعة للأمم المتحدة UNPROFOR .

ثالثا : تؤكد اتفاقية السلام أهمية المسئولية الإقليمية داخل إطار الأمم المتحدة، وهى نقطة فاصلة للأمم المتحدة منذ البداية. وإن السؤال عن المدى الذى ترغب فيه الأمم المتحدة أن تعهد بالمسئولية إلى الهيئات والتحالفات الإقليمية هو سؤال يأخذ فى الاعتبار الجوانب العالمية للاعتماد المتبادل. وفى حالة أوروبا، فإن المنطقة تشمل، كما سبق أن ذكرنا، الولايات المتحدة الأمريكية وكندا كما تشمل روسيا بأكملها. والانخراط الدولى المتزايد لليابان يجعلها جزءًا "واقعيًا" de facto من المنطقة الأوروبية بشكل متزايد.

رابعا : إن التنفيذ الناجح لاتفاقية السلام للبوسنة والهرسك سيكون له قيمة كبيرة كسابقة لعمل الأمم المتحدة فى مواقف الصراع داخل الدول، وهو أمر مختلف عن الصراع بينها. وهناك مجموعة من المأزق المحيطة الناشئة عن العزوف المتوطد عن التقاطع مع السيادة الوطنية. والمادة الثانية (بند ٧) من الميثاق احتوت على نفوذ قوى. فكما لاحظنا من قبل، فانه الاحتمال بأن يتم التقدم للأمام بتعديل الميثاق هو احتمال أقل من استخدام السوابق الفعالة. فالأمم المتحدة ستتعلم بالعمل والعمل الجيد.

من سراييفو إلى سراييفو؟

لقد سبق أن أشرنا إلى الفكرة التى طرحت بأن القرن العشرين يمكن اعتباره بأنه قد بدأ وانتهى فى سراييفو. أى انه بدأ فى ٢٨ يونيو ١٩١٤ باغتيال ولى عهد العرش النمساوى المجرى فى سراييفو، مما أدى إلى نشوب الحرب العظمى

والتى انتهت إما فى إبريل ١٩٩٢، عندما قام صرب البوسنة بحصار سراييفو بنية "خنقها"، أو فى ١٤ ديسمبر ١٩٩٥، عندما وقعت اتفاقية السلام الخاصة بالبوسنة والهرسك فى باريس بكل ما يتعلق بالعاصمة سراييفو، وأبرز ذلك رفع الحصار الذى دام أكثر من ثلاث سنوات، وبصرف النظر عن أى من المؤشرات تبدو مناسبة أكثر من غيرها، فمن الواضح أن تفكك يوغوسلافيا السابقة قد مثل مرحلة جديدة من العلاقات الدولية، أبعدت "الدبلوماسية الجديدة" أكثر عن "الدبلوماسية القديمة". فالملامح المؤسسية اليوم، التى تلعب دورًا مهمًا فى إدارة العلاقات الدولية، تختلف اختلافًا كبيرًا عن ملامح القرن التاسع عشر.

إن المتشككين يمكن أن يشيروا بارتياح إلى الجزء الذى لعبته القوة سواء فى تفكك يوغوسلافيا السابقة وفى الترتيبات التى تعلق عليها الآمال لاستعادة السلام. ومع الأمل المخلص فى أن التغييرات فى النظام الدولى يمكن أن تحدث فورًا وبلا معاناة، استجابة للتغيرات فى الاحتياجات الدولية، فإن التاريخ لا يوحى بأن هذه الأمنية يمكن أن تتحقق. فنظام الدولة – الأمة الذى وصلت فيه "الدبلوماسية القديمة" إلى ذروته، قد ظهر إلى الوجود من رحم حرب الثلاثين عامًا التى اتسمت بالقسوة الشديدة والتدمير. لقد ولد ميثاق الأمم المتحدة من أعظم حرب فى التاريخ، ولم تكتشف الإنسانية بعد كيف تنتج الطاقة والقدرة على الإبداع والتعاون فى مرحلة ما بعد الحرب بدون أن تمر أولا بويلات الحرب. إلا أن الدبلوماسية، باعتبارها وليدة زمانها، ينبغى مع ذلك أن تسعى إلى مزايا التعاون مع السعى لتجنب ويلات الحروب.

(٧)

صنع السياسة الخارجية

لقد حان الوقت لقليل من المراجعة النهائية. فاهتمامنا لا ينصب على تحليل العلاقات الدولية فحسب، وإنما ينصب أيضا على عمل الدبلوماسية. ويتمثل لب العمل الدبلوماسى فى ممارسة الحكومات للسلطة فى المكون الدولى للحياة الوطنية. فالدبلوماسيون يجب أن يكونوا قادرين على الإسهام فى تشكيل السياسة الخارجية وفى تنفيذها. فلابد أن يكونوا "متمكنين من السياسة الخارجية"، بمعنى تمكنهم من الجوانب الاستشارية والتنفيذية للعمل الدبلوماسى. والهدف من هذه المحاضرات هو ابتكار إطار فكرى يساعد على خلق هذه المقدرة. إن الجوهر والعملية يمتزجان بشكل معقد للغاية. وعلينا أن نفكر فى أبعاد عديدة فى وقت واحد . ومن الضرورى أن نحتفظ بعدد كبير من الأشياء فى مقدمة وليس فى مؤخرة عقلنا.

ومن المفيد أن نميز – بشكل تعسفى إلى حد ما بالضرورة – بين أنواع مختلفة من المكون الذى يتألف منه الإطار ثم ندرسها بشكل منفصل، وهذه الأنواع هى العناصر التحليلية لنصل إلى فهم ما يواجهه الدبلوماسيون، والسمات المؤسسية لنمكنهم من اكتساب الإلمام بالساحة التى يعملون بها، والعوامل التنفيذية، لتسليحهم بالمهارات التى يستخدمونها لكى يكون عملهم فعالاً، جماعياً وفردياً. لقد فحصنا بعناية حتى الآن العناصر التحليلية فى المحاضرات الرابعة والخامسة والسادسة. وإذا تحولنا إلى العوامل التنفيذية، فإننا نحتاج إلى أن نعود إلى مضمون الجوهر فى المحاضرات السابقة، على أن يكون المدخل إليها من وجهة النظر التنفيذية أو الفنية وليس التحليلية أو المؤسسية. ومن الملائم أن نتبع المدخل "بتسلسل هرمى"، أى بنظام تدريجى من

العوامل ذات الصلة على المستوى الوطنى أو الحكومى، إلى العوامل التى تطبق على الدبلوماسيين بشكل جماعى، عندما تنظم فى خدمات دبلوماسية محترفة، حتى تصل إلى تلك المتعلقة بالكفاءة والفاعلية للدبلوماسى الفرد. وهذه المحاضرة، طبقًا لذلك، ستتناول صنع السياسة الخارجية على المستوى الوطنى. وستعالج المحاضرة الثامنة منظمة الخدمة الدبلوماسية، وستركز المحاضرتان التاسعة والعاشرة على المهارات الدبلوماسية الشخصية.

العوامل التنفيذية والفنية فى صنع السياسة الخارجية

من الواضح أنه فى نشاط مثل الدبلوماسية، حيث الجوهر والعملية ممتزجان بشكل معقد، تكتسب العوامل التنفيذية والفنية أهمية قصوى. ومع هذا فإن التحليل المفيد يتوقف على الاعتراف الكامل بصعوبة عزل تلك العوامل عن جوهر الأحداث والسياسات ذات الصلة بها. وسنختار سبعة جوانب، مع استخدام الدرجة المعتادة من الاختيار التحكمى :

(أ) استعراض أساسيات الموقف الوطنى التى يجب أن تستند إليها السياسة الخارجية،

(ب) نظرة عن كثب إلى قائمة "الفاعلين" فى عملية صنع السياسة الخارجية،

(جـ) دور وسائل الأعلام، بصفتها "فاعلا" ومنشئا "للمسرح" الذى تقع فوقه الأحداث،

(د) الرأى العام باعتباره عاملاً فى عصر الرجل العادى والمرأة العادية.

(هـ) كيف يمكن للخدمة الدبلوماسية المحترفة أن تكون ملائمة (وهو موضوع عولج فى المحاضرة الثامنة بتفاصيل أكبر)،

(و) نطاق العمل المستقل ذاتيًا الذى تقوم به الحكومات، على الرغم من كل القيود على حريتها فى المناورة،

(ز) العلاقة بين السياسة والاستراتيجية.

وتخلص المحاضرة ببعض الأمثلة عن السياسة الخارجية المستمدة من النصوص المنشورة.

(أ) أساسيات السياسة الخارجية

التعريف التقليدى لهدف السياسة الخارجية - كما سبق أن ذكرنا - هو أنه الارتقاء بسلامة وازدهار البلاد. وهاتان الصفتان - السلامة والازدهار - يضاف إليهما التسليم بأن السلامة يجب أن يكون لها الأولوية، على الأقل فى المدى القريب. إن رائد علم الاقتصاد البريطانى آدم سميث لاحظ - كما هو معروف - فى كتابه "ثروة الأمم" Wealth of Nations أن الدفاع أهم من الثراء. وفى أيام آدم سميث كان الفرق أوضح مما عليه الآن. وفى عالم اليوم القائم على الاعتماد المتبادل فإن المصطلحين يتطلبان تعريفا أوسع، لأن التداخل بينهما كبير.

وفضلاً عن ذلك ففى ظل أحوال الاعتماد المتبادل الحديث، يتطلب التشكيل التقليدى لأهداف السياسة الخارجية بعض الشرح، ليس فقط فيما يتعلق بتعقد العلاقة بين الأمن والرفاهية، ولكن أيضا بسبب اتساع الهوة الكبيرة بين نطاق وتنوع الانخراط فيما وراء البحار. وفى آخر تقرير وزارى، أعد جزءاً من خطط الإنفاق الحكومى للسنوات الثلاث القادمة، عددت وزارة الخارجية والكومنولث (البريطانية) الأهداف الأساسية الخارجية للمملكة المتحدة كما يلى:

(١) تعزيز أمن المملكة المتحدة والأقاليم التابعة.

(٢) الارتقاء برفاهيتها.

(٣) تنشيط وحماية المصالح البريطانية والنفوذ البريطانى فيما وراء البحار.

(٤) حماية المواطنين البريطانيين فى الخارج[١].

ويتضمن هذا الشرح إدراك "المسامية" porousness الدولية للوجود الوطنى اليوم. فحقائق الاقتصاد العالمى هى أنه إذا أرادت دولة ما أن ترفع من مستوى معيشتها، فلابد أن تنخرط بدرجة أكبر فيما يحدث خارج حدودها. وهذا يتطلب بدوره مرونة أكبر وقدرة على التخيل من جانب صانعى السياسة الخارجية.

وتوجد أساسيات السياسة الخارجية فى الحقائق الأساسية للموقف الوطنى: الجغرافيا؛ والثروات المتوفرة سواء أكانت من صنع البشر أو الطبيعة؛ ومستوى النشاط

الاقتصادى ومستوى الاعتماد على مصادر من الخارج خاصة بالإمدادات وأسواق التصدير، والدخول فى صفقات من أى نوع مع باقى العالم، والتعرض للضغوط الخارجية، من أى نوع أيضا، والاتصالات والترتيبات بين الحكومات، سواء ثنائية أو إقليمية أو عالمية، والمشاركة فى عمل المنظمات الدولية، والتحالفات الرسمية والتعهدات بعقود. وباختصار، كما أوردنا فى مطلع هذه المحاضرات، فإن اهتمامنا منصب على الإجمالى العام للتأثير الذى تحدثه دولة على دولة أخرى، أو بالأحرى ما تحدثه حضارة من تأثير على حضارة أخرى، ويمتد ذلك إلى العلاقات الثقافية، والعقود الرياضية، وصناعة السياحة، والأزياء الحديثة للاستهلاك، والطاقات المتنوعة للشباب. والقائمة لا نهاية لها. والرسالة واضحة. فالسياسة الخارجية، إذا أريد لها أن تكون واقعية، يجب أن تستند إلى حقائق ارتباطات الأمة الدولية، مهما كانت متسعة النطاق وعسيرة الإدراك فى بعض الأحيان. وأن استجابة الدولة لحقائق ارتباطاتها الدولية هى المنطلق لصياغة السياسة الخارجية. والاستجابة ليست آلية أو "موضوعية" ببساطة. فالصالح الوطنى مكون من مزيج دقيق لما هو موضوعى وذاتى. والاستجابة ستكون عملياً نتيجة لعدد كبير من العوامل والتأثيرات داخل البلاد.

(ب) قائمة الفاعلين Players :

فى الأيام التى يكون فيها متسع من الوقت ويقل فيها الاعتماد المتبادل، يمكن للحكومة أن تترك أمور السياسة الخارجية - إلى حد كبير - فى يدى وزير الخارجية. ولكن مثل هذه الأيام ولت الآن. فرئيس الحكومة لا يمكن إلا أن يكون منخرطاً بشدة يوميا. وقد أوردت مجلة الإيكونومست(٢). أن زيارة مستر جون ميجور إلى لاهاى وبرلين فى ٧ و ٨ سبتمبر ١٩٩٤ كانت تمثل رحلته الخارجية رقم ٦٣، مع استبعاد العطلات، منذ أن تولى رئاسة الوزراء عام ١٩٩٠ . وقد قضى كل أو بعض الأيام البالغ عددها ١٦٤ من مجموع ما قضاه فى منصبه وهو ١٣٨١ يوماً خارج المملكة المتحدة. ويجب أن نضيف إلى ذلك الوقت الذى قضاه فى الشئون الخارجية عندما كان فى بلده بما فى ذلك الحفاوة بالزوار الأجانب. ويجد بعض الوزراء أن المكون الخارجى (فيما وراء البحار)

لمسئولياتهم الوزارية يمثل قدراً كبيراً، ليس فقط فى الوزارات الواضحة مثل وزارة التجارة والمالية والدفاع، ولكن فى وزارات أخرى أيضا مثل الزراعة والنقل والعدل والشئون الاجتماعية والبيئة. وبالإضافة إلى عامل الانخراط المباشر لكل وزير بحكم طبيعة وزارته، توجد المسئولية الجماعية للحكومات تجاه الشئون الخارجية فضلا عن الشئون الداخلية وتجاه الاعتماد المتبادل الذى لا مفر منه. وأفضل مثال لحجم هذا الانخراط الجماعى يتمثل فى قائمة تفضيلية لتشكيل لجان مجلس الوزراء البريطانى ولجانه الفرعية ابتداء من سبتمبر ١٩٩٥[٢]. فهناك لجان، وجميعها تحت رئاسة رئيس الوزراء، مختصة بالدفاع والسياسة الخارجية، والخدمات المخابراتية، والدفاع النووى، وأيرلندا الشمالية. وبالطبع فإن وزير الخارجية والكومنولث عضو فى جميع هذه اللجان. وبالإضافة إلى ذلك فإنه يرأس اللجنة الفرعية الخاصة بالمسائل الأوروبية. ووزراء الخارجية قد يكونون أعضاء فى لجان أخرى ذات صلة أو لجان فرعية، أو تتم دعوتهم لحضور اجتماعاتها كلما كان ذلك ملائماً.

والبرلمان أيضا لا يمكن إلا أن ينشغل بصنع السياسة الخارجية، وليس فقط بحكم سلطته التشريعية والانتخابية الأساسية، وإنما أيضا لاهتمامه بالتطورات اليومية. وللجان الشئون الخارجية التابعة للبرلمانات الوطنية دور مهم جدا، وهو دور يأخذ أشكالا مختلفة حسب الترتيبات الدستورية لكل بلد. وهناك مثال ملفت للنظر فى هذا الصدد وهو الولايات المتحدة، حيث مبدأ فصل السلطات يجد تعبيرا معينا فى النص على أن رئيس الجمهورية لا يعقد معاهدات إلا بمشورة وموافقة مجلس الشيوخ. وقصة عصبة الأمم، التى سبق أن تعرضنا لها، والتى رفض فيها مجلس الشيوخ العصبة مع أنها من بنات أفكار الرئيس ويلسون، وهى أبلغ مثال فى هذا الشأن. ونتيجة لانتخابات التجديد النصفى فى نوفمبر ١٩٩٤، فإن السيطرة على الكونجرس انتقلت إلى الجمهوريين على بالرغم من أن البيت الأبيض يحتله رئيس من الحزب الديموقراطى. وقد وضح بجلاء تأثير ذلك على تماسك السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.

إن أهمية البرلمان فى تشكيل السياسة الخارجية مرتبط طبيعيًا بالطريقة التى يقوم بها البرلمان بعمله. وفى عدد من البلدان يطبق تقليد الحزبية الثنائية أو بالأحرى عدم الحزبية فى التعامل البرلمانى مع الشئون الخارجية. وهذا التقليد ليس شائعًا فى

تناول الشئون الداخلية. فاللجان البرلمانية المهتمة بالشئون الخارجية قد تتمتع بوضع خاص نتيجة لذلك. ولكن بوجه عام يجب أن نتوقع أن الأحزاب السياسية ستلعب دوراً مميزاً في الشئون الخارجية، من خلال البرلمان وأيضا على نطاق أوسع. ويمكن للأحزاب السياسية أن تكون ذات طبيعة مختلفة بشكل واسع. فقد تعكس تأثيرات دينية أو اجتماعية أو ثقافية أو قطاعية (زراعية مثلا)، أو لغوية أو اثنيه. فإذا كانت الأحزاب تقوم على قاعدة أعرض، فقد تشمل تحالفا لمثل هذه التأثيرات بالتالي. وقد يكون تأثير هذه الأحزاب على تشكيل السياسة الخارجية هو انعكاس لثقلها في الشئون الداخلية، وللحاجة لأن تأخذ الحكومة في الاعتبار بشكل مناسب الضغوط التي تمارسها في الداخل، وكذلك أي اهتمام مباشر أو خبرة في مسائل معينة من السياسة الخارجية.

وجماعات الضغط من جميع الأنواع قد تسعى إلى تبني أو رفض بنود معينه من السياسة أو التشريع التي تهمها، وبوجه عام فإن هذه الجماعات ستشغل نفسها بخلق مناخ ملائم للرأي. وهي لن تكون وحيدة في هذه المهمة. فهناك حشد كبير من المنظمات غير الحكومية، وكثير منها منظمات خيرية، يمكن أن تؤثر بشكل جماعي أو فردي في تشكيل السياسة الخارجية. كما أن الهيئات العلمية والاستشاريين الأفراد والأكاديميين قد يكون لهم ثقل كبير. والمصالح الاقتصادية قد تكون حاسمة، ولا يرجع ذلك ببساطة إلى وجهات النظر التي قد يصرح بها الناطقون بلسانها، وإنما أيضا بسبب مجرد وجودها وتأثيرها الدولي. وقد تم من قبل إثبات أن التحويلات ما بين الشركات تمثل نسبة كبيرة من الصادرات المنظورة لعدد من البلدان. ويمكن للصفقات المالية الدولية أن تجرف السياسات الوطنية، كما يشهد خروج بريطانيا غير اللائق من آلية معدل الصرف الأوربي في سبتمبر ١٩٩٢ .

(ج) دور وسائل الإعلام :

كان لابد للثورة التي حدثت في الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات أن يكون لها تأثير مهم على تشكيل السياسة الخارجية. ولكن هذا التأثير لا يشمل تهديداً قاسيًا متزايداً فقط لمدى العمل الحكومي المستقل. بل إنه تطور مزدوج، حيث التطورات في التكنولوجيا يمكن إما أن تعزز نفوذ الحكومة أو تقلصه. وقد نشرت صحيفة التايمز

مقالة رئيسية فى أيامها الأولى سردت فيها الإجراءات فى البرلمان بشكل أسرع وأدق واشمل من أى شىء كان متوفرا. ولكن تاريخ الصحيفة لا يشير إلى أنها تنقاد بشكل مطلق لأولئك الذين فى السلطة. وهى تقدم التعليقات كما تقدم الأخبار، وافتتاحيتها أثبتت على مدى الزمن أنها تؤثر على الحكومات كما تؤثر على الرأى العام، كما يوحى اسمها الذى اشتهرت به وهو "الراعد" The Thunderer . وبعض الصحف الأخرى، التى هى اقل وقارا ولكنها تمتلك موارد وسلطات ضخمة فى مجالات الاتصالات، قد احتلت مواقع ذات نفوذ كبير دون مسئولية عن العواقب فى حالة تبنيها السياسات التى تدعو إليها. وهذا الوضع العام خلده الشاعر روديارد كبلينج Rudyard Kipling فى جملة استخدمها قريب له هو ستانلى بولدون Stanley Baldwin عندما أصبح رئيساً للوزراء وهى: "السلطة بلا مسئولية – هى امتياز تمتعت به العاهرات على مر العصور"(٤). وقد سبق أن اقتبسنا حكم ماكولاى الساخر على المخبرين الصحفيين والسلطة الرابعة فى الدولة.

إن الاعتماد المتبادل فى ميدان المعلومات قد أتى بمشكلات جديدة فيما يتعلق بالشعور بالقلق من سلطة وكالات الأنباء العالمية الكبرى. فحتى أكثر المعلومات اعتماداً على الحقائق ومراعاتها للحياد السياسى قد تشوبها الشبهات لأنها تأتى من الخارج، وليس هناك مصدر داخلى يمكن به قياس مدى صحتها. ويمكن اعتبار أن الانتقاء من الكم الهائل من المعلومات المتاحة للمواد التى يمكن بثها هو نوع من الضغط. وأن الإعلان عن نظام اقتصادى دولى جديد فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى السبعينات، كما وصفناه فى المحاضرة الخامسة قد أعقبته ضغوط من أجل نظام دولى عالمى جديد حيث يطبق المدخل السياسى العريض نفسه. وهذا الاقتراح لم يحقق الجانبية العالية نفسها، وأسهم فى تحفظات عن اليونسكو (منظمة التعليم والعلوم والثقافة التابعة للأمم المتحدة) أبدتها بعض الجهات الأنجلو سكسونية.

إن فكرة نظام معلومات جديد بمعنى تنظيم عالمى لتدفق المعلومات الدولية وارد جدا على جدول الأعمال، ليس مسألة سياسية بين الشمال والجنوب، ولكن لأن الاتصالات الدولية تمر بحالة انتقالية من عالم فيه المنافع محتكرة داخليا يمتلكها القطاع العام إلى مشروعات متنافسة يمتلكها القطاع الخاص، ويتم فيها تجاوز الحدود

الوطنية والصناعية. هذا هو أحد المجالات الجديدة للمسئولية التى على منظمة التجارة الخارجية أن تعالجها(٥) .

وفى الوقت نفسه فإن التطورات التى حدثت فى الثمانينات والتسعينات قد ساعدت على أن تقوم بدور أكثر بروزًا، ليس "باعتبارهم فاعلين" فقط ولكن باعتبارهم مديرين للمسرح. فالبث التليفزيونى عن طريق الأقمار الصناعية، أصبح وسيلة لتغطية أنباء التطورات التى تقع فى شتى أنحاء العالم فى وقت حدوثها - أو "فى الوقت الواقعى". وعندما هبطت قوات الولايات المتحدة الأمريكية على شواطئ الصومال باعتبارها جزءًا من عملية الأمم المتحدة الفاشلة هناك، فإن وسائل الإعلام أحيطت علمًا مقدمًا، فكانت فى انتظار هذه القوات. وقد أوضح الوزراء أنهم محاصرون بالسؤال كيف يكون رد فعلهم الفورى على تغطية التليفزيون للأحداث الجديدة المثيرة لدرجة أن ذلك يأخذ الأولوية أحيانا على معالجة الأحداث نفسها. وقد أشرنا فى المحاضرة الأولى إلى الاقتراح بأن شبكة سى إن إن CNN تعتبر واقعيًّا العضو السادس عشر (والدائم) فى مجلس الأمن.

ولا يمكن للرقابة إلا أن تقدم دفاعًا محدودًا عن الحكومات التى ترغب فى أن تستفيد من ذلك. ويمكن فرض حظر على الصحف اليومية ويمكن التشويش على محطات الإذاعة، كما يمكن منع استخدام أطباق الأقمار الصناعية. ولكن فى نهاية الأمر فإن عالم الاتصالات والحاسبات الآلية لا يمكن استبعاده. وربما لم يؤد شىء إلى الإسراع بسقوط جدار برلين أكثر من الصور التليفزيونية التى تم بثها إلى برلين الشرقية من الغرب وتصوير أعداد غفيرة من اللاجئين من ألمانيا الشرقية الهاربين إلى الغرب. ولم يعد من الممكن إخفاء عبث الجدار - الذى كان معروفا فى لغة الشيوعيين بأنه "سور الشعب ضد الفاشية."

(د) الرأى العام باعتباره عاملاً فى عصر الرجل العادى والمرأة العادية :

أكدت المحاضرتان الأولى والثانية أن اهتمام الشعب بالشئون الخارجية وما يستتبع ذلك من انخراطه فيها، كان أحد الفروق الرئيسية بين "الدبلوماسية القديمة" "والدبلوماسية الجديدة". ذلك أن نمو الاتصالات والتطورات المذهلة فى تكنولوجيا

المعلومات قد عززت من هذا الانخراط. والتقريب الأول فى أية دراسة لدور الرأى العام يجب أن تراعى أنه ليس قيدًا كبيرًا على حرية عمل الحكومات فحسب، ولكنه أيضا مصدر للضغط على الحكومات لتبنى سياسات معينة. والرأى العام أيضا سيمارس دورا مشابها فيما يتعلق بأنشطة "الفاعلين" الآخرين فى صنع السياسة الخارجية. وستحتاج الحكومات إلى أخذ ذلك فى الحسبان، كعائق يجب التغلب عليه، فضلا عن أنه مرشد أيضا، للاحتمالات فى الانتخابات القادمة مثلا. كما أن له استخداماته باعتباره ذريعة للإقدام على اتخاذ إجراء تعرف الحكومات أنه ضرورى، ولكنها تعرف أيضا أنه لن يلقى شعبية. وفى المواقف حيث العلاج الاقتصادى ضرورى، فإن شروط صندوق النقد الدولى كانت تمثل حجة مريحة تلجأ إليها الحكومات لاتخاذ إجراءات غير شعبية، على أساس أن المساعدات لن تأتى إلا إذا تم اتباع وصفات صندوق النقد الدولى.

ولكن الجدال ليس من جانب واحد تمامًا. فقد سبق أن ناقشنا أهمية تغلب القوة على الرأى. فالحكومات التى لديها وضوح رؤية وتصميم كاف ليس لديها شك فى مدى ما يمكن للعالم الحديث أن يقدمه للتأثير على الرأى العام. ولقد كان الجنرال الألمانى كلوزويتز Clausewitz هو الذى أبرز "مشاعر الشعب" فى القرن التاسع عشر باعتباره عاملاً فى السياسة الخارجية والحرب. فالاحتمال الكامن الموجود لتعبئة الإرادة الجماعية والاستعداد لتقديم التضحيات احتمال كبير جداً، مهما كان هذا العصر هو عصر الرجل العادى والمرأة العادية. وما لم يعد كافيًا هو الافتراض بأن الرأى العام غير ذى أهمية. فالمرء أقل قابلية لأن يسمع اليوم ما كان على استعداد لأن يسمعه فى سنوات مضت بالادعاء المشكوك فى صحته بأنه لا يوجد مقابل فى لغة أو أخرى لجملة "الرأى العام" وأن أقرب جملة إليها فى الترجمة هى "الشعب الأحمق". ولم ينفع المنظرون العقائديون السوفييت مرور سبعين عاما على الهندسة الاجتماعية المقررة. وفى النهاية تخلى عنهم "الشعب الأحمق".

إن المنطق الاقتصادى يفترض أنه كما هو واضح، لابد أن هناك زيادة كبيرة فى عرض المعلومات ، وأنه لا بد أن تكون هناك زيادة فى الطلب لإثارة هذا العرض أو معادلته. والطلب لابد أن يأتى من مكان ما، وهذا ليس أمر سلبيًا تمامًا، بمعنى أن سببه

التسويق الماهر. وتعترف الحكومات بذلك، كما هو واضح من مدى تعاونها فى عرض المعلومات. وأحيانا يبدو أن هذه الحكومات تعتقد أن أى دعاية أفضل من عدمها. ويعتبر سلوك صرب البوسنة بالنسبة إلى أخذ الرهائن الذى لاقى تنديداً عالميًا، هو مثال مناسب. ولقد كان هناك أيضا شىء غريب على العقلية التقليدية بشأن التسهيلات التى منحت لوسائل الإعلام الغربية فى بغداد والتى لم يفهمها نظام صدام عندما كانت الأمم المتحدة تطرد العراقيين من الكويت وتهاجم العاصمة العراقية باعتباره جزءًا من العملية.

(هـ) كيف يمكن للخدمة الدبلوماسية المحترفة أن تتوافق ؟

فى حالة "الفاعلين" فى مسرحية صنع السياسة الخارجية، ما هو دور الدبلوماسى المحترف؟ سألت إحدى الشخصيات فى مسرحية سيربيتر أوستنوف ": رومانوف وجولييت": ما الفرق بين السفير وكبير السقاة؟ إن الإجابة التى قدمت أنه لا فرق بينهما، فيما عدا أن السفير يطلب منه أحيانا أن يجلس على المائدة. ربما يكون هناك وجه شبه بين رئيس الخدم The Butler ووضع الدبلوماسى المحترف، أو مدير نزل على الأقل، يقوم بدور المضيف لزواره من الوزراء وأعضاء البرلمان وغيرهم. ولكن أية محاولة من جانب السفراء أنفسهم للتقليل من أهمية دورهم تواجه خطر التفسير الخاطئ باعتبار ذلك ذريعة للاستيلاء على حق الوزراء فى صنع السياسة. إن تقليل الآخرين من أهمية دور السفراء فى العصر الحديث القائم على الاعتماد المتبادل هو بالطبع أمر شائع، وإن كان ليس خاليا من التحيز. وحقائق الحياة الدبلوماسية تعطى ذلك بعض الصحة. ومع هذا فمن الغريب أنها تكون محل شكوك عميقة يضمرها كبار الموظفين فى مراكز القوة بوزارة الخارجية، على الرغم من أنهم يكونون هم أنفسهم غالبًا نفس الأشخاص من أمثال السفراء الذين يقللون من شأنهم ولكن بطريقة مختلفة. ولا يمكن للمرء أن يكون بسهولة حيوانًا آكلا للعشب فى الخارج وآكلا للحوم فى الداخل.

ومع هذا فإنه من الملفت للنظر ذلك التحول فى ميزان القوة بين الدبلوماسيين فى الخارج وبين زملائهم فى الداخل. ففى ظل "الدبلوماسية القديمة" فإن الدبلوماسيين المحترفين فى الخارج قد يكونون تنفيذيين مفوضين. والدور الاستشارى هو أقل تعقيداً.

حتى فى حالة الدبلوماسيين فى الداخل. والحقيقة أنه داخل بعض وزارات الخارجية، ومن بينها وزارة الخارجية البريطانية، لم يكن أحد يتصور أن يوجد ذلك قبل القرن العشرين. وفى ظل "الدبلوماسية الجديدة" فإن الدبلوماسى المحترف فى الخارج له أعمال عديدة: فهو خبير علاقات عامة، ومستشار مبيعات، ومحلل. ومتحدث رسمى، وصحفى، وكاتب عمود. وفى الداخل يعمل الدبلوماسى المحترف نفس الأشياء وفى نفس الوقت فإنه يتمتع بمكانة عامة رفيعة شاء أم أبى. ولكن لب هذه الواجبات المختلفة يتمثل فى العلاقة الوثيقة مع وزير الخارجية وغيره من الوزراء، الذين يرتبط الدبلوماسيون معهم بعلاقة ولاء خاصة، على عكس الفاعلين الآخرين فى العلاقات الدولية. والدبلوماسيون المحترفون لا يحتكرون الحكمة ولا المعلومات أو الأفكار. ولكنهم يتميزون عن "الفاعلين" الآخرين فى السياسة الخارجية فى أنه عليهم واجب أسمى فيما يتعلق بتقديم المشورة الدالة على الولاء وغير المتحيزة لوزير الخارجية وغيره من الوزراء، كما أن عليهم مسئولية فريدة تقريبًا عندما يتعلق الأمر بتنفيذ السياسة التى سبق إقرارها.

(و) نطاق العمل المستقل ذاتيًا :

إن تحليل الدور المميز للدبلوماسيين المحترفين فى صنع السياسة الخارجية يؤدى بشكل طبيعى إلى موضوع المحاضرة التالية، وهو مؤسسة الخدمة الدبلوماسية. ولكن قبل تناول الموضوع الأخير، من الضرورى النظر إلى سمتين أخريين من سمات صنع السياسة الخارجية، حيث دور الدبلوماسى المحترف له أهمية خاصة، أولا فى النطاق الذى تخصصه الحكومات للعمل الفعال "المستقل ذاتيا"، وثانيا فى العلاقة بين السياسة والاستراتيجية، فالكفاءة فى الاستراتيجية تسهم بشكل أساسى فى فرص نجاح السياسة.

أما بالنسبة لنطاق الحكومات فى العمل المستقل ذاتيًا، وهو مختلف عن رد الفعل للأحداث والضغوط، فإن القيود على حرية المناورة كما وصفناها فى محاضرات سابقة، وخاصة المحاضرة الثالثة هى قيود حقيقية بشكل كاف. وكما فى المصطلحات الوطنية

فإن تشكيل السياسة هو نتيجة لمختلف القوى التى تعمل على المسرح الوطنى، ولهذا فإن حالة العلاقات الدولية فى أية لحظة معينة هى نتيجة الأنشطة التى يقوم بها أعضاء المجتمع الدولى، وهى حملة مصممة بحيث تشمل كلا من السياسات التى تتبعها الحكومات ومدخلات "الفاعلين" الآخرين وهى مدخلات ليست مهيكلة تماماً.

ورد الفعل الأول لفهرس القيود يمكن أن يكون التشاؤم بالنسبة لنطاق أية حكومة، ولكن رد الفعل الأقوى هو اتخاذ إجراء مستقل مهم لمعالجة الموقف الذى ينشأ. وحسن التدبير أمر جوهرى حقا. ولكن هناك مجال أيضا للإبداع والعزم. فالسياسة هى فن الممكن، وهى جملة ممكن تفسيرها بشكل سلبى بمعنى الإيعاز بالحذر، ولكن يجب أن نفكر فيها بشكل إيجابى على أساس أنها حافز للنشاط الخلاق. وهذا حقا هو معنى "مقدرة السياسة" فالدبلوماسيون الخبراء فى عملهم يمكن أن يخلقوا الفرص حيث لا يكون هناك تفكير فى وجودها بغير ذلك. وهم يزيدون مساحة المناورة التى يتمتع بها وزراؤهم. ومع هذا فإن كثيرا من السياسة قد تكون نتيجة لضغوط متنافسة سواء فى الداخل أو الخارج، والفرق بين الحذر المبالغ فيه وبين السعى النشيط المحسوب جيداً للمصلحة الوطنية فى الخارج قد يكمن فى مقدرة المحترفين على العمل بفاعلية، باعتبارهم فريقًا وباعتبارهم أفراداً على حد سواء.

(ز) السياسات والاستراتيجية :

هذا الإسهام المميز للمحترفين يكتسب أهمية فى التنفيذ الفعال للسياسات التى يتم تبنيها. ولنعد إلى التمييز الذى درج الناس عليه بين السياسة الخارجية والدبلوماسية: فالسياسة الخارجية تختص بما يجب عمله، أما الدبلوماسية فهى عن كيفية عمله. وللأسباب التى شرحناها من قبل فى هذه المحاضرات، فإن هذا التمييز يمكن أن يكون مضللا بسهولة. ولكنه مفيد كتحذير بأن هناك فرقا بين أن تكون هناك سياسة خارجية، وبين تنفيذها بشكل فعال. فتنفيذ السياسات بشكل فعال يتطلب استراتيجية كما يتطلب السياسات نفسها. والحقيقة أن السياسات بدون استراتيجية هو تناقض لفظى

تقريباً. وكلمة "السياسات" Policy مثل كلمات أخرى عديدة تستخدم فى مجال السياسة Politics لها معانٍ عديدة، من بينها :

- الحصافة السياسية، أو فن الحكم أو الدبلوماسية.
- اتجاه فى العمل تتبناه أو تتبعه حكومة ما أو حزب أو حاكم أو رجل دولة.
- اتجاه عمل حصيف أو بصير بالأمور.
- الحكمة أو الفطنة وسعة الحيلة باعتبارها صفات للممثل (الدبلوماسى).
- حيلة أو خدعة.

هذه السلسلة من التعريفات تؤكد أن أى تمييز سريع أو حاسم بين السياسات وبين تنفيذها هو تمييز غير واقعى. فالسياسات هنا تعنى اهتماماً وحرصاً فى تشكيلها، لا يقتصر على التحليل والمضمون فحسب، وإنما يمتد أيضا إلى الاعتبارات العملية المتعلقة بتنفيذها. ومرة أخرى، فإن الجوهر والعملية يمتزجان معا بشكل مركب. والشىء نفسه ينطبق على السياسة الخارجية والدبلوماسية.

السياسة الخارجية : أربعة أمثلة :

يمكن توضيح الاعتبارات التى سقناها فى هذه المحاضرة بالإشارة إلى الوثائق الرسمية المتاحة للجميع. وكون أن هذه الوثائق قد تم نشرها لا يعنى أن النصوص ذات الصلة تعرض المسائل بكل صراحة أو أنها تعكس بدقة الدوافع الحقيقية للحكومات التى أجازت نشرها.

ومع هذا، فإن النصوص مهمةٌ جدا فى فهم السياسة الخارجية كما أنها مهمةٌ فى صنع هذه السياسة. والتجربة تساعد الدبلوماسى على أن يسد الثغرات ليعوض أى تشويه للمسائل، أو حتى يخفيها، وهو ما قد ترى الحكومات التى أصدرت النصوص أنه أمر مرغوب فيه. ولا يتمثل أساس تفسير تصرفات الحكومات الأخرى فى كلماتها ولكن فى مصالحها. ودرجة المساءلة الديموقراطية للحكومات، ومن ثم الواجب الملقى

عليها للتصرف بمسئولية، قد يختلف من حكومة لحكومة . ولكن المصلحة الوطنية، فضلا عن المصالح الوطنية للأطراف الأخرى، هى التى فى النهاية ستفرض القيود على أى حرية فى المناورة من جانب الحكومات.

وهناك أربعة نصوص متعلقة بصنع السياسة الخارجية البريطانية يمكن أن تساعد فى توضيح المخاطر. النص الأول : حسب الترتيب التاريخى، هو "مذكرة عن الوضع الراهن للعلاقات البريطانية مع فرنسا وألمانيا" وقد كتبت عام ١٩٠٧ على يد أحد الدبلوماسيين البريطانيين وهو من ألمعهم فى القرن العشرين وأسمه آير كراو Eyre Crowe . والمذكرة الثانية : هى خطبة لوزير الخارجية والكومنولث مستر مالكولم رفكند Malcolm Rifkind فى "شاتام هاوس" Chatham House (المعهد الملكى للشئون الدولية) فى ٢١ سبتمبر ١٩٩٥ . والمذكرة الثالثة : خطبة الملكة فى افتتاح الدولة للبرلمان فى ١٥ نوفمبر ١٩٩٥ . والمذكرة الرابعة : هى خلاصات الرئاسة Presidency Conclusions التى صدرت فى نهاية اجتماع المجلس الأوروبى فى مدريد فى ١٥ و ١٦ ديسمبر ١٩٩٥ .

(١) مذكرة آير كراو :

استجابة لما أبداه الملك إدوارد السابع من قلق حول "سياستنا المستمرة غير الودية تجاه ألمانيا" كتب آير كراو – الذى كان وقتئذ رئيس إدارة الشئون الغربية بوزارة الخارجية البريطانية عام ١٩٠٦ – "مذكرةً عن الوضع الراهن للعلاقات البريطانية مع فرنسا وألمانيا". والمذكرة سديدة الرأى وغنية بالمعلومات وقوية الحجة، على الرغم من أنها صنفت أصلا بأنها "سرية"، ثم نشرت بعد ذلك ونالت شهرة بسبب تحليلها للمصالح الحيوية للسياسة الخارجية البريطانية. "إن الطابع العام للسياسة الخارجية لإنجلترا تحددها أحوال ثابتة متعلقة بموقعها الجغرافى على جانب المحيط المطل على أوروبا باعتبارها دولة على جزيرة ولها مستعمرات واسعة وأقاليم تابعة فيما وراء البحار". وقد تطلب البقاء على قيد الحياة وجود قوة بحرية متفوقة. ولكن هذا يستثير الغيرة والعداء من الدول الأخرى ما لم يمارس بحذر شديد. ومن ثم لابد للسياسة الوطنية أن "توجه بحيث تتلاءم مع الرغبات العامة والمثل العليا التى يشترك فيها الجنس البشرى كله"،

و"أن تبدى اهتماماً بالمصالح الأساسية الحيوية لأغلبية الأمم الأخرى." وقد حدد كراو هذه المصالح بأنها الاستقلال وحرية التجارة. ولابد للسياسة البريطانية أن تساند استقلال الدول الصغيرة. ويجب على بريطانيا أن تقر بأنها "العدو الطبيعى لأية أمة تهدد استقلال البلدان الصغيرة، وهذا يعنى معارضة أية "دكتاتورية سياسية لأقوى أمة أو دولة أو مجموعة دول فى أى وقت".

وكان كراو يشعر بالقلق بوجه خاص من التهديد المتزايد لألمانيا الإمبراطورية، وبوضوح عداوتها لبريطانيا، ومن ثم بالحاجة إلى تقوية التفاهم مع فرنسا. وكان قلقه فى محله تماما. وتعتبر المذكرة مقياسا قيما لقياس السياسة للسنوات التسعين القادمة. وربما كانت السمة اللافتة للنظر لأية مقارنة بين ١٩٠٧ ومنتصف ١٩٩٠ هى مدى تطابق النتائج، حتى وإن كانت نقطة البداية الخاصة بالقوة النسبية لبريطانيا، من النواحى الإمبراطورية والسياسية والصناعية، مختلفة كل الاختلاف. فالاعتماد المتبادل قد حل محل الهيمنة فى توجيه السياسة البريطانية نحو إظهار الاهتمام بالمصالح الأساسية الحيوية لغالبية الأمم الأخرى.

(٢) خطبة مستر ريكفيند فى شاتام هاوس فى ٢١ سبتمبر ١٩٩٥ :

تعتبر خطبة وزير الخارجية والكومنولث فى المعهد الملكى للشئون الخارجية (شاتام هاوس) فى ١٢ سبتمبر ١٩٩٥ لها أهمية خاصة لأنها أهم إعلان عن السياسة الخارجية منذ تولى منصبه من شهرين. وهى عرض عميق وموجز للسياسة الخارجية البريطانية وتستحق الدراسة المتأنية.

وكان منطلق مستر ريفكند القول المأثور عن لورد بلمرستون Lord Palmerston الذى كان وزيراً للخارجية ثم رئيساً للوزراء فى أوائل ومنتصف القرن التاسع عشر، كما كان مؤيداً كبيراً لمبدإ توازن القوى فى الوقت الذى وصلت فيه بريطانيا إلى ذروة قوتها الدولية النسبية، والذى قال : "إن المحافظة على المصالح البريطانية يجب أن تكون الهدف الوحيد لوزير الخارجية البريطانى". وتتمثل المهمة فى التعرف على هذه المصالح ثم التفكير فى كيفية المحافظة عليها على أحسن وجه. أما فيما يتعلق بالمصالح البريطانية،

فإن مستر ريفكند أعطى الأولوية لأمننا الإقليمي والحفاظ على السلام في أوروبا. أما مصالح بريطانيا الأوسع فيما وراء البحار فهائلة : مثل روابط فريدة مع ٥٠ دولة من دول الكومنولث، ومسئوليات معينة لأربعة عشر إقليم تابع حول العالم، و ٨,٦ مليون مواطن بريطاني يعيشون في الخارج، والجزء الكبير من إنتاجنا الذي يتم تصديره، وإجمالي الأصول فيما وراء البحار والتي تزيد على ١,٤ تريليون جنيه إسترليني، واستثمار على نطاق واسع موجه للداخل، ودور بريطانيا باعتبارها مركز مالي. وقال مستر ريفكند - "بلهجة عكست قلق كراو بالنسبة لاهتمام بريطانيا بالمصالح الأساسية الحيوية لغالبية الأمم الأخرى" - "إن هذه الاعتبارات تجعلنا نهتم أكثر من معظم الدول بالاستقرار السياسي، وحرية التجارة وحرية المرور في كل أنحاء العالم ... ويحتاج الاستقرار السياسي أيضا حكمًا رشيدًا وتأكيدًا مناسبًا لحقوق الإنسان الأساسية. ولدينا مصلحة أدبية وعملية في إعلاء قيم الديموقراطية الليبرالية".

وتحول مستر ريفكند إلى السؤال عن أفضل الطرق للمحافظة على مصالح بريطانيا، فشدد على أن الدولة الأمة تبقى اللبنة الأساسية في بناء النظام الدولي. ويجب أن تعكس إدارة السياسة الخارجية هذه الحقيقة. ولكنها يجب أن تعكس أيضا "الحقائق العالمية الجديدة" مثل وسائل الإعلام الإليكترونية وضرورة بذل "جهد إعلامي جماهيري مؤثر ليواكب النشاط الدبلوماسي"، وحماية البيئة والتي لا علاقة كبيرة بينها وبين الحدود الوطنية، والسوق العالمية.

وعلق مستر ريفكند بأنه في هذه الظروف، فإنه لا توجد أمة يمكن أن تبنى مصيرها بمفردها، كما قال الرئيس كينيدي. " فالأمم يجب أن تعمل معا أكثر للدفاع عن أمنها ورخائها وبيئتها". ولم يعد توازن القوى مدخلا عمليا. "فتجربتنا المشتركة في الدخول في حربين أوروبيتين في هذا القرن قد أقنعتنا جميعا بأننا لا يمكن أن نعود إلى العداوة والتحالفات المتغيرة والصراع الدوري، وهو ما اتسم به معظم تاريخنا المشترك"(٦) . ومع هذا، لم يكن الأمر أن البديل الوحيد للمحافظة على توازن القوى هو سياسة خارجية واحدة يشارك فيها الجيران والشركاء". فلا يجب أن نتجاهل مصالح وطنية مهمة من أجل أن نقيم توافق آراء مصطنع، أو وحدة زائفة، تفتقد المصداقية أو القناعة". ويعلق مستر ريفكند بأن هذا يتعلق بالجدل حول مستقبل الاتحاد الأوروبي ودور بريطانيا فيه. فلقد تم التعبير مرارًا عن فقد بريطانيا لنفوذها إذا لم تنضم إلى منطقة

التكامل التى توصل شركاؤنا فى أوروبا إلى أنها مرغوبة. وكان التأخير الطويل فى انضمام المملكة المتحدة للجماعة الأوروبية أمراً واردا. ولكن لا يجب المبالغة فى الجدل. فعلى الرغم من أن تزايد النفوذ يعتبر من نسيج الحياة الدبلوماسية، إلا أنه ليس هدفا فى حد ذاته. فأحيانا قد يكون من الملائم قبول فقدان النفوذ إذا كان ذلك هو الوسيلة الوحيدة لحماية المصالح.

ومهما كان سياق ماستريخت المباشر وثيق الصلة بذلك، فإن التميز الذى رسمه مستر ريفكند بين النفوذ والمصلحة هو غالبا أقل وضوحا فى المساحة العالمية لانخراط بريطانيا الدولى. فعندما يتم تعريف مصالح بلد ما بالأسلوب الواسع نفسه الذى استخدمه مستر ريكفند، يصبح واضحا أن وسيلة المحافظة على المصالح ستشمل الإقناع والنقاش، بل وتقديم القدوة، فضلا عن التفاوض. وإلى هذا الحد لا يوجد تناقض بين النفوذ والمصلحة؛ فالاثنان ممتزجان بشكل وثيق. وكما لاحظ مستر ريكفند فإن تزايد النفوذ يعتبر من نسيج الحياة الدبلوماسية. وليس من مصلحة بريطانيا السعى لفرض آرائها على الآخرين، أو الحكم عليها بأنها تسعى لذلك. ولكن من مصلحتها أن تقنع الآخرين بصحة سياستها. وهناك شعور بأن التحليل الواضح المسئول من جانب بلد ما لمصالحها وتبنيها سياسات تتفق مع هذا التحليل – أى إظهار المقدرة على اتباع سياسة خارجية سليمة – سيؤدى فى حد ذاته إلى الحصول على نفوذ فى الخارج. وبالتوازى فإن أية محاولات لبسط نفوذ بأساليب لا تتفق مع تقدير واقعى للمصلحة الوطنية، لن تنجح على المدى القصير على الأرجح، ناهيك على المدى الطويل.

وتصور خطبة مستر ريفكند بجلاء نطاق المسائل التحليلية والسمات المؤسسية التى ناقشناها فى المحاضرات السابقة. وهى تعكس سلسلة من "الغزوات" للمشهد الأمامى السياسى والتجارى والإمبراطورى الذى كان مألوفا لدى كراو. وهذه الخطبة تواجه حقائق المجتمع الدولى اليوم والحدود التى تقف عندها السيادة الوطنية. كما تؤكد الدور المحورى ومدى قصور الأمم المتحدة. وهى تنغمس فى الاقتصاد العالمى، وتستخدم بعض الإحصاءات التى تلقى أضواء على مدى انخراط بريطانيا فى الاقتصاد الدولى. وهى تؤكد الأهمية الحيوية للهندسة المعمارية الأوروبية فهى نقطة رئيسية لمرجعية المناقشة فى المحاضرات التالية الخاصة بتنظيم الخدمة الدبلوماسية المحترفة واكتساب مهارات دبلوماسية شخصية.

(٣) خطبة الملكة فى افتتاح البرلمان، فى ١٥ نوفمبر ١٩٩٥ :

فى كل عام تفتتح الدورة البرلمانية بخطبة للملكة تضع فيها خطة الحكومة للعام القادم. ونص خطبة الملكة فى ١٥ نوفمبر ١٩٩٥ يتضمنها الملحق الرابع. وكانت المناسبة مثيرة لاهتمام كبير على الأقل بالنسبة لثلاث وجهات نظر: إشارات فيما يتعلق بنوايا الحكومة للعام القادم، ونفاذ البصيرة عن توقعات الحكومة لما يمكن أن تنفذه، وما تقدر عليه من تباين بين السوابق المراسمية وحقائق السلطة. أولا، الإشارات. إن أكثر من نصف النص الموجز يتعلق بالشئون الدولية. وهو ملخص مفيد للسياسة الخارجية الراهنة للمملكة المتحدة. وعلى الرغم من أنه مصاغ فى عبارات عامة، فإنه يقدم للقارئ الفطن الواسع الاطلاع فكرة طيبة عن المسائل المحددة التى ستتناولها الحكومة. وغياب أى إشارة لأى موضوع معين هو دليل على أن الموضوع إما غير مفيد أو غير مناسب لأن يحتل أولوية فى الاهتمام.

والبرنامج التشريعى الذى احتوته خطبة الملكة لا يستند كثيرًا على ما تهتم به الحكومة أو تعتقد أن الجمهور يهتم به، إلا أن له أهمية جوهرية، كما هو الحال بالنسبة لإمكانات ضمان الأصوات الضرورية وتوجيه مشروعات التشريعات لكى تكتمل بنجاح. والتوازن بين ما يريد المرء أن يفعله وما يمكن أن يحققه، وهو ما تمت الإشارة إليه فى بداية المحاضرات، واضح تماما. فالمزج الحتمى بين الجوهر والعملية تم إيضاحه بشكل محدد. ومهمة الحكومة تسيطر عليها الحاجة إلى أن مشاريع القوانين التى تقدمها لابد أن يتم الموافقة عليها فى دورة (برلمانية) واحدة. وكلما اقتربت الدورة من الانتخابات العامة، كلما كان من المهم اختيار مسودة التشريعات. وإذا عقدت انتخابات عامة خلال الدورة البرلمانية، فإن كل تشريعات الحكومة التى لم تكتمل تسقط بشكل آلى.

إن الاحتفالية نفسها تتيح نوعًا من التباين مع الواقع الذى تمثله. وقد أعدت الحكومة بالطبع "خطبة صاحبة الجلالة الموجهة إلى مجلسى البرلمان". وتتوجه الملكة إلى البرلمان فى مركبة رسمية وتتجه إلى مجلس اللوردات. ويتم استدعاء أعضاء مجلس العموم الأقل مرتبة إلى مجلس اللوردات ويقفون باحترام عند مدخل القاعة التى ستلقى فيها الخطبة على اللوردات الجالسين على مقاعدهم. وأية صعوبات صوتية تخفف

بسبب الإلمام بالنص الذى تعرفه الحكومة وأيضا أنصار الحكومة والمعارضة، بسبب تسريبه إلى وسائل الإعلام، إن لم يكن بسبب التصريح بملخص له. وأية فقرة فى خطبة جلالة الملكة تتعلق بالإنفاق توجه إلى مجلس العموم فقط. فاللوردات ليس لهم اختصاص بأمور الضرائب. والاحتفال بوجه عام ليس انعكاسا للسلطة بقدر ما هو تذكير لطيف لأولئك الذين تم انتخابهم بأنهم لم ينتخبوا للأبد.

(٤) النتائج الرئاسية الصادرة فى نهاية اجتماع المجلس الأوروبى فى مدريد فى ١٥ - ١٦ ديسمبر ١٩٩٥ :

يجتمع رؤساء الدول أو الحكومات الأعضاء فى الاتحاد الأوروبى كل ستة أشهر فى المجلس الأوروبى لاستعراض ما تحقق من تقدم ووضع خطة المستقبل. ونتائج هذه الاجتماعات تقدم إلى العالم على شكل "نتائج رئاسية"، أى فى شكل خطاب يلقيه ممثل الدولة التى تتولى الرئاسة وقتئذ وبالتالى ترأس الاجتماع. والنتائج الرئاسية غالبًا ما تكون مطولة وتعكس الكم الهائل للأعمال، وبعضها على درجة كبيرة من التفصيل، ولابد للمجلس الأوروبى أن يكون على علم بها رسميا. ومن جهة أخرى فقد تكون النتائج أقل إيضاحا بالنسبة للقوى المحركة للاتحاد، لأنها تميل إلى إخفاء الاختلافات بين الدول الأعضاء وليس إبرازها. وقد عقد أحدث اجتماع للمجلس الأوروبى فى فلورنسا فى ٢١ ، ٢٢ يونيو ١٩٩٦ تحت الرئاسة الإيطالية.

وكان الاجتماع السابق للمجلس الأوروبى قد عقد فى مدريد فى ١٥ ، ١٦ ديسمبر ١٩٩٥، تحت الرئاسة الإسبانية، وقد غطى المؤتمر مساحة كبيرة من الموضوعات. ونطاق المسائل المغطاة واسع جدا، ويعالج المسائل الداخلية بما فيها المسائل الرئيسية للتقدم نحو الاتحاد الاقتصادى والنقدى، ومستقبل أوروبا والاستعدادات لمؤتمر المراجعة بين الحكومات، وكذلك المسائل الخارجية مثل اتفاقية دايتون عن البوسنة، وجدول الأعمال الجديد عبر الأطلنطى، وخطة العمل المشتركة بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى والتى تمت الموافقة عليها بين الاتحاد والولايات المتحدة الأمريكية فى ٣ ديسمبر، والاتفاق مع مركوسور Mercosur ، وإعلان برشلونه الخاص بالبحر المتوسط،

وتوقيع اتفاقية لومى بعد مراجعتها، والاتحاد الجمركى مع تركيا، والتوسع الذى يشمل اجتماعا مع وزراء خارجية الأعضاء المحتملين وهم الدول المشاركة من أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية وقبرص ومالطة.

إن المنظور الوطنى للمملكة المتحدة فيما يخص النتائج الرئاسية إنما ينبع من تصريحات رئيس الوزراء أمام مجلس العموم التى أدلى بها عقب اجتماعات المجلس الأوروبى. وكان هناك تبادلا مفيدا لوجهات النظر بعد تصريح مستر ماجور فى ١٨ ديسمبر(٧) . وقد ورد منظور بريطانى شامل عن شئون الاتحاد الأوروبى فى المسح الذى يصدر كل ستة أشهر بعنوان "التطورات فى الاتحاد الأوروبى" والذى قدمه للبرلمان وزير الخارجية والكومنولث(٨) .

(٨)

تنظيم الخدمة الدبلوماسية

استعرضت المحاضرة السابقة السياق الوطنى الذى يمارس فيه الدبلوماسيون المحترفون دورهم فى صنع السياسة الخارجية وتنفيذها. فالسياسة هى نتيجة قوى عديدة تعمل داخل البلاد وخارجها، وتعتبر الخدمة الدبلوماسية واحدة من هذه القوى، وإن كانت لها أهمية قصوى. وقد سبق أن ركزنا على الأساسيات. وكما أن الجوهر والعملية يمتزجان بشدة، فإن صنع السياسة وتنفيذها لا يمكن فصلهما عن الممارسة. وقد يكون من المفيد من ناحية التحليل أن يكون هناك تمييزا مألوفا بين السياسة الخارجية، عما يجب أن يتم، وبين الدبلوماسية، عن كيفية القيام بها، ولكن ذلك ليس كافيا باعتباره أساسًا لتنظيم عمل الخدمة الدبلوماسية. وهناك مرشد يمكن الاعتماد عليه أكثر من غيره وهو الاقتراح الذى تقدم به لورد سترانج Lord Strang ، الوكيل الدائم لوزارة الخارجية فى الفترة بين ١٩٤٩ و١٩٥٣، عما يقوم به الدبلوماسيون بالفعل، عندما قال :

"هم أساسًا يساعدون وزير الخارجية للتوصل إلى قراراته ثم يساعدونه فى تنفيذها. وهم يساعدونه فى الاستقرار على ما يفعله، ثم يساعدونه فى فعله" (١) .

لاحظ تكرار كلمة "يساعد". إن التفسير الشائع قد يوحى أن الكلمة هى مرادفة لكلمة "يسيطر". ولكن الواقع، كما سبق أن أوضحنا فى المحاضرات السابقة، هو أن الدبلوماسيين المحترفين هم أبعد ما يكونون عن الاستمتاع باحتكار تشكيل السياسة

الخارجية وتنفيذها. ولكن لهم دور مميز ومحدد بوضوح، وهو مسئوليتهم فى أن يؤدوا عملهم بأكبر قدر ممكن من الكفاءة. وهذه المحاضرة ستستعرض أولا بعض المعايير لتنظيم الخدمة الدبلوماسية: مثل نطاق الجهود الدبلوماسية المحترفة، والتغطية، والتوازن بين الداخل والخارج، والأولويات فى إنشاء البعثات فى الخارج، والاتصالات. ثانيا: سننظر فى بعض عوامل الإدارة ذات الصلة: مثل التوظيف والتدريب، وشروط ومقتضيات الخدمة، والعاملون المحليون، والسلك الدبلوماسى، والأجهزة والمعدات، وتكنولوجيا المعلومات، والعوامل الأسرية. وأخيرا: سيكون هناك تعليق على الاتجاهات المستقبلية فى تنظيم الخدمة الدبلوماسية. وقبل بحث هذه النقاط بوجه عام، ولما كانت تنطبق بوجه خاص على الخدمات الدبلوماسية للدول حديثة الاستقلال، فإنه من المفيد النظر إلى التكاليف ومستويات التوظيف فى الخدمة الدبلوماسية البريطانية، باعتبارهما حالةً محددة ومثال للمسالة المطروحة بوجه عام.

الخدمة الدبلوماسية البريطانية: التكاليف ومستويات التوظيف :

إن ما يعنيه اقتراح اللورد سترانج الذى ذكرناه آنفا، من الناحية الإحصائية قد أدرج بوضوح فى التقرير الوزارى السنوى، الذى أشرنا إليه فى المحاضرة السابقة. فهذا التقرير، بغض النظر عن القدر الكبير من التفاصيل المالية الذى احتوى عليه، يعتبر منجماً حقيقياً للمعلومات عن الطبيعة العملية لأداء الخدمة الدبلوماسية البريطانية. ويلخص فهرس المحتويات ما يحتويه. فمهام الخدمة الدبلوماسية يتضمن توزيع قوتها البشرية وغيرها من الموارد فى الداخل والخارج، وتنظيم العمل الخاص بسياستها، وبالذات فى المجالين السياسى والاقتصادى، "والخدمات الفنية" – التجارية والإعلامية والقنصلية والاقتصادية، والإدارة المركزية ومساندة كل هذه الأنشطة، والإنفاق على "العلاقات الخارجية الأخرى"، بما فى ذلك الاشتراكات المدفوعة للمنظمات الدولية، وعمليات حفظ السلام، والمنح للمنظمات غير الحكومية، والمنح الدراسية للطلاب فيما وراء البحار ومساعدات التدريبات العسكرية، ومساندة عمل الخدمة الدولية لهيئة الإذاعة البريطانية BBC والمجلس البريطانى، والمجال الواسع للمساعدات الإنمائية فيما وراء البحار، والتى تدار بشكل منفصل بمعرفة إدارة التنمية فيما وراء البحار.

وهذا مجال واسع جدا للأنشطة، التى قد تعتبر مفاجأة للذين ليسوا لديهم فكرة مسبقة عن عمل الخدمات الدبلوماسية. وربما كانت المفاجأة الأكبر هى التكاليف النسبية للأنشطة. فإنفاق وزارة الخارجية والكومنولث تندرج تحت سلسلة من الاعتمادات المقررة وفيما يلى "الميزانية التقديرية" لعام ١٩٩٥/١٩٩٦ :

	بالمليون جنيه إسترلينى
الاعتماد (١) (التمثيل الخارجى)	٧١٣٠
الاعتماد (٢) (علاقات خارجية أخرى)	٤٣٧
الاعتماد (٣) (الخدمة العالمية لهيئة الإذاعة البريطانية)	١٧٨
الاعتماد (٤) (المجلس البريطانى)	١٠١
	١٤٢٩

وفى الوقت نفسه فإن الاعتمادات التقديرية لبرنامج المساعدات الخارجية بواسطة إدارة التنمية لما وراء البحار، التى يتولى مسئوليتها بالطبع وزير الخارجية والكومنولث، كانت ٢٣٨١ مليون جنيه إسترلينى. ومعنى هذا أنه من بين إجمالى إنفاق وزارة الخارجية والكومنولث البالغ ٣٨١٠ مليون جنيه إسترلينى، فإن أقل من الخمس - أى ١٨٣ مليون جنيه إسترلينى - قد أنفق على الأنشطة الدبلوماسية "التقليدية" تحت العنوان الرئيسى "التمثيل الخارجى". وهذه النسبة الضئيلة من الإجمالى، لا تشمل فقط العمل السياسى والاقتصادى وإنما تتعداه إلى العمل الفنى والإدارى - التجارى والإعلامى، والقنصلى والإدارة. وتبلغ تكاليف العمل السياسى الاقتصادى حوالى ربع التكاليف فيما وراء البحار ونسبة أعلى قليلاً من التكاليف فى الداخل.

إن "مقدرة السياسة" التى وصفناها بأنها من أولى اهتماماتنا. يعتبر العمل السياسى والاقتصادى لبها، ومن ثم يمثل جزءا ضئيلا من إجمالى الإنفاق على الخدمة الدبلوماسية/الإدارة الإنمائية فيما وراء البحار. وللوهلة الأولى ربما يشكل ذلك تبديدا للجهود، إن لم يكن دليلا على الفشل فى وضع الأولويات. ومع هذا، فإن الواقع على نقيض ذلك فى المقام الأول، فإن وضع الأهداف التقليدية للسياسة الخارجية المشار إليه فى المحاضرة السابقة، والذى يركز على دعم مصالح بريطانيا ووضعها فى الخارج،

إنما يتطلب نشاطًا منظمًا فى مختلف الاتجاهات. قد يبدو ذلك من أول وهلة متعلقا بعمل أكثر عمومية وهو نشر الرخاء فى المملكة ككل. ولكن لا يعنى هذا أن كل هذا النشاط غير مرتبط ببعض. بل إنه متكامل بشكل وثيق، كما يبدو من تنظيم وهيكل البعثات الدبلوماسية. ويتطلب القيام بشكلٍ كافٍ بالوظيفة التنفيذية والوظيفة الاستشارية فى المناطق المهمة للعمل السياسى والاقتصادى توفر مقدرة فى الميادين التجارية والإعلامية والثقافية.

وهناك اختبار عملى لعدم إمكانية الفصل فى أنشطة الخدمة الدبلوماسية بشكل فعال ونجده فى الدور الشخصى لرئيس البعثة. فرؤساء البعثات لهم دور جوهرى فى مقدرة السياسة. إن همهم الأول الشامل، وخاصةً فى أوقات التوتر الدولى، ربما يكون مرتبطًا بالعمل السياسى والاقتصادى. ومع هذا فإن تنشيط الصادرات لن يكون بعيدا عن أفكارهم. فهم يعلمون أيضا أن جهودهم الذاتية فى أى لحظة معينة قد تتركز على أى عدد من الاتجاهات المختلفة. ولن يتمكنوا من التنبؤ بأى قدر من اليقين بوقتهم الذى يقضونه مع أى جانب من جوانب عمل البعثة.

ثانيا: إن التركيز على الاقتصاد الصارم وعلى أهداف الإدارة الواضحة لكل نواحى إنفاق الخدمة الدبلوماسية وهى خاصية للتقرير الوزارى السنوى ، يتيح نوعًا من التأكيد بأن الأنشطة الاختيارية أو الهامشية ستصل إلى الحد الأدنى، ولن يتم الالتجاء إليها إلا عند الضرورة القصوى. وما يؤكده هذا المجال المتكامل لأنشطة الخدمة الدبلوماسية حقًّا هو أن الدبلوماسية – على الأقل فيما يختص بدور الخدمة الدبلوماسية – هى عمل يتم مع كبار المسئولين فى عاصمة الدولة الذين يشكلون بشكل مؤثر مجلس الإدارة[٢]. وإن مجلس الإدارة الواعى سيكون – بالضغط المستمر على الموارد والذى تخضع له الخدمة الدبلوماسية – حريصا بالطبع على متابعة درجة تكامل النشاط الذى يتطلبه الموقف. وهذه المحاضرة تنتهى ببعض التعليق على الاتجاهات المستقبلية فى تنظيم الخدمة الدبلوماسية.

المقارنات والفرص :

تتمثل الميزة الرئيسية للعمل الدبلوماسى فى القوة العاملة. إنها عمالة مكثفة، وتهتم "بالقيمة المضافة" فى توزيع مواردها. وهناك إقرار بأن "القيمة" المضافة هى أمر محير بطبيعتها. ولا شك أن هناك نوع من الهيبة المهمة أو العامل الدعائى فى الدبلوماسية، مع وجود عدم اليقين والغموض اللذين يصحبان الإنفاق علـى الإعلان[٣]. وإن المقارنات التاريخية، وإدراك ما تفعله الدول - التى لها مواقف دولية مشابهة بوجه عام - من الأمور التى لها علاقة بما نتحدث عنه.

وتستخدم وزارة الخارجية والكومنولث حوالى ٦٠٠٠ موظف معينين فى المملكة المتحدة، وهذا العدد أقل بمقدار الخمس عما كان عليه الحال منذ ١٥ عامًا[٤]. ومن هؤلاء ٢٤٧٢ موظف يخدمون فيما وراء البحار، يساعدهم ٧٤٠٠ موظف متعاقد معهم محليًا. وإجمالى المناصب البريطانية فيما وراء البحار يبلغ ٢٢١ منصبًا. والأرقام المقارنة لفرنسا وألمانيا وإيطاليا هى ٢٥٣، ٢٢٩، ٢٦٥ على التوالى. ولا يمكن القول بأن المصالح البريطانية فيما وراء البحار، هى بأى معيار موضوعى، أقل من مصالح فرنسا أو ألمانيا أو إيطاليا، بما يبرر عددا أقل للمناصب فيما وراء البحار وموظفين فى الخدمة الدبلوماسية معينين فى الداخل ليشغلوا هذه المناصب فى الخارج. ولشرح الفرق بين جوانب متعددة فهو يرجع جزئيا إلى كفاءة الجهد الدبلوماسى، كما يرجع إلى مدى استعداد الحكومات ودافعى الضرائب لتمويله، بغض النظر عن جدارته. والأمر يتعلق أيضا بالاستعداد الوطنى لخلق الفرص وانتهازها. ولكن هذا الاستعداد يتوقف - إلى حد كبير - على قدرة الخدمة الدبلوماسية لأول وهلة على إقناع الحكومات ودافعى الضرائب بأن الفرص متوفرة. وتاريخ الدبلوماسية، مثل صيد الأسماك، مفعم بالقصص من النوع الذى يمكن أن تمر عليها مر الكرام.

بعض المعايير لتنظيم الخدمة الدبلوماسية :

(أ) قياس الجهد الدبلوماسى المحترف :

إن السؤال التالى: "ما حجم الجهد الدبلوماسى الذى يجب أن تقوم به دولة ما؟" قد يقود إلى السؤال المقابل: "ما طول قطعة من الخيط؟" إن الاعتبارات التى أشرنا إليها من قبل فى هذه المحاضرة توحى بأنه لا توجد إجابة "موضوعية" بسيطة. فهذا يتوقف على عدد من العوامل، البعض منها قابل للقياس فيما يتعلق بدرجة الانخراط الاقتصادى لدولة ما فيما وراء البحار، أو مدى تعرضها للمخاطر السياسية والعسكرية والاقتصادية. كما يتوقف أيضا على الاستجابة التى تريد دولة ما أن تواجه بها ظروفها الدولية. وبعض الدول تسعى أحيانا إلى أن "تتجاوز قدراتها"، على الرغم من أن هذا لا يضمن على الإطلاق أنها ستكون مستعدة لأن تخصص المصادر الإضافية للجهد الدبلوماسى الذى يتطلبه ذلك. إن موظفى الدولة المحترفين يتحسرون دائما من عدم استعداد الحكومات لقبول ما تتطلبه قراراتهم الخاصة بالسياسات من موارد. وتواجه الأجهزة الدبلوماسية عدم الاستعداد هذا بشكل حاد بصفة خاصة، لأن الآخرين يميلون إلى اعتبار أنشطتها مكلفة وتتسم بالسرية. وقيمة ما تقوم به هذه الأجهزة الدبلوماسية يجب أن يثق فيه دافعو الضرائب إلى حد كبير دون التحقق من صحة الأمر. ولهذا فإن هذه الأجهزة تعتبر أهدافا جذابة للاستقطاعات فى الإنفاق الحكومى. ولكن ما تحدثه هذه الاستقطاعات من تمزق وانعدام الكفاءة أمر يفوق الحد، على أساس أن القوى العاملة تمثل نسبة مئوية عالية جدا من تكلفة الدبلوماسية. وفضلا عن ذلك، فإن الدبلوماسيين منتشرون حول العالم بكثرة. ونتيجة لذلك، هناك قدر حتمى من المواقف الدفاعية الخاصة بالأولوية التى يجب أن تعطى للإنفاق على الجهد الدبلوماسى. وربما كان السؤال الجوهرى الذى يتحتم على مديرى الأجهزة الدبلوماسية أن يسألوه هو: "ما هو الضرر الذى سيحيق بالصالح العام بسبب عدم التمثيل فى دولة معينة أو فى تجمع دولى معين؟". إن الإجابة الأساسية – كما يقول الفرنسيون – هى "المتغيبون دائمًا على خطإ". ولكن لا يشكل هذا مرشداً مطلقًا. فالمفتاح هو أن تكون قادراً على أن تميز بين متى لا يمكن للمرء أن يكون حاضرا، ومتى لا يمكنه أن يكون متغيباً.

(ب) التغطية :

هناك إغراء أن نخلص من التحليل الصارم لدور أى خدمة دبلوماسية بأنها يجب أن تكون قادرة على أن تتناول أى قدر من المسائل التى تدرج تحت باب العلاقات الخارجية للدولة. وفى حالة المملكة المتحدة، فإن الكتاب الأبيض للمملكة المتحدة لعام ١٩٤٣ بعنوان: "اقتراحات خاصة بإصلاح الخدمة الخارجية"، اتخذت خطا قائما على أساس أنه من المأمول أن المستوى العام للدبلوماسيين ومقدرتهم يرقى إلى الحد الذى لا يكون فيه أى جانب من العلاقات الخارجية "من احتكار الخبراء". ولكن رؤساء البعثات الدبلوماسية لابد أن يحصلوا على استشارات الخبراء ومساعداتهم فى قضايا مختلفة "عندما يكون ذلك للصالح العام". ومن جهة أخرى، فإن التجربة توحى بأن مثل هذا المدخل الطموح أكثر من اللازم. ولا يتعلق الأمر بأن الدبلوماسيين متمكنون بشكل كامل وأنهم لا يلجأون إلى الخبراء إلا عند الضرورة فقط. فإن مضمون الشئون الدولية لا يسمح بمثل هذا التبسيط للأمور. وآخر تحقيق شامل عن الدبلوماسية البريطانية، بعنوان "عرض للتمثيل فيما وراء البحار"، الذى أجراه عام ١٩٧٧ "فريق مراجعة السياسة المركزية" (المعروفون أيضا باسم Think Tank)(٥) ، اقترح ضرورة أن يكون هناك تبادل بين الخدمة المدنية الداخلية والخدمة الدبلوماسية، بل إنه يمكن دمجهما، بتشكيل مجموعة خدمة خارجية مشتركة تختص بالوظائف الدبلوماسية برمتها. ولم تلق هذه الفكرة تأييدا كبيرا. ولكنها دليل على أن هناك نوعا من الاعتماد المتبادل الذى أعقب الانضمام إلى الجماعة الأوروبية(٦).

وربما كان أهم ما يثير الاهتمام فى مسألة التغطية المتوقعة من الخدمة الدبلوماسية هى الطريقة التى ينظر بها للعمل "السياسى والاقتصادى" باعتباره شأن متكامل. ولكنه ليس كذلك دائما. وقد أشرنا فى المحاضرة الأولى إلى دبلوماسى بريطانى يتمتع بكونه بشكل خاص ثاقب النظر هو سير فيكتور ويلسلى، الذى كان نائب وكيل وزارة الخارجية فيما بين ١٩٢٥ و ١٩٣٦ . وكانت فكرته، كما نتذكر، هى أن الدبلوماسيين يفكرون أكثر من اللازم بطريقة "سياسية" تقليدية. ويتناولون العوامل الاقتصادية بشكل غير كاف. ولا يمكن توجيه مثل هذا النقد إلى الدبلوماسيين اليوم. فهؤلاء يمكنهم إن أرادوا أن يكونوا مستفزين، وأن يرددوا رأى سفير أمريكى مجهول الاسم بأن "الاقتصاد هو سياسة مدروسة بجدية"(٧).

(ج) التوازن بين المجهود فى الداخل والمجهود فى الخارج :

إن الخدمة الدبلوماسية التى تحصل على أموال دافعى الضرائب للقيام بعملياتها لابد أن تكون قادرة على أن تكون مقنعة. وفى الجزء السابق تناولنا مجال العمليات ككل. وهناك اعتبار لا يقل أهمية وهو تقسيم المجهود بين الداخل والخارج. ومن المفهوم ضمنا فى أحوال الاعتماد المتبادل الحديث أن هناك عددا قليلا جدا من المسائل ذات الاهتمام الدولى التى ستخضع للإدارة على أساس ثنائى فقط، أو حتى عن طريق شبكة من الترتيبات الثنائية. وستميل الدبلوماسية بشكل متزايد إلى أن تدار بشكل متعدد، وكثير من المناقشات الثنائية ستتعلق بالمسائل التى يتم تناولها بشكل متعدد. ولا يؤثر ذلك على توازن المجهود بين المناصب الثنائية والمتعددة فحسب، ولكن أيضا على التوازن بين الداخل والخارج، طالما أن المضمون الداخلى يميل إلى أن يكون أكبر فى العمل المتعدد منه فى العمل الثنائى، كما أنه غالبا ما يكون ذا اهتمام مباشر ومستمر بالنسبة لعدد من الوزارات المختلفة. وهكذا فإن حالة التمثيل الفعال فى المراكز الدبلوماسية المتعددة الأطراف قوية جدا والنقيض مع العلاقات الثنائية. وبوجه عام فلابد أن هناك سببا قويا لإقامة بعثات ثنائية فى البلدان التى لا توجد معها مصالح سياسية واقتصادية مهمة. ومع هذا، فقد تكون هناك أسس تجارية وقنصلية قوية لفعل ذلك. ومن المهم أن نلاحظ أن إقامة علاقات دبلوماسية مع دولة أخرى لا تتطلب فى حد ذاتها إقامة تمثيل مقيم فى هذه الدولة. فهناك احتمالات عديدة بديلة عن الوجود المادى الدائم. فالسفير يمكن أن يكون غير مقيم. والاعتماد فى أكثر من دولة أمر شائع، حيث السفير مقيم فيما وراء البحار، ولكنه موجود فى إحدى الدول التى تعتمد لديها. أحيانا تكون قاعدة السفير غير المقيم فى الديوان العام.

وبالطبع فإن الاتصال يمكن أن يحدث دون استخدام السفراء أو البعثات الثنائية المقيمة. ويمكن لوزراء الخارجية أن يتبادلوا الزيارات دون الاستعانة بالتمثيل المحلى الدائم. ومن السهل أيضا عقد الاجتماعات فى المراكز الدبلوماسية المتعددة الأطراف مثل نيويورك وجنيف. والحقيقة أن حجم الاتصالات الثنائية فى الأماكن الهامشية هو من أبرز سمات اللقاءات الدولية الكبيرة. وفى افتتاح الدورة العادية للجمعية العامة

للأمم المتحدة فى نيويورك، فإن الاتصالات على هامش الجمعية العامة نفسها هى بلا شك على درجة أكبر من الأهمية من الموكب الرسمى لوزراء الخارجية إلى المنبر لإلقاء كلمتهم المهمة الأشبه بالمناجاة كجزء مما يوصف – على سبيل التطرف – بأنه "مناقشة عامة".

ونجد المعايير لإقامة بعثات ثنائية فى تشكيل الأغراض الأساسية للسياسة الخارجية كما أشرنا إليها فى المحاضرة السابقة. وبعبارة أخرى، كيف تتوقف المحافظة على الأمن القومى والازدهار، والمصلحة الوطنية ووضع الدولة فى الخارج، بشكل مباشر على وجود دبلوماسى دائم فى دولة ما؟ إذا كان الاعتماد مباشر، فإن الامتناع عن إقامة وجود دبلوماسى دائم فى الدولة المعنية سيتسبب فى أن المصلحة الوطنية ستعانى، ربما بشكل تراكمى. ولكن عندما تكون العلاقة واهية، فإن ندرة الموارد، البشرية والمالية، تعمل ضد إقامة بعثة دبلوماسية. ولكن إذا تساوت العناصر الأخرى، فإن تكلفة استخدام موظف للخدمة الدبلوماسية فى الداخل تكون أقل بكثير مما لو عمل فى الخارج. وهكذا فإن الموارد يمكن توزيعها بشكل أكثر فاعلية فى الداخل، بشرط المحافظة بشكلٍ كافٍ على الاتصالات مع الدول الأخرى بالوسائل البديلة التى أشرنا إليها آنفا.

ومن المرجح أنه لابد من دفع ثمن خفض عدد المناصب فى الخارج على شكل أضعاف الوظائف الاستشارية والتنفيذية، وهذا بدوره يحتم أن يكون هناك اهتمامٌ خاصةٌ بالكفاءة فى ديوان عام وزارة الخارجية. واستمرار تعيين الموظفين أمر جوهرى، وخاصةً بالنسبة لتنظيم الوظيفة الاستشارية. فالمقدرة الاستشارية السليمة أمر لا غنى عنه للقيام بشكل مناسب بدور الخدمة الدبلوماسية فى مساعدة وزير الخارجية على تشكيل السياسة. وفى الوزارات الأصغر للشئون الخارجية قد لا يكون هناك موظفون للتخطيط بهذا الشكل. ولكن المفهوم، المتضمن فى وجود مخططين، لهم مدخل تنسيقى للأنشطة الجارية، قائم على تحليل الاحتياجات الوطنية والظروف، من جهة، وعلى التطورات فى الخارج من جهة أخرى، هو مفهوم سليم. وحتى فى عالم اليوم إذا كان تخطيط السياسة الخارجية المركبة قد يكون من الأهداف التى لا يمكن تحقيقها، إلا أن إضفاء قدر من التماسك على إدارة كتلة من الأعمال اليومية المختلفة ليس أمرًا مرغوبًا فيه فحسب، ولكنه أمر جوهرى.

أما عن المسائل الأخرى الخاصة بتخصيص موارد محددة على استخدامات متنافسة، فإنه لابد من إيجاد توازن. فالخدمة الدبلوماسية، بعد أن تضمن كفاءة العمليات التى تتم فى الديوان العام، يمكنها أن تشرع فى وضع أولويات بالنسبة لإقامة الوظائف فى الخارج على أساس بعض المعايير التالية :

١ - مراكز دبلوماسية كبرى متعددة الأطراف، خاصةً فى نيويورك وجنيف.

٢ - عواصم الدول الكبرى حيث توجد معها روابط سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو عسكرية قوية، وخاصةً إذا كانت توجد فيها - بالإضافة إلى ذلك - مقار منظمات كبرى متعددة الأطراف مثل واشنطون، بروكسل، باريس، لندن، روما، فيينا.

وبالطبع فإن هذه القائمة هى على سبيل المثال لا الحصر. فالظروف التى تجد دولة ما نفسها محاطة بها هى ظروف فريدة، أو ذاتية جدا على الأقل. ويتطلب هذا نظامًا مختلفًا من الأولويات فى كل حالة. وفضلا عن ذلك، فمن الواضح أن هناك نوعا من التداخل بين المعايير الخمسة المقترحة.

(د) الاتصالات :

تعتبر الاتصالات بين الدواوين العامة لوزارة الخارجية والمناصب فى الخارج من الأمور المهمة فى عمل الخدمة الدبلوماسية، سواء بالنسبة إلى الجهاز الفنى المتاح والاستخدام العملى لهذا الجهاز أو وسائل الاتصال والمواد التى يتم إيصالها. ومن الواضح أن الدقة والأمن أمران لا غنى عنهما، وأن السرعة مطلوبة بشكل ملح. وكما هو الحال دائما، فإن المادة والعملية يمتزجان امتزاجا كبيرا. فكلما كانت الاتصالات دقيقة وآمنة وسريعة، كلما قل شعور السفير فى الخارج أنه معزول عن حكومته، وكلما رغبت الحكومة فى معرفة حقيقة ما يجرى، حتى تزود السفير بالتوجيهات. والتقدم المتزايد فى الاتصال الدبلوماسى ليس ظاهرة منعزلة. إنه جزء من "غزو تكنولوجيا المعلومات" الذى وصفناه فى المحاضرة الأولى. ومن الجلى أنه فى حياتنا اليوم المتسمة بالعولمة، فإن مصادر المعلومات عما يجرى أصبحت أضخم وأسرع

وأكثر تقدما عن ذى قبل، مما يضطر الحكومات إلى التفاعل مع كم أكبر من الأحداث. ووسائل الإعلام – وليست الأحداث – هى التى تضع المؤشرات. فحاجة الحكومات إلى وجود شبكة معلومات خاصة بها قد قلت، مثلما الحال فى مدى الحاجة إلى العمل المستقل الفعال لمثيلها فى الخارج. وهذا أمر لا يدعو للدهشة، أو الضيق. فالاتصالات الدبلوماسية مصممة بحيث تكمل التدفق العالمى للمعلومات، لا أن تحل محل هذا التدفق. والعمل الدبلوماسى مصمم بحيث يتعامل مع هذا التدفق لا أن يتجاهله. فالدبلوماسية هى بنت عصرها، ولا تنتمى إلى عصور مضت.

ومع هذا، فمن المتوقع أنه كلما كانت الاتصالات أكثر سرعة وتقدما، كلما كبرت علامة الاستفهام فى أذهان العامة عن مدى جدوى البعثة الدبلوماسية فى الخارج. ومنذ اختراع البرق (البرقيات) فإن أى تطور جديد ساعد على تشجيع التأكيد بأن السفراء لم تعد لهم الأهمية نفسها التى تعودوا عليها، ويمكن إدارة العلاقات الخارجية بدون شبكة معقدة من البعثات الدبلوماسية. ويرى هذا الاتجاه فى المناقشة، أن الإبلاغ عن الأحوال فى الخارج يمكن أن يترك لوسائل الإعلام. ويمكن أن يعهد بالمفاوضات إلى رئيس الوزراء أو المسئولين الذين يأتون من الديوان العام كلما دعت الحاجة. ويؤكد هذا الرأى توفر السفر بالطائرات فى كل مكان، والسفريات التى لا تنتهى لوزراء الخارجية[٨]. ولكن هذا الرأى مضلل إلى حد كبير. فليست التفاصيل العديدة للتطورات فى الخارج، هى الجوهرية لتشكيل السياسة الخارجية، بقدر ما هو تفسير كيف تؤثر على مصالح الأمة. وكذلك فليس المهم تألق مؤتمر قمة عارض، ولكن الأهم الإعداد الدؤوب المسبق له ثم متابعته بذكاء، فهذا هو ما يضمن التنفيذ الناجح للسياسة الخارجية. ولم تعثر البشرية بعد على بديلٍ مرضٍ للدعوة Advocacy وجها لوجه (الإقناع الشخصى).

ومن الجدير بالملاحظة أن وزيرا للخارجية البريطانية هو لورد جون راسل Lord John Russell ، كان له وجهة نظر مختلفة جدا عن أهمية البرقيات. فقد أشار إلى أنه فى الأيام الماضية، كان وزير الخارجية يكتب رسالة طويلة تشكل تعليمات للسفير (أو تعليمات للوزير المفوض، ففى سابق العهد كانت للبعثات فى الخارج درجات حسب

أهميتها، فالأقل أهمية كان يرأسها وزراء مفوضون وليس سفراء). وكان السفراء وحدهم هم الذين يمكنهم أن يتحدثوا من تلقاء أنفسهم. ومع هذا فإن السفير اليوم، وبسبب الإيجاز الذى يفرضه استخدام البرق، يضطر إلى أن يقدم جزءا كبيرا من النقاش بنفسه(٩). ووجهة نظر لورد جون راسل تضم الطريقتين. فمن التجارب المألوفة حقا بالنسبة للسفراء أن يتلقوا تعليمات بارعة الاقتضاب كانت تحدث لدى الذين أرسلوها من الديوان العام شعورا رائعا، ولكنها كانت محفوفة بالصعوبات عند أولئك الذين عليهم أن ينفذوها. وكان التحذير التقليدى فى التعليمات القائل: "ما لم يكن لديك اعتراض" أكثر من مجرد إجراء شكلى. فإذا ساءت الأمور نتيجة لتطبيق التعليمات، فإن اللوم يقع على رأس السفير وليس على مرسل التعليمات.

وأى سفير جديد بمنصبه يشعر بالامتنان، وليس بالتهديد عندما تقوم وسائل الإعلام بتغطية جانب من مسئولياته. والزيارات الوزارية، أبعد ما تكون عن إبعاد أو الإحلال محل عمل السفير، بل إنها تعمل على إثرائه فى الحقيقة. والسفراء بوجه عام يعزفون عن التماس اهتمام وزارى أكثر، لا بسبب القلق من أن ينحوا عن عملهم، وإنما لإدراكهم بالمطالب الملحة التى لا تترك لوزير الخارجية وقتا كافيا لتلبيتها جميعا. وهذه النقطة الأخيرة يتجاهلها أولئك الذين يرغبون فى تأكيد عدم أهمية السفراء فى عالم الاتصالات الحديثة. وقد قال سير إدوارد جراى Sir Edward Grey ذات مرة، وكان وزيرا للخارجية فى السنوات السابقة على الحرب العظمى وفى أثناء الجزء الأول منها، والذى ارتبط اسمه بالأيام الذهبية الأخيرة للسلام قبل أن " تنطفئ المصابيح فى كل أنحاء أوروبا"(١٠). وقال فى أثناء وجوده فى منصبه أنه كان مضغوطا لدرجة أنه لا يتذكر أنه اتخذ أية خطوة إلا إذا كان لها صفة العجلة المباشرة من أجل حل مشكلة معروضة مباشرةً عليه. وبالطبع ازدادت الضغوط إلى حد كبير منذ ذلك الوقت. وعندما عاد مستر أنطونى أيدن Anthony Eden إلى وزارة الخارجية عام ١٩٥١ قال لسلفه المباشر لورد موريسون لامبث Lord Morrison of Lambeth ، إنه وجد أن العمل قد تضاعف بالمقارنة بعام ١٩٤٥ عندما كان وزيرا للخارجية وقتئذ(١١). ولنا أن نتصور ما آلت إليه حياة وزير الخارجية اليوم من حيث أعبائها الفظيعة.

عوامل الإدارة :

(هـ) الاختيار والتدريب :

الإدارة، بمعنى التوجيه والتحكم فى الجهود الجماعية، الموزعة فى تشكيل وتنفيذ السياسة الخارجية، أمر جوهرى. والحقيقة أن هذا هو الموضوع الرئيسى لهذه المحاضرات. ولكن هناك جانب من الإدارة لا يقل أهمية بالنسبة للمدخلات أكثر منه بالنسبة للمخرجات وهو تنمية الموارد واستخدامها فى عمل عالى التخصص ويتطلب مرونة هائلة وقوة تخيل.

وكما لاحظنا من قبل، فإن موارد أية خدمة دبلوماسية هى أساسا موارد بشرية. وهناك مكافأة عند التوصل إلى الأشخاص المناسبين، وتدريبهم، ليس فقط فى مطلع عملهم، وإنما أيضا خلال مدة خدمتهم، وإمدادهم بالبنية الأساسية التى تضمن أن يكونوا فى وضع يمكنهم من أداء عملهم ويجب النظر إلى الاختيار فى دولة ديموقراطية، على أنه يجب أن يكون فعالا وعادلا. وفى "الدبلوماسية القديمة" كان هناك قدرٌ كبيرٌ من الرعاية Patronage غير المعلنة. واليوم فإن الرعاية أكثر صعوبة فى إخفائها، بينما من الواضح الجلى مظاهر القصور المحتماه الناتجة عن مثل هذه الرعاية. والدبلوماسية هى مهنة تتطلب براعة خاصة ويبدو أن مهامها ومسئولياتها المتعددة قد شجعت على وجود قدر معين من النرجسية لدى السلطات التى تسهب فيما هو مطلوب. ويمكن أن نجد المثال الغالب لهذا فى تعليق للسير هارولد نيكلسون، لاشك أنه أورده على سبيل المزاح :

"هذه هى صفات الدبلوماسى المثالى فى نظرى. الصدق والدقة والهدوء والصبر وحسن الأخلاق، والتواضع والولاء. وهذه أيضا هى الصفات التى تتحلى بها الدبلوماسية المثالية. وقد يعترض القارئ قائلا: "ولكن لقد نسيت الذكاء والمعرفة والفطنة وحسن الضيافة والجاذبية والاجتهاد والشجاعة وحتى المهارة". لم أنس هذه الصفات، ولكننى أعتبرها من الأمور المسلم بها"[١٢].

إن أى خدمة دبلوماسية تتشكل فقط بمثل هذه العبارات المتلألئة تفتقر إلى الجاذبية، على أقل تقدير. كما أنها تحبط الناس الذين لا يتمتعون بمثل هذه الصفات، وإن كانوا مع ذلك يؤدون عملهم على أحسن وجه. ومن حسن الطالع أنه فى حالة المملكة المتحدة على سبيل المثال، لا يوجد بوجه عام نقص فى عدد المتقدمين لأن الإشباع الوظيفى على درجة عالية. ولكن ليس من السهل دائما أن تكتشف فى الشباب وهم فى العشرين من عمرهم المقدرة على أن ينموا فى وظيفة تمتد فترة حياتهم العملية، والتى قد تستغرق ٤٠ عاماً أخرى. وربما كانت الصفات الأساسية هى المتعلقة بالقدرة على التفتح والتأقلم مما يساعد الدبلوماسيين - من الجنسين - خلال عملهم على التعامل مع الاحتياجات والظروف المتغيرة وتنمية المهارات الشخصية التى تؤدى إلى عمل مؤثر استجابةً لهذه الاحتياجات. وكما سبق أن أشرنا، فإن التدريب هو عملية تمتد طول مدة الخدمة وليس مجرد الحصول فى البداية على كم من المعرفة والمهارة الفنية التى لها صلاحية دائمة. "والتدريب" باعتباره مفهوماً يجب أن يتضمن تنمية المهنة. فكل موظف على حدة يلقى تشجيعًا من بعض الخدمات الدبلوماسية لوضع الخطط التدريبية الخاصة بهم والتى يمكن أن يقوموا بها إذا سمحت الظروف. وكما سبق أن ذكرنا فى مقدمة هذه المحاضرات، فإن اكتساب ما يمكن اعتباره مهارات "مهنية"، مثل إجادة اللغات والمهارة الفنية فى العمل القنصلى والعمل المتعلق بالهجرة إنما يتوافق - ولا يتعارض - مع المهارات المطلوبة فى تنمية القدرات الخاصة بالسياسات فى بعض المجالات التقليدية للعمل السياسى والاقتصادى.

(و) شروط وأحوال الخدمة :

إن إدارة الموظفين (تسمى أحيانا إدارة المستخدمين أو إدارة السلك الدبلوماسى والقنصلى فى الدول المختلفة - المترجم) تمثل مشكلات خاصة لمنظمة منتشرة على عدد كبير من المواقع المتفرقة، كما هو الحال فى الخدمة الدبلوماسية - ويحتاج أعضاء الخدمة إلى أن تدفع لهم مرتبات بمعدل يمكن مقارنته بالمرتبات التى تدفع لوظائف مشابهة. ولكن يجب أيضا أن تتضمن عناصر تأخذ فى الاعتبار درجة الحراك والأمور غير

المتوقعــة فى الوظيفة، والمتاعب، وحتى المخـــاطر التى قــد تكــون من سمـات الحيــاة فى وظائف مـعينة. ولابد من أن يؤخـذ فى الاعتبـار المشكلات الخـاصـة بالروح المعنوية التى تنبع من الطبيعة الجوالة الخاصة بالوظيفة. ومن المهم جدا طمأنة أولئك البعيدين أو المتغيبين لمدد طويلة عن الديــوان العــام (لوزارة الخارجية) أنهم ليســوا منسـيين. إن تكافؤ الفرص له أهمية قصوى. والتقارير الدورية التى يعدهـا كبار أعضاء الخدمة عن الذين يـعملون مـعـهم أمـر جـوهرى فى هـذا الشــأن. والجـودة أمـر حـيوى، والطمـوح المشروع والمنافسة المشروعة من الأمور الجوهرية للمحافظة على الجودة. ولكن لا شىء أكثر تدميرا للروح المعنوية، والنيل من الاستمتاع بالوظيفة وبالحياة التى تصحبها، من الشـعور بأن بعض الناس لا تتاح لهم الفرصـة أبدا، بينما آخرون تبدو المحاباة فى التعامل معهم.

(ز) الموظفون المعنيون محليًا :

على أساس التكاليف وحدها، هناك مثال قوى لاستخدام الموظفين المعنيين محليا وتفضيلهم على الموظفين المقيمين فى الوطن، عند التعيين فى وظائف بعثة فى الخارج، كلما كان ذلك ممكنا. واعتبارات السرية أو الأمن قد تعلو على ذلك فى عدد من الأحوال. ومن جهة أخرى فإن المعرفة الخبيرة للموقف المحلى أمر جوهرى، ليس فقط لكفاءة عمل البعثة – وخاصةً فى العمل التجارى أو القنصلى – ولكن أيضا من أجل الرخاء والسلامة، ومن ثم كفاءة الموظفين المعنيين فى الوطن الذين يحتشدون فيها. فعندما تكون الموهبة الإدارية فى الوطن عزيزة، فإن الأسس لتعيين موظفين محليا تكون أقوى. وينطبق الاعتبار نفسه على استخدام خدمات الاستشاريين المحليين والخبراء المحلين من مختلف التخصصات، وربما فى المجال القانونى بشكل خاص. والذين يعملون من أجلك قد لا يتطلب الأمر أن يتفرغوا تماماً.

(ح) السلك الدبلوماسى :

يطلق على الدبلوماسيين الأجانب فى عاصمة لإحدى الدول مصطلح جماعى هو "السلك الدبلوماسى" (*)، وهى عبارة قد تثير الضحك المكتوم بين غير المختصين، ولكنها مع ذلك لها استخداماتها المفيدة. وقانونا، يتكون السلك من أولئك الذين تمنحهم الدولة المضيفة مزايا وحصانات معينة تحت شروط تفاهمات دولية ذات صلة - وهى أساساً اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية. ويضم السلك الدبلوماسى أعضاء المنظمات الدولية المعترف بها التى مقارها أو مكاتب فروعها موجودة فى العاصمة. وتعتبر القائمة الدبلوماسية التى تحتوى على كل هذه التفاصيل وثيقة سهلة الاستعمال، ليس بالنسبة للمعلومات الحقيقية التى توفرها فحسب، وإنما أيضا لما توحى به من فكرة عن مدى حجم تمثيل كل دولة وكل منظمة فى مركز دبلوماسى بعينه.

وتشير القائمة الدبلوماسية للندن الصادرة فى ديسمبر ١٩٩٥ (١٢) ، إلى أن حوالى ١٦٠ دولة لها بعثات دبلوماسية معتمدة لدى المملكة المتحدة، منها حوالى ١٥ بعثة غير مقيمة، تابعة لسفارات مقيمة فى باريس أو بروكسل أو لاهاى. ويختلف حجم التمثيل اختلافًا كبيراً من بعثة إلى أخرى. ففى بعض الدول يكون عدد العاملين فى بعثة ٥٠، أو حتى ١٠٠ عضو دبلوماسى. وفى دول أخرى يكون عدد الأعضاء الدبلوماسيين فى البعثة عضوين أو ثلاثة. وعدد الأعضاء الدبلوماسيين فى المنظمة البحرية الدولية وهى إحدى الوكالات المتخصصة للأمم المتحدة المقيمة فى لندن، وكذلك الأمانة العامة للكومنولث ، عدد كبير. بالطبع لا توجد صلة بين حجم دولة ما، مقدرة بعدد سكانها أو إجمالى ناتجها القومى، وحجم بعثتها الدبلوماسية فى مكان ما. وكما سبق أن لاحظنا فإن حجم التمثيل يتوقف على الظروف الخاصة بكل دولة مرسلة وعلى مدى ارتباط مصالحها بالدولة المضيفة. وهناك بعض الدول تسرف فى الرتب التى تمنحها

(*) تطلق بعض الدول العربية مصطلح "الهيئة السياسية" على مجموع الدبلوماسين الأجانب المعتمدين لديها وهو مصطلح خاطئ ، وقد يتسبب فى خلط ومخاطر على الدبلوماسيين واعتبارهم من السياسيين . ويمكن استخدام مصطلح الهيئة الدبلوماسية إذا كان البعض يعترون مصطلح "السلك الدبلوماسى" Diplomatic Corps ترجمة حرفية غير مقبولة - المترجم .

لدبلوماسييها: فتثقل بعثتها بالوزراء المفوضين والمستشارين لمساعدة السفير. وهناك دول أخرى، أكثر تقشفا تضع ثقتها في الملحقين أو حتى الملحقين المساعدين.

وفي المناصب المتعددة الأطراف يتقابل أعضاء السلك الدبلوماسي كثيراً مع بعضهم البعض، لأن مسئولياتهم قد تقتصر - نظريًا إن لم يكن عمليًا - على المنظمات الدولية المقيمة هناك. وفي العواصم الثنائية الأطراف الأكبر حجماً، فمن المرجح أن يتفرق الدبلوماسيون فلا يرون بعضهم البعض إلا لماماً. ولكن في المناصب الأصغر، وخاصةً عندما تكون الأحوال صعبة والمعلومات من العسير الحصول عليها، فإن الدبلوماسيين قد يعتمدون على بعضهم البعض في الحصول على المساندة المهنية وعلى الاسترخاء الاجتماعي. والدبلوماسيون على الأغلب هم رفقاء حسنو المعشر، لدرجة أنهم أحيانا يمثلون نوعًا من الترفيه عن أعباء الوظيفة المرتبط بالاتصال بالدولة أو المنظمة الدولية المعتمدين لديها. ومع هذا فإن النقطة المهمة هي أن السلك الدبلوماسي يعتبر كسبا مهمًا للخدمة الدبلوماسية المحترفة في القيام بمسئولياتها في الداخل والخارج.

(ط) الجهاز المادي :

للمكاتب والمساكن في الخارج أهمية قصوى ليس فقط من ناحية الكفاءة وأمن العمل والصحة وراحة الأعضاء فحسب، وإنما أيضا من ناحية صورة الدول التي يعكسونها. ومن الصعب تقييم العامل التمثيلي، كما سبق أن ذكرنا. ولكن هذا العامل موجود. وعلى هذا الأساس فإنه من المفيد أن تمتلك أو تؤجر المكاتب وجزءا كبيرا من أماكن المعيشة في الخارج. وللمملكة المتحدة حوالي ٣٩٠٠ عقار في الخارج منها ٢٥٨ عقار تستخدم مكاتب، و ٢٢١ دور سكن لرؤساء البعثات و ٣٢٥٠ بيوت أو شقق لسكني الأعضاء. و ٤٠ في المائة من مساكن الأعضاء مملوكة للدولة. وصيانة هذا العدد الكبير من العقارات المنتشرة في جميع أنحاء العالم يشكل مهمة صعبة، وخاصةً إذا كانت المباني لها أهمية معمارية أو تاريخية، أو تقع في مكان متميز. وأية خدمة

دبلوماسية تقيم بعثة فى الخارج لابد أن تراعى الموقع بعناية شديدة واضعة نصب أعينها العوامل التى ذكرناها آنفا. وفى الوقت نفسه، فإن هذه العوامل يجب أن تقاس وفقا للقيود المالية المعتادة، والتى من المرجح أن تقف عقبة أمام الحصول على المكان المرغوب فيه حقا، والقبول بمكان أقل من المكان المثالى.

وأجهزة المكاتب وزخارفها لها أيضا معاييرها التمثيلية والأمنية وتلك المتعلقة بالكفاءة. ولكن هنا نجد أن قوة التخيل وحسن التصرف يلعبان دورا كبيرا للتغلب على الموارد المالية المحدودة. ومن المبهج أن نرى كيف أن مثل هذا الاستخدام الجيد قد اعتمد على تسهيلات محددة. وفن الحياة له تأثير مباشر على الدبلوماسية.

(ى) تكنولوجيا المعلومات :

إذا نظرنا إلى تكنولوجيا المعلومات من منظور الإدارة، فإنها تعنى مساعدة الخدمة الدبلوماسية على القيام بمسئولياتها بدقة أكثر، وبسرعة أكبر وبأمان أضمن وبتكاليف أقل. وحتى وقت قريب فإن التطورات الأكثر أهمية كانت فى الاتصالات، وبالذات فى الدمج بين الوظائف التى كانت منفصلة لمعالجة المعلومات وبثها - على سبيل المثال - فى تشفير وبث البرقيات الرمزية. والتطورات فى هذا الصدد لم يواكبها تقدم مماثل فى تخزين المعلومات واستعادتها أو فى بثها. والتأثير المشترك للتطور السريع فى كل هذه المجالات هو تأثير تراكمى يقع فى الوقت نفسه - وهو نوع من التطور الهندسى أكثر منه تطوراً حسابياً.

وقد سبق أن أشرنا من قبل إلى بحث أعده عضو فى الخدمة الدبلوماسية البريطانية هو ستيوارت إلدون بعنوان "من القلم الريشة إلى القمر الصناعى" وهذا البحث يحتوى على نصيحة عملية ثمينة عن إدخال نظم المعلومات فى العمل الدبلوماسى. ويقترح إلدون "أربع مراحل من التعلم التنظيمى المتعلق بتكنولوجيا المعلومات": التعرف على التكنولوجيا واستثمارها، والتعلم التكنولوجى والتكيف، والتحكم فى إدارة الترشيد، و"النضوج". هذه المراحل ترى الخدمة الدبلوماسية من خلال المهمة المبدئية لإيجاد التكنولوجيا الملائمة لاحتياجاتها، وإيجاد مشروع تجريبى، لتقديم أعاجيب التكنولوجيا

الملائمة لاحتياجاتها، وإيجاد مشروع تجريبى، لتقديم أعاجيب تكنولوجيا المعلومات للأعضاء الدبلوماسيين ككل، حتى الدرجة التى يمكن عندها استيعابها وفهمها، ويمكن وضع نظم مساندة ملائمة وأدوات تحكم لضمان استخدامها بكفاءة.

وسيؤدى كل هذا إلى إحداث تغيير فى الممارسة الدبلوماسية المقبولة. ويمكن أن تكون التطورات الأكثر أهمية متمثلة فى "إنهاك" التسلسل فى مناصب الخدمات الدبلوماسية ووقوع مشكلات أكبر خاصة بالتحكم عند المسئولين عن عمل بعثة ما ككل، إذا وضعنا فى الاعتبار التسهيلات الخاصة بالاتصال المباشر مع الديوان العام بوسائل مثل البريد الإلكترونى من كل "محطة عمل" (وهو ما كان يطلق عليها "مكتب" أو "شئون" Desk فى الماضى)[١٤]. ويجب أن يقال إن التسلسل فى المناصب الدبلوماسية مدين كثيراً لتقاليد "الدبلوماسية القديمة" كما هو مدين لمتطلبات "الدبلوماسية الجديدة". فمثلا نحن مدينون لتعريف دور السكرتيرين الثوانى: والمتمثل فى مساعدة السكرتيرين الأوائل وتوجيه السكرتيرين الثوالث". والمقدرة على وضع السياسات تتمثل بوجه عام فى توزيع النفوذ داخل الخدمات الدبلوماسية. وبالإضافة إلى ذلك فإن الإدارة لابد أن تضع فى اعتبارها مجال التطورات فى التكنولوجيا فى ميادين أخرى غير المعلومات لتحقيق قدر أكبر من الكفاءة.

(ك) العامل الأسرى :

السياسة Politics والدبلوماسية هما من بين المهن التى يوجد فيها مجال ثرى بشكل خاص لإيجاد شراكة بين الزوجين. وكان من الواضح عبر التاريخ مدى مديونية رجال الدولة لزوجاتهم. وفى الآونة الأخيرة فقط، ومع تحرر المرأة وتعاظم دورها فى الحياة العامة، فإن الطرح العكسى أصبح واضحاً بالقدر نفسه. كما أن دور الزوجة الدبلوماسية قد تم تأريخه بشكل فيه طرافة فى عدد من المناسبات[١٥] ولكن مازال من السهل الإقلال من شأن هذا الدور.

إن الدور المتزايد الذى تلعبه الدبلوماسيات يجذب الانتباه بحق، على الأقل من وجهة النظر الأسرية. فعندما سمح للمرأة للانضمام لأول مرة إلى الخدمة الخارجية

البريطانية (وهو الاسم الذى كان يستخدم وقتئذ)، كانت اللوائح تجبرها على الاستقالة عند الزواج. وقد تهكم البعض مقترحين على الذين يعارضون الفكرة كلها أن يتم اختيار الفتيات اللائى على درجة عالية من الجمال والجاذبية والمقدرة بحيث يتم زواجهن بسرعة. واليوم يختلف الموقف عن ذى قبل. فهناك عدد كبير من الدبلوماسيات المتزوجات. وأصبح من المعتاد أن يوجد عدد من الدبلوماسيات المتزوجات من دبلوماسيين فى المهنة الدبلوماسية. ومضت تلك الأيام عندما كان يفترض أن الزوجة لن يكون لها عمل مهنى خاص بها وأن مهنة زوجها القائمة على التنقل من بلد إلى آخر لن تشكل أية مشاكل لها فى هذا الشأن. فاليوم، عندما يكون لكل من الزوجين مهنة، فإن التنقل يخلق صعوبات وضغوط على أحدهما، وهذا الأمر يتطلب أن يؤخذ فى الاعتبار بحرص. فالقيمة الأساسية لفريق الأسرة لم تتقلص. وصعوبات تحقيقها بكل تأثيرها قد تعززت كثيراً.

وبالطبع فإن الحياة الأسرية قد تعقدت بسبب وجود عامل التنقل. فالجانب الإيجابى يتمثل فيما يضفيه التنقل من أثاره على تنشئة الأطفال. والجانب السلبى هو الاختيار غير السار الذى يتطلبه التنقل بين انفصال الأطفال عن ذويهم لصالح استمرار تعليمهم فى وطنهم، وبين التعليم المتقطع والهش الذى يعتبر ثمن لبقائهم مع ذويهم عندما يتنقل هؤلاء من موقع إلى موقع آخر.

ويقدم النظام البريطانى للمدرسة الخاصة بمصروفات والتى يطلق عليها Public School نموذجًا مخففًا من نوع ما يجعل من التعليم فى المدارس الداخلية تعليما ليس غير عادى، حتى فى حالة العائلات المستقرة. ونظام التعليم الفرنسى (ليسيه Lycee) من النظم الممتازة بسبب اتساق التعليم المدرسى اليومى الذى يتوافر فى كل أنحاء العالم، وبهذا يمكن أن تكون هناك استمرارية حتى بالنسبة للعائلات دائمة التنقل. وليس هناك حل مرض تمامًا. فأبناء الدبلوماسيين من الفطنة بحيث يمكنهم أن يخرجوا باستنتاجاتهم المتنوعة والتى لا تكون دائما محل تقدير. فكثير منهم يستمدون خبرة هائلة فى السفر جواً ويحافظون عليها.

الاتجاهات المستقبلية فى منظمة الخدمة الدبلوماسية :

من بين الصفات المطلوبة فى الدبلوماسيين أكثر من غيرها، سواء على المستوى الفردى أو الجماعى، القدرة على التكيف، فالضرورة تقتضى أن يكونوا على استعداد لأن يقتلعوا أنفسهم من الجذور، ذهنيا وماديا، لأن وظائفهم فى الخارج تنقلهم من دولة إلى أخرى. والطريقة التى تنظم بها الخدمات الدبلوماسية قد مرت بتغييرات هائلة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. ولا يوجد سبب للافتراض بأن معدل التغير سيتقلص. فالاعتماد المتبادل العالمى المتزايد سيتطلب استجابات متغيرة للظروف التى تواجهها كل دولة. وهناك أربعة اتجاهات ممكنة مقترحة. الاتجاه الأول يتمثل فى أنه منذ ١٩٤٥ ظهر عدد كبير من الأعضاء الجدد للأمم المتحدة مما أدى إلى تشجيع نمو كبير فى شبكة البعثات الدبلوماسية الثنائية، وربما كانت هناك بعض الحيل فى الماضى لدى الدول الناشئة لاعتبار التمثيل الدبلوماسى المحكم فيما وراء البحار أحد المقومات الجوهرية للسيادة التى حصلوا عليها حديثًا. ولكن الحقائق الاقتصادية الصعبة وضعت هذا الميل تحت ضغط متزايد. وعلى أى حال فإن نمو المراكز الدبلوماسية الدولية، وحجم العمل الذى يتم على المستوى المتعدد الأطراف وليس على المستوى الثنائى، يدعو إلى التشكيك فى مدى صلاحية الشبكة على النطاق السخى فى الماضى. وفى الوقت الذى قد تكون فيه الدبلوماسية متعددة الأطراف بمثابة صناعة النمو، فإن احتمالات الدبلوماسية الثنائية أصبحت محفوفة بالمشكلات.

ثانيًا: إن الاتجاه نحو تعددية أطراف العمل الدبلوماسى قد تشجع البحث عن أنشطة يمكن أن تستقل عن العمل الدبلوماسى والسياسى الرئيسى. وكانت الخدمات التجارية والقنصلية والإعلامية منفصلة عن "جوهر" الدبلوماسية حتى سنوات قليلة ماضية، كما سبق أن أوضحنا. وإن أسس دمجها فى نطاق المدخل الشامل لمقدرة السياسات التى ركزت عليها هذه المحاضرات، قد تصبح أقل إقناعا مع مرور الوقت. وقد نرى عمليًا اتجاهًا للدبلوماسية الثنائية للتركيز – بشكل متزايد – على الأعمال التجارية والثقافية والإعلامية والقنصلية، بينما العمل السياسى والاقتصادى يعكس الاتجاه المتزايد نحو الدبلوماسية المتعددة الأطراف. وقد يؤدى هذا إلى موقف تدار فيه المناصب الثنائية بموظفين محليين شيئًا فشيئًا. ولكن إذا حدث ذلك فلن يكون هذا أمرًا جديدًا.

فالعمل القنصلي مثلا، انتعش قبل ظهور الخدمات الدبلوماسية المنظمة. وكانت الجاليات الأجنبية تعين أحد أعضائها ليكون ممثلا (قنصلا) فى العاصمة أو البلاد التى تقيم فيها. وحتى هذه الأيام فإن وثيقة من نوع خاص تعطى للقناصل العامين أو القناصل لتمنحهم صلاحية لتعيينهم، وهى معروفة باسم البراءة القنصلية exequatur[١٦] .

ثالثًا: إن أى فصل للعمل الدبلوماسى لكى يؤديه موظفون محليون فيما وراء البحار أو وكالات غير حكومية سيشجع التبادل بين الخدمة الدبلوماسية، التى تتمركز فى الوطن بشكل متزايد، وتركز على العمل السياسى والاقتصادى "الجوهرى"، من جهة، وبين الخدمة المدنية الداخلية، التى ترتبط بشكل متزايد بمسائل لها أبعاد خارجية من جهة أخرى. وقد أشرنا من قبل إلى الأفكار التى وردت بهذا الشأن فى تقرير صدر عام ١٩٧٧ عن موظفى مراجعة السياسات المركزية. وربما أدت التحركات نحو تكامل متزايد داخل الاتحاد الأوروبى إلى إحياء هذا الموضوع.

رابعًا: قد يكون هناك اتجاه نحو النشاط الدبلوماسى الجماعى. فالاتحاد الأوروبى لم يتطور بعد إلى الدرجة التى تشعر عندها حكومات الدول الأعضاء أنها يمكن أن تعهد بتمثيلها الخارجى إلى شبكة البعثات الخاصة بالمفوضية الأوروبية. ولكن هناك إمكانية تجميع التسهيلات والتوفير فى الموارد، سواء أكانت موارد بشرية أم مالية. ولقد كان هناك تبادل للدبلوماسيين على مستوى الإدارات، على سبيل المثال بين وزارات خارجية ألمانيا وفرنسا وبريطانيا.

والنقطة الجوهرية هى أن الجهاز الدبلوماسى المحترف يجب أن يظهر القدرة على التكيف والتخيل، وهما ضرورتان للقيام بمسئولياته بجدارة على المستويين الاستشارى والتنفيذى وليست هذه مجرد مسألة تتعلق بالحزم الإدارى والوضوح. إنها أيضا تتعلق بمنزلة وموهبة كل دبلوماسى على حدة. والآن تتحول هذه المحاضرات إلى هذه المسألة.

(٩)

اكتساب المهارات الدبلوماسية : الصياغة

تعتمد أية منظمة، مهما كانت جيدة التصميم والإدارة، لتحقيق فاعليتها على نوعية الأفراد الذين يعملون فيها أولا وأخيرًا. ومن هنا تأتى أهمية تعيين العناصر الصالحة والتدريب وتنمية المهنة، وهو ما سبق أن تعرضنا له فى المحاضرة السابقة من بين مسائل أخرى. وفى الوقت نفسه، فإن المهنة تتوقف إلى حد كبير على مقدرة أعضائها على تدريب أنفسهم وعلى تنمية مهاراتهم الشخصية. والموضوع الذى تكرر فى هذه المحاضرات هو أن مهارات أى دبلوماسى يمكن أن تكتسب أساسًا بفضل الممارسة الطويلة والخبرة، ويشمل ذلك مراقبة الآخرين فى أثناء العمل. ولكن التدريب فى البداية يمكن أن يكون مفيدًا وأبلغ مثال نجده فى استخدام الكلمة المكتوبة فى الدبلوماسية.

الدعوة والكلمة المكتوبة :

الدعوة Advocacy هى جوهر العمل الدبلوماسى. وفى أى مجال يتفاعل فيه الناس، فإن الدعوة تحتل قلب التفاعل. وكلما كان موضوع التفاعل مهمًا ومركبًا، وكلما كانت الألفة المشتركة بين المتفاعلين كبيرة، كلما أصبحت مهمة الدعوة دقيقة. ويجب أن تحتل الدبلوماسية أعلى مرتبة من مراتب الإقناع. فإقناع الناس يأتى إما بالعقل أو العاطفة، أو على الأرجح بمزيج من الاثنين. وقد يتم إقناعهم أو تملقهم أو مجاراتهم أو إلهامهم، ويمكن تضليلهم. فالانطباع الذى يتركه شخص آخر هو مزيج من عناصر

عديدة: ثقافية وأخلاقية ومادية وشخصية. وهذا المزيج، فضلا عن ذلك، له شق متعلق بالطبيعة وشق متعلق بالفن.

وفى النهاية فإن الدعوة فى حالة الدبلوماسية تبدأ بإعداد النصوص وصياغتها بشكلها النهائى للاستخدام الشفوى أو على شكل مكتوب. وتتضمن كلمة "الدعوة" فى طياتها الشكل القانونى والإجراء ، مما يؤكد أن النصوص الدبلوماسية لها خصائصها المميزة.

ويصر سير هارولد نيكلسون على أن "الدبلوماسية" ليست فى المحادثة الودية، ولكنها أسلوب تبادل المستندات فى شكل يمكن التصديق عليه. فالاتفاق الذى يلتزم بنص مكتوب تكون له حجية فى المستقبل أكثر من أى اتفاق يعتمد على تفسير متغير لموافقة شفوية[١]. ولهذا فإن الدبلوماسية لا يمكن أن تهتم إلا بالنصوص: ما قالوه، وما لم يقولوه وكيف قالوا ما قالوه، ولماذا قالوه. وهذا أمر حيوى أيضا فى المدى الطويل. وهناك نوع من الصدق فى القول بأن درس التاريخ هو أن رجال الدولة لا يتعلمون من التاريخ؛ فهم مشغولون بصنع التاريخ وليس لديهم وقت لدراسته. أما نحن – معشر الدبلوماسيين – فإن علينا مسئولية ألا نقع فى هذا الخطإ. فالمحفوظات فى الملفات الجيدة واستخدامها الفعال، أمر جوهرى لعملنا.

والعناصر الرئيسية للصياغة الدبلوماسية للمسودات لا تختلف عن الصياغة بوجه عام. وتعريف فعل "صاغ مسودة" هو أن تكتب شيئا فى صيغته "المبدئية". ومعنى هذا أننا نهتم بنوع النص عندما لا نتوقع أن نصل إلى الصيغة النهائية من أول محاولة. فإذا تخيلنا أننا سنصل إليها مباشرةً من أول محاولة، فلا يجب أن نتحدث عن صياغة مسودة. وفضلا عن ذلك، فإن ما تعنيه صياغة نص فى شكله المبدئى هو أن عملية كتابته بالشكل الصحيح قد يتم فى النهاية بشكل جماعى وليس بشكل فردى. ومن الملائم أن نمارس فن الصياغة الدبلوماسية تحت العناوين التالية : المضمون، والشكل، والأسلوب، والجهد الجماعى.

المضمون :

فى البداية فإن الأسئلة التى تحتاج إلى إجابات هى :

"ما الرسالة التى ترغب فى أن تنقلها، وإلى من ترغب فى أن تنقلها؟" ولابد أن تكون الإجابات دقيقة حتى تكون مفيدة. وبالنسبة للسؤال التالى المهم فالأمر يحتاج إلى دقة أيضا: "ما نوع الرسالة؟". "فمثلا هل نحن نهتم بنقل معلومات؟". وبالطبع لن تكون المعلومات من أجل المعلومات، ولكن باعتبارها وسيلة للمساعدة فى الإقناع. هل نحن نؤكد نتيجة ما؟. وهى ليست أية نتيجة فى حد ذاتها، ولكن باعتبارها أساس للاتفاق وللقيام بالمتابعة. هل نحن نهدف إلى أن نترك لمتلقى الرسالة أن يصل بنفسه إلى خلاصة ما؟ على أساس أن الناس قد يفضلون أن يقنعوا أنفسهم بأنفسهم بدلا من أن يسمحوا لأنفسهم بأن يظهروا بمظهر الذين يقتنعون بمنطق الآخرين. إن محبى المسلسل التلفزيونى "نعم، يا معالى الوزير" Yes, Minister يرون أن هذا الأسلوب المعين فى التعامل يستخدمه موظفو الحكومة بفاعلية كبيرة مع الوزراء. (تحول هذا المسلسل التليفزيونى الناجح بعد ذلك إلى "نعم يادولة رئيس الوزراء" Yes, Prime Ministe بعد أن شغل الوزير فى المسلسل منصب رئيس الوزراء – المترجم) وهناك احتمال فى أن الرسالة المرغوب فيها هى أن يكون هناك مزيج من هذه العناصر كلها، حيث إنها مترابطة بقوة، وهى نقطة تم تلخيصها فى المعانى العديدة لكلمة "مجادلة" Argument . فالمجادلة يمكن أن تعنى تصريحا بعرض حقائق للتأثير فى العقول، ومن ثم مساندة طرح ما proposition ويمكن أن تعنى سلسلة مترابطة من التصريحات تهدف إلى إقامة موقف ما (أو هدمه)، وهى بهذا تكون بمثابة عملية إقناع منطقى reasoning . ويمكن أن تعنى عرض ما هو فى صالح المقترح وما هو ضده، أى المناقشة discussion أو المحاورة debate ويمكن أن تعنى ملخصا لموضوع كتاب أو مسرحية ومن ثم عرض لمضمونها.

والسؤال التالى الذى يجب أن نضعه فى الاعتبار هو ما الذى يجب أن تتضمنه الرسالة. أكرر "يجب"، لأن أى شىء فى المضمون يكون مرغوبًا فيه أكثر منه جوهريًا قد يكون من الأرجح أن يحذف. وواجبنا أن نتعامل مع ما هو جوهرى ونقله فى شكله المتماسك الدقيق المقنع. ويقتضى هذا، شأنه شأن أى شىء آخر فى الدبلوماسية،

بذل مجهود كبير. ويجب أن تفترض أن كلا من رغبة المتلقى فى التركيز على رسالتك وقدرة هذا المتلقى على استيعابها تكون محدودة. ومن ثم فإن تلخيص الفكرة يساعد القارئ أو المستمع. ويمكنك أن تستفيد إذا فكـرت فى بداية ووسـط ونهاية للفكرة. ففى البداية تتحدث عما ستفعله، ثم تفعله، ثم تنتهى بأن تذكر ما فعلته. وهذا الأسلوب يساعد على أن تركز ذهنك. وكان فرنسيس بيكون Francis Bacon رجل الدولة وكاتب المقال والفيلسوف والمفكر المنظم الإنجليزى يردد دائما بأن القراءة تصنع "رجلا كاملا" والمؤتمر (أو الخطبة) تصنع رجلا "مستعداً"، ولكن الكتابة تصنع رجلاً "مدققًا". كم مرة تحاول فيها أن تصنع فكرة على الورق، تدرك أن فكرتك ليست دقيقة بما فيه الكفاية؟ إن الكتابة تركز الذهن. وهى تساعد على إدراك متى يجب عدم إرسال الرسالة. وبعض أفضل الخطابات التى تكتبها هى التى لا ترسلها.

والوجه الآخـر للعملة هـو السؤال : "ماذا يمكن أن نحذفه؟". إنه لمن المدهش أن نعرف حجم ما يمكن حذفه، دون أن تتأثر الرسالة، بل بما فيه تعظيم لفاعليتها. وكتاب المسرح لديهم علم بذلك. وكذلك كتاب القصص البوليسية ومعدى الإعلانات. وقد سعدت بإعلان أخير عن شركة إيجل ستار للتأمينات باعتباره درسا عمليا فيما يمكن حذفه دون أن تفقد الرسالة قوتها. ومثالى الثانى، الذى يستحق الشكر عليه المندوبون المجهولون الذين عانوا معاناة طويلة فى مفاوضات الجات GATT (الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفات)، وهو مثال لكيف يمكن أن تتحدث لفترة طويلة دون أن تقول شيئًا.

فإذا كان معروفًا عنك أنك لا تسرف فى استخدام الكلمات فمن المحتمل أن تكون مقروءا وأن يستمع الناس إليك. ولكن الاختصار لا يأتى بسهولة. إن بليز باسكال Blaise Pascal عالم الرياضيات وعالم اللاهوت والمؤلف الفرنسى الذى اشتهر فى القرن السابع عشر هو الذى قدم الفكرة التى أصبحت مألوفة الآن من أن الوقت الذى يحتاجه كتابة خطاب قصير أطول من الوقت الذى يحتاجه كتابة خطاب طويل(٢).

ولكن هناك كلمة تحذير لابد من إضافتها. لا تضحى بالوضوح فى سبيل الاختصار. إن الاختصار هو مجاملة كبيرة للمتلقى لرسالتك. ومع هذا، فإن الوضوح أمر جوهرى، بل إنه أكبر مجاملة على الإطلاق.

فلنفترض أن الرسالة منظمة ودقيقة وكاملة - وأنها تمثل إنجازًا ليس سهلاً. ولنفترض أيضا أنه نتيجة لذلك أنها ستوحي للمتلقي بأنها متوازنة، وليس معنى ذلك القول بأنها لا تعبر عن آراء سديدة. كل ذلك شرط ضروري، ولكنه ليس شرطا كافيًا. فالرسالة يجب أن تتحلى أيضا بصفة المغناطيسية بحيث تجذب المتلقي إلى جوهرها. فالكاتب، له في النهاية ميزة كبرى على القارئ في أنه يختار الأرض التي يلعب عليها. فهو لهذا يحتاج إلى أن يضمن أن القارئ وضع قدمه على الطريق الصحيح وهو يشجعه على أن يستمر فيه. والجملة الأولى قد تبدو أساسية في هذا الصدد. وما يتبع ذلك لابد أن يبقى على الإحساس بالأولويات، والترتيب الزمني، وعلى تجميع الأفكار والآراء ذات الصلة. ويمكن تدعيم ذلك بالأمثلة والوصف والإضافة والتطوير والتنوع. ويمكن أيضا تقوية الرسالة بأن تؤدي دور محامي الشيطان Devil's Advocate (وسيلة في المحاكاة للتوصل إلى ما يفكر فيه الخصم والاستعداد له - المترجم) ثم تحذف حجج الشيطان بعد ذلك. ولكن لب الرسالة يجب ألا يغيب عن بؤرة الاهتمام. وأخيرا، تذكر أنه في هذه المرحلة فإن رسالتنا مازالت مسودة. بل إنه يمكنك أن تقول إنه إذا وصلت إلى الصيغة السليمة من أول مرة، فإن هذا يعني أنك لا تفهم المسألة. ربما في هذا شيء من المبالغة، ولكنها ليست مبالغة ممقوتة.

الشكل :

في أي نشاط أو أي منحى من مناحي الحياة يجد المرء أن بعض الأعراف Conventions تراعي وأنها وطدت نفسها على أنها أعراف مفيدة وملائمة. وقد يتساءل الإنسان لماذا وجدت هذه الأعراف؟ إنه من المفيد دائما أن نفحص العلة من هذه الأعراف، دون أن يعني ذلك بالطبع الالتزام بقبولها بشكل آلي. وفي العادة يجد المرء سببا وجيها لهذه الأعراف. ويجذبني تعريف للشخص المحافظ conservative بأنه الشخص الذي لا يعتقد أن والده أبله. وفضلا عن ذلك فإن الأعراف هي ببساطة مسألة تتعلق بالراحة. فهي متصلة بتخفيف حدة التوتر بل وتجنب الحروب. وعلى مستوى لا يتسم بالخيال، فإن أنماط السلوك لها أهمية. "فالبلهاء وحدهم الذين يسخرون من

آداب السلوك، فهى تسهل الحياة"، على حد قول أحد الفرنسيين الحكماء. وكالمعتاد، لدى شيكسبير شيء عميق بقوله فى هذه المسألة :

نح الدرجة جانبا، ولا تضبط الوتر

والنتيجة أنك ستستمع إلى نشاز(٣).

فمن المهم أن توجه ملاحظاتك إلى رئيس الجلسة، وأن تستخدم صيغة المجاملة "سعادة السفير" عندما تخاطب السفراء، إلا إذا كانوا يفضلون أن تخاطبهم بعبارة "السيد السفير"، كما أنه من المهم أن تراعى المجاملات المعتادة، حتى فى حالة أولئك الذين يكون لديك سبب وجيه فى أنهم ليس لهم الحق الأدبى فى هذه المجاملات. والمبرر نفسه ينطبق على احترام الأشكال العتيقة غير المألوفة فى المحادثة الدبلوماسية. فلأن المسألة تتعلق فى معظمها بمعاملات بين الحكومات والهيئات الرسمية، وقد تتضمن تعهدات رسمية وتفاهمات، فهناك ميل فى اللغة الدبلوماسية نحو الصيغ العتيقة النمطية، إن لم يكن نحو الصيغ الوقورة والفخمة. ويمكن الدفاع عن ذلك إلى حد ما، على أساس الدقة فيما يتعلق بالنصوص السابقة وغيرها من أشكال السوابق. صحيحٌ، أنه كما أن الجوهر يتأثر بالعملية، فإن المضمون يتأثر بالشكل. ولكن لا يعنى هذا أن الشكل يقيد المضمون بالضرورة. فالتعبير الفنى يؤيد فكرة أن إجادة الشكل يمكن أن يعزز القدرة على الإبداع بدلا من أن يخنقه، وعلى الوتيرة نفسها فإنه يقوى تأثير الرسالة التى تريد أن تنقلها بدلا من أن يضعفها. فإجادة الشكل يعطى مجالا لأصالة التعبير، ولتفرد التعبير. فالاستخدام الجيد لشكل مألوف، أو تنوع منه يجذب النظر، يمكن أن يضيف إلى التأثير. فالاستغلال الحكيم للشكل يمكن أن يحول العصا الغليظة إلى سيف مسلول. لقد كان هناك دافع الضرائب الذى تعود أن ينهى خطاباته إلى سلطات الإيرادات الداخلية بعكس التحية الرسمية المعتادة فى زمانه وهى "ودمتم يا سيدى" Sir،You are ، بصيغة "خادمى المطيع" My obedient servant . ولست متأكداً هل أدى هذا إلى خفض فواتير ضرائبه أم لا. ولكن مما لا شك فيه أن ذلك أسهم فى شعوره بالسعادة. ومن المثير للاهتمام أنه فى نهاية الحرب العالمية الثانية بحثت وزارة الخارجية هل تقوم بتغيير نظام صياغة البرقيات، ولكنها توصلت إلى "أننا قررنا عدم إدخال أى تغيير لأنه من المغالطة الاعتقاد بأن تحرير برقية يعوق التعبير المقتضب البليغ".

وفى هذه المحاضرة لن أخوض بالتفصيل فى أى شكل دخيل من أشكال الاتصال الدبلوماسى، مثل المذكرات التى تحرر بضمير المتكلم والتى يتداولها رؤساء البعثات فيما بينهم، أو المراسلات الرسمية بضمير الغائب وهى أيضا مراسلات شائعة فى الدبلوماسية. ففى بعض الأحيان يتغلب احترامهم للمراسم على إخلاصهم وصدقهم فى القول. فعلى سبيل المثال قد يعلن محررو هذه المراسلات أنهم لا يستطيعون أن يكفوا عن التعبير عن ثقتهم فى العلاقات الودية المستمرة بين الدولتين، بينما يعلم الجميع أن هاتين الدولتين تتربصان لبعضهما البعض. ولكن إذا كانت مثل هذه المجاملات الرقيقة تخدم فى تخفيف درجة الحرارة وتفتح الطريق لتلاقى العقول بدلا من قعقعة السلاح، فليس هناك أى سبب فى التخلى عنها. بل إننى أنوى أن أركز على أربع صيغ من النصوص الأقل رومانسية والأكثر عملية، والتى قد تخضع المضمون للشكل إلى حد ما، إلا أنها مثيرة للاهتمام إلى حد كبير بسبب مضمونها وهى: القرارات والبيانات المشتركة والإعلانات declarations ، ومحاضر الجلسات، والتقارير عن الاجتماعات أو عن الأحداث.

(أ) القرارات Resolutions :

إن الطريقة المعهودة التى تستخدم فى لقاءات متعددة عند تسجيل ما تصل إليه من نتائج هو عن طريق: القرار. فالأمم المتحدة، باعتبارها منظمة ونظام بوجه عام، كثيرا ما تلجأ إلى هذا النوع من النصوص. ولقد توصلت إلى شكل نمطى. ففقرات الديباجة تسرد خلفية القضية المثارة وتذكر المناقشات والقرارات السابقة كلما اقتضت الضرورة ذلك، بكلمات مثل "وإذ نتذكر هذا" recalling this ، وإذ "نلاحظ أن" noting that ، وإذ نعرب عن "قلقنا الشديد حيال" تلك deeply concerned at . والفقرات التنفيذية تسجل نتائج المناقشة. وقد تذكر الخلاصة التى توصل إليها المشاركون، وتقدم توصيات للحكومات أو غيرها من الأطراف ذات المصلحة، وقد تقرر ما يجب اتخاذه من إجراء بمعرفة الأمانة العامة مثلا، وقد تقر إجراءات ما وتمويلا لأى عمل قررت الإقدام عليه، وقد تضع نصا إداريا حتى تبقى المسألة قيد المراجعة وتعود إليها فى وقت لاحق. وكما لاحظنا فى المحاضرة الرابعة ، فإن القرارات الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة

ليس لها أثر ملزم على أعضاء المنظمة. (أما القــرارات الصــادرة عن مجلس الأمن، كما أوضحنا فى حالة أزمة الخليج الأخيرة، فقد تكون ملزمة إذا كانت الموافقة عليها تمت طبقا للفصل السابع من الميثاق). ولكن حتى وإن لم يكن لها تأثير ملزم، فإن قرارات الجمعية العامة، وخاصةً إذا صدرت بناءً على تصويت، يكون لها قوة أدبية باعتبارها تعبير عن الرأى العام العالمى، وباعتبارها حكم جماعى على مسألة مهمة. وبهذا تكتب دراسة القرارات ببعض الأهمية فى قياس الرأى العام العالمى. كما أن فن صياغتها وضمان قبولها يعتبر جزءا مهماً من ذخيرة الدبلوماسى.

(ب) البيانات المشتركة Communiqués والإعلانات Declarations :

يجتمع رؤساء الحكومات والوزراء هذه الأيام بشكل متكرر، بحيث أصبح من المرغوب فيه تسجيل ما يدور بينهم من مناقشات، بحيث يصدر فى بيان مشترك يمكن أن يوقعون عليه جميعا. ومثل هذا النص يتطلب إجراء مفاوضات مطولة بين الوفود حتى يستقيم الميزان. وفى أغلب الأحيان فإن تعقد موضوع المسألة المثارة، والرغبة فى إرضاء جميع الأطراف وضغط الوقت – فلا يمكنك فى الواقع أن تصوغ البيان المشترك قبل أن يناقش الوزراء المسائل، وهم لا يريدون أن ينتظروا طويلا بعد أن يفعلوا ذلك قبل الموافقة عليه – كل ذلك يأخذ أولوية على القيمة الأدبية للنص. وفى العادة لا يشار إلى البيانات المشتركة باعتبارها أفضل نماذج متوفرة للنشر. ولكنها تتيح معرفة متعمقة لما يجرى، حتى وإن كانت تحتاج إلى فك رموزها. وفى حالة الاجتماعات الدورية للمنظمات القائمة – مثل المجلس الأوروبى أو منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية OCED أو البنك الدولى وصندوق النقد الدولى، فإن إجراء مقارنة مع البيانات المشتركة التى صدرت بعد الاجتماعات السابقة تشير إلى ما قد يكون حدث تعديل فيه.

والإعلانات declarations لا تصاغ على عجل، ومن هنا فثمة احتمال أن تكون قيمتها الأدبية أكبر من البيانات المشتركة. وفى العادة تغطى الإعلانات موضوعاً واحداً وليس جدول أعمال الاجتماع ككل. وفى الغالب الأعم تخضع هذه البيانات لإعداد دقيق

قبل إصدارها بمعرفة الموظفين الذين يعملون نيابةً عن رؤسائهم على مستوى الوزراء. وإذا كان هذا الإعداد جيداً فإن النصوص بالتالي تكون أكثر إيجابية وحسما. وتقدم اجتماعات الدول السبع، أو المجلس الأوروبي أو رؤساء حكومات دول الكومنولث أمثلة جيدة عن ممارسة اختيار موضوع معين لإصدار إعلان يكون منفصلا عن نص البيان المشترك العام.

(ج) محاضر الجلسات Minutes of Meetings :

فى بعض الاجتماعات المهمة يكون هناك تسجيل حرفى لكل ما دار. ولكن حتى فى حالة عدم توفر ذلك، فقد يكون هناك تسجيلُ ملخصُ ونوعُ من أشكال التسجيل على شرائط للرجوع إليها عند الضرورة. ولكن مثل هذه التسجيلات قد يكون استخدامها محدداً فى الوصول إلى جوهر ما دار فى اجتماع ما من أجل الاستعانة بها فى توضيح أمر ما أو للاسترشاد بها. وبالطبع عندما تتم الموافقة على نص ما فإنك تعرف ما يحتويه بصورة أو بأخرى، إلا أنك تحتاج إلى دراسة متأنية للمصطلحات التى قد يستخدمها المندوبون فيما بعد لتوضيح أسباب تصويتهم على النص. وفى الأمم المتحدة فإن توضيح أسباب التصويت هو الوسيلة لتسوية الحسابات مع الدوائر المثيرة للشغب. فمثلا قد يوضح مندوب أنه على الرغم من تصويته منذ قليل على قرار يؤكد أن الطباشير مختلف عن الجبن، إلا أن حكومته تؤمن بالفعل أنه فى ظروف معين قد يكون هناك تماثل بينهما. وعندما تكون النتيجة غير واضحة فإن تسجيل المناقشات الذى يحتويه محاضر الجلسات يكون مفيداً. ولكن غالبا ما تكون المناقشات مسهبة وغير مقنعة لدرجة أن تسجيلها حرفياً كما قيلت لا يحقق غرضا مفيداً. ولهذا السبب فإن المديرين يصرون على أنه ليكون تسجيل اجتماع ما مفيداً، لابد أن يحتوى على القرارات التى تم التوصل إليها (أو تم التوصل إليها جزئياً)، وأن تسجل عند الضرورة القرارات التى كان يمكن اقتراحها حسب الروح السائدة فى الاجتماع، والتى كان بعض المشاركين يحلمون بالتوصل إليها. أى أن رئيس الجلسة، بمعنى آخر، يمكن أن يضمن، عن طريق المحاضر التى توزع عقب الاجتماع، نوعاً من الحسم الذى لم يتحقق فى الاجتماع نفسه، ويترك للحاضرين، عندما يطلعون على المحاضر فى المسودة، أن يعترضوا إن أرادوا على ذلك[٤].

وهكذا فإن نطاق صياغة المحاضر بشكل خلاق هو نطاق واسع، كما تم تسجيله فى السطور التالية :

والآن عندما ينصرف العظماء لتناول عشائهم.

فإن أمين الجلسة يجلس، وهو يزداد تضاؤلاً.

يقدح زناد فكره ليسجل ويكتب تقريراً.

عما يعتقد أنهم فكروا .

فيما كان ينبغى أن يفكروا فيه(٥).

(د) السجلات Records :

إن موهبة كتابة محاضر الجلسات تنفع فى المجال الأوسع لتسجيل المحادثات والمقابلات بوجه عام. وهناك منطقة رئيسية أخرى هى الإبلاغ عن التطورات، وإمكانات الدبلوماسيين فى الخارج الذين مهمتهم هى إبلاغ زملائهم بالوطن بمجريات الأمور باستمرار. وللدقة أهمية بالغة، وكذلك السرعة وأيضا القدرة على الانتقاء. فالإبلاغ بالحقائق والتعليق عليها أمران جوهريان. ولكن لابد أن يكون كل شيء واضحًا تماماً. فإذا كانت الحقائق غامضة، فيمكنك أن تعد بأن توضحها أكثر فى مرحلة سابقة. وإذا كان مصدر المعلومات مشكوك فيه، فلابد أن تذكر ذلك. وإذا لم تكن متأكداً أنك تفهم ما قيل لك، لا تخشى أن تسأل. وهناك صعوبات واضحة فى التعامل بلغة ليست لغتك الأصلية. كن حريصًا على تتبع الموضوع وفهمه جيداً فمن الأفضل أن تقلل من تقدير معرفتك بلغة أخرى، أو تسمح للآخرين بأن يفعلوا ذلك، بدلاً من أن تخلق الانطباع بأنك تجيد هذه اللغة بقدر أكبر من الحقيقة.

وأما عن التقارير، فاكتبها بشكل واضح على قدر المستطاع. واجعل الفقرات قصيرة. واستخدم عناوين جانبية إذا كان ذلك مفيداً. وابتعد عن الجمل المعقدة. وإذا لم تستطع أن تقرأ تقاريرك بسهولة، فمن المرجح أنها ليست واضحة كما يجب أن تكون.

وإذا أردت مرشداً جيداً فى إعداد التقارير، فليس عليك إلا أن تقرأ مقالات فى صحف ذات سمعة محترمة. لقد أعجبت إعجاباً شديداً بالطريقة التى يقوم بها كبار الصحفيين بعملهم. فهم يخرجون ويحصلون على المعلومات مباشرة من فم الأسد. وهم يقيمونها. وهم يصوغونها بطريقة تميز بين ما هو حقيقة وما هو رأى وما هو تفسير. وهم يفعلون كل ذلك فى إطار مواعيد محددة بدقة. والدبلوماسيون ليسوا فى منافسة مع الصحفيين. ولكنهم يمكن أن يتعلموا الكثير منهم.

(هـ) الأسلوب Style :

كلمة "الأسلوب" من الكلمات المرنة: فهى قد تعنى التميز والامتياز والأصالة والشخصية فى أى شكل من أشكال التعبير الأدبى أو الفنى. وجوهر الأسلوب يتمثل فى الفردية. وهو متطلب "إضافى"، وأضعه فى الدرجة الثالثة بعد المضمون والشكل، لأنه يحتوى فى النهاية على عنصر اختيارى. إن إضفاء المحسنات اللفظية على نص من أجل هذه المحسنات ليس هو بيت القصيد. فالمهم هو تقوية الأثر المواتى للنص بأن يضاف إليه جودة وبُعد بحيث يبدو للمتلقى أمراً فطرياً وطبيعياً، وليس أمراً مضافاً أو مفتعلاً.

لا تتهافت بحثاً عن الأسلوب. "الطهى غير المسبك" قد يكون أفضل. وإذا كان المضمون والشكل ملائمين، فإن الأسلوب سيعتنى بنفسه إلى حد كبير. ومرة أخرى فإن مسألة الصياغة لها أهمية خاصة عندما تستخدم لغة غير لغتك. ومن الطبيعى أن تحقيق الدقة والوضوح أصعب باللغة الأجنبية عنها بلغتك الأصلية. وأولئك الذين تعتبر اللغة الإنجليزية بالنسبة لهم لغة أصلية لديهم ميزة على زملائهم مما يبدو أنه يمثل ظلماً، وقد خطر لى أن اقترح فى اجتماعات الأمم المتحدة ألا يسمح لأى مندوب أن يستخدم لغته الأصلية. فهذا سيؤدى إلى اختصار المناقشات وسيكون لذلك ميزة إضافية هى توفير الوقت والمال. وأشك فى أن يلقى هذا الاقتراح تأييداً كبيراً. من المثير للاهتمام أنه تطور فى الأمم المتحدة ما يعرف "بإنجليزية المؤتمرات"، وهو شكل من أشكال الاتصال الذى يستخدم عدداً محدوداً من المفردات. ويساعد هذا على تحقيق الدقة دون زخرفة بلاغية، ولكن لا يضيف هذا بالضرورة إلى متعة الإنصات أو القراءة.

وحتى عندما تستخدم لغتك الأصلية، فإن الدقة أهم من البلاغة. ويمكن لبرامج مراجعة الهجاء الذى تقدمه نظم المعلومات أن يكون سلاحا ذا حدين. فهذه البرامج مثلا رفضت فى إحدى المناسبات حسب خبرتى كلمة "libretto" واستبدلتها بكلمة liberalism وقد أضفى ذلك على الجملة المعنية طابعًا فيه شيء من الغموض. (libretto معناه "النص" وبالذات نص كلمات الأوبرا أو الأوبريت بينما كلمة liberalism معناها التحرر الفكرى - المترجم).

ولروح الدعابة مكان فى الصياغة. فالمرء يمكن أن يكون جادًا دون أن يكون متزمتًا بلا داعٍ. ولكن النكات، هى أيضا من الأمور الجادة وخاصةً إذا كان هناك أكثر من لغة فليس من السهل ترجمة النكات. فالتورية إذا ترجمت تفقد تأثيرها المضحك.

ويمكن لتشكيل الحروف أن يكون اختياريًا كما يمكن أن يكون من القواعد المقبولة. وهناك شائعة بأن شباب الدبلوماسيين الفرنسيين يتلقون تعليمات عند التحاقهم بوزارة الخارجية الفرنسية بألا يستخدموا علامات الاستفهام أو التعجب على الإطلاق. ومعنى هذا - كما يقول أحد الساخرين - أن وزارة الخارجية الفرنسية لا توجه أسئلة إلى نفسها إلا قليلا، وأنها لا تشعر أبدًا بالدهشة.

(و) الجهد الجماعى

ونكرر أن الصياغة، هى عملية كتابة نص فى صورته المبدئية. ويعنى هذا أولاً، أننا لا نتوقع أن نحصل على النص النهائى من المحاولة الأولى، وثانيًا، أن عملية الوصول بالنص إلى شكله السليم هى عملية جماعية وليست فردية على الأرجح. وفى حالة أى مستند مهم فمن المؤكد أن العملية ستكون جماعية، وقد تكون شاقة وتستغرق وقتا طويلا. ومن المحتمل أن يبدأ شباب الدبلوماسيين العملية. فمن الجوهرى أن يكتسبوا عادة سؤال أنفسهم كيف سيبدو أول تقرير مبدئى فى أعين رؤسائهم، وخاصة إذا كان النص النهائى سيحمل اسم شخص آخر. هل سيحمل اسم السفير أو وزير الخارجية ؟ وكيف سيؤثر هذا على النص المبدئى؟ كيف يمكن أن تمزج المضمون الرسمى للنص المبدئى مع نوع المدخل أو الأسلوب الشخصى الذى تعرف أن السفير

أو وزير الخارجية يحبذه ؟ إذا كان النص غير شخصى، فهل يمكن - مع هذا - أن يمزج بين الإقناع والسلطة والدقة؟.

وإذا طلب منك أن تكتب النص المبدئى، فعليك أن تسهل على الآخرين أن يروا هل يتفقون معك أو لا يتفقون، ويمكن أن يساعد فى ذلك كلمة شرح ترفق بالنص المبدئى عند العرض، وبقدر كبر المساحة التى تتركها للآخرين للتعليق، بقدر ما يحتمل أنهم لن يستخدموا هذه المساحة. وعلى العكس فإن النص المبدئى إذا كان محكما قد يشق على من سيقرأه بعد ذلك، ويحفزهم على التعليق حيث لا حاجة حقيقية للتعليق. ومرة أخرى، فإنه بقدر دقتك فى التنبؤ بردود الفعل المحتملة لرؤسائك بقدر ما يزيد احتمال بقاء نصك المبدئى دون أن يمسسه سوء.

ولكن لا حاجة بك إلى الشعور باليأس إذا اختلف النص النهائى اختلافا كبيرا عن نصك الأصلى. وقد أكد فرانسيس بيكون أنه " كما أن الرماد أكثر تجدداً من التراب"، فإن خطأ معينًا من النقاش يمكن أن يكون أفيد فى توليد الأفكار أكثر من نص مبدئى محايد. وقد شرح شرلوك هولمز، وهو أعظم مخبر سرى فى الروايات، الأمر بشكل لاذع لمساعدة دكتور واطسن الذى كان يسىء معاملته بشدة قائلا: إننى وأنا ألاحظ أخطاءك فإن ذلك أحيانا يرشدنى إلى الحقيقة. فهناك بعض الناس، على الرغم من أنهم أنفسهم ليسوا مستنيرين إلا أنهم مع ذلك يقودون الآخرين إلى موصلات النور.

وقد استخدمت عبارة "الغربال المقلوب" لوصف النظام الذى بمقتضاه يتم غربلة الأوراق من المستويات الصغرى فى السلم الوظيفى إلى المستويات الأعلى. وبهذا تتمكن هذه المستويات الصغرى من أبعاد المستويات الأعلى عن الانشغال بهموم المسائل التافهة. ولكن الأمر لا يتم دائمًا على هذا النحو. فقد اتخذ سير هنرى تيلور **Sir Henry Taylor** رأيًا مختلفًا، وهو أحد المسئولين البارزين العمليين فى المكتب الاستعمارى فى منتصف القرن التاسع عشر. وفيما يلى رأيه فى هذا :

" إن للنقد الرسمى قيمة أساسًا عندما يصدر من الموظف الصغير على عمل الموظف الكبير، فهذا سيساعده على أن يزن التعليق دون أن يزعجه الانقياد لسلطة المعلق"[٦].

إن هذا تعليق منصف، إلا أنه فرصة مفتوحة أمام "صغار الموظفين". فكبار الموظفين الذين هم أقل ذكاء من سير هنرى تيلور قد لا يزعجهم الانقياد لسلطة المعلقين من صغار الموظفين، إلا أنهم قد يحملون على محمل السوء الصراحة المفرطة من جانب صغار الموظفين، خاصة إذا كانت تصيب الهدف تمامًا. لقد حذرتكم. (بمعنى: اللهم أشهد اللهم إنى قد بلغت – المترجم).

(١٠)

العقد الدبلوماسى (أو عشر قواعد للدبلوماسى)

فى كل الموضوعات تقريباً التى تهتم بالتفكير فيها، يمكنك أن تشترى كتاباً أو تقرأ مقالاً مفعماً بالتلميحات عن كيفية القيام بالعمل أو القيام به بصورة أفضل. وغالبًا ما تصمد القواعد العامة وحدها ويمكن بسهولة تذكرها بمساعدة بعض الإيضاحات أو بعض العبارات المنشطة للذاكرة . ولكن من المحتمل أكثر أن يكون لها قيمة باقية إذا واكبها إيضاح عما يكمن وراءها. وإلى هذا الحد يتم إيجاد صلة بين الممارسة والنظرية، وبهذا تستكمل المحاولات الجادة (أو بالأحرى الجريئة) لوضع النظرية وإيجاد صلة بينها وبين الممارسة. ولا تستثنى الدبلوماسية من هذا الوضع. ولهذا فإننى أنهى كلامى بقليل من "القواعد" التى تشير إلى الترتيب الرسمى للتخيل والتشخيص الذى حاولناه فى المحاضرات السابقة، وأنا أسمى هذه القواعد "العقد الدبلوماسى" Diplomatic Decade . والعقد ليس بالضرورة فترة عشر سنوات. فالعقد يمكن أن يكون أى مجموعة أو سلسلة عددها عشر. والمجموعة أو السلسلة يمكن أن تتغير إذا تغيرت الظروف والقواعد التى تأتى بعد ذلك، وقد تكون جيدة أو لا تكون. ومن المفترض أن السياسى المأثور يقول :"هذه هى مبادئى، فإذا لم تعجبكم فعندى مبادئ غيرها". ويعتبر الحق فى تقديم نصيحة جيدة من حقوق الإنسان الأساسية. وهناك حق آخر من حقوق الإنسان وهو حق رفض هذه النصيحة الجيدة.

(القاعدة الأولى) : لابد من وجود طرفين حتى يتم التفاوض :

يميل النقد إلى القول بأن الدبلوماسيين يؤمنون بأن كل شىء يمكن حله بالتفاوض، فى حين أن رجال الدولة قادرون على تقبل مواقف تكون فيها الخلافات غير قابلة للمصالحة. وهذا – على أفضل الفروض – نوع من التبسيط للأمور. فأى دبلوماسى مجرب يعرف أنه فى بعض الأحوال لا فائدة من أية محاولة للتفاوض. والمهم التعرف على هذه الأحوال، وبهذا لا تكون هناك آمال كاذبة بالاستمرار فى البحث عن مصالحة. ولا ينطبق هذا على القول بأن "لكل مشكلة حل"، وانما ينطبق هذا على مقولة بأن "لكل موقف نتيجة". ولا جدوى من تقديم أى تنازل، إذا كان الطرف الآخر، بدلا من أن يشجعه ذلك على تقديم تنازل مقابل، انما يفسر على أنه دليل على الضعف من جانبك، فيبدأ فى استغلاله للتقدم بمزيد من المطالب. ولكن الدبلوماسيين يعرفون جيدا أن الخلافات التى تبدو فى الظاهر غير قابلة للتصالح يمكن فى الغالب تسويتها إذا توفر الوقت والصبر والفهم وقوة التخيل. وأحيانا يكون الشك المتبادل والنفور الشخصى والضعف السياسى والصحة المعتلة، وحتى الإجهاد البدنى البسيط، من أهم الأسباب للوصول إلى مأزق دولى، أكثر من الاختلاف حول الصالح القومى "الموضوعى". فلا ينحصر الأمر فى فهم الأسباب الذاتية المتعددة للنزاع والخلاف التى تحدو بالدبلوماسى إلى رأب الصدع. إنه أيضا إدراك منه بالعواقب الوخيمة للروح العدائية التى تولدها الخلافات المفترض أنها غير قابلة للمصالحة، وهو إدراك يصر على بذل كل الجهود للسعى للاتفاق. وإذا كانت العملية المؤلمة لتحريك المياه الراكدة تعرض القائمين بهذه العملية للاتهام بأنهم سذج، أو أنهم يدعون الآخرين لخداعهم، فليكن؛ "لأنه لا يمكن أن يكتسب شىء إلا إذا كان محفوفا بالمخاطر" Nothing ventured nothing win .

ومقولة أن التفاوض يتطلب طرفين، هى مقولة يجب النظر إليها بشكل حركى (دينامى)، وليس بشكل ساكن (استاتيكى)، وليست المسألة هى هل جميع الأطراف مستعدون فى أية لحظة للتفاوض أو لا. وهى أيضا مسألة تهيئة ظروف يمكن فيها تغيير موقف يبدو ظاهرياً ألا أمل فى تغييره، إلى موقف يمكن فيه لكل الأطراف أن يروا ثمة فائدة فى التفاوض. فمن المهم التعرف على امكانية تهيئة هذه الظروف،

للتصرف وفقًا لهذا الاحتمال، وتشجيع الآخرين على أن يفعلوا الشيء نفسه. وبالطبع فإن هذا جزء لا يتجزأ من الوظيفة العامة للدبلوماسي. فإقامة الصلات وتطويرها تساعد على دعم الاتجاهات التي تؤدي إلى السعي للاتفاق وليس الابتعاد عنه.

القاعدة الثانية : المشكلة التي تؤجل يمكن أن تكون مشكلة قابلة للحل :

إن الدبلوماسي الذي يقدم مثل هذه المقولة يمكن أن يثير حنق دوائر معينة. ففي الحياة اليومية كثيرًا ما نواجه بإغراء بأن "نتشدد مع شخص ما"، أو نصر على أن مسألة بالذات لا يجب أن نتساهل فيها. ومثل هذا الموقف قد يكون فيه إشباع عاطفي ولكن غالبًا ما يكون خاطئًا. وفي السياسة أو الدبلوماسية يمكن أن يكون كارثيًا. فالشعور بالإحباط قد يكون هو أساس خطر في صنع السياسة. وسبب الإحباط قد يكون اختلافًا مستعصيًا بين أطراف النزاع. ولكن، كما يذكروننا دائمًا : "أسبوع هو وقت طويل في السياسة". والشخصيات تتغير والحكومات تتغير والمفاهيم تتغير، والأولويات تتغير. والخلافات الحادة قد تصبح مجرد خلافات. والخلافات قد تفقد أهميتها. وإذا كان على المرء أن يختار بين أسلوب التمني الذي اشتهر به ميكوبر Micawber بانتظار حدوث شيء ما من جهة ، وبين الالتجاء من جهة أخرى إلى المحاولة القاسية لتقرير أمر ما بين خصمين خلقته الظروف مثلما خلقه صميم الموضوع، فإنه يجب أن نفضل أسلوب ميكوبر[1]. فاحتواء خلاف قد يكون أحيانا هو كل ما يمكن إنجازه. وقد يكون إنجازًا غير بطولي. ولكن قيمته يمكن أن تكون كبيرة.

وبالطبع فإن احتواء الخلافات لا يكون بمجرد الاندفاع بطفاية الحريق عندما تشتد حدة هذه الخلافات. فالأهم هو البحث عن علامات المتاعب وإيجاد طرق لمنع المشكلة المطروحة من أن تنشأ. فالدبلوماسية الوقائية Preventive Diplomacy هي الفرع الأكثر اقتصادًا وكفاءة من فروع المهنة. ولكن هذا ليس بالضرورة ما يأتي بأعظم المكاسب في المهنة. وقد اشتكى أحد كبار الدبلوماسيين البريطانيين من أنه طبقًا للتقاليد البريطانية فإن الإنسان يحصل على تقدير عندما يستطيع أن يخرج بلده

من مواقف صعبة، أكبر من التقدير الذى يحصل عليه إذا حال دون تعرض بلده لمثل هذه المواقف الصعبة أساسا. ومع هذا فإن الأولوية للدبلوماسى يجب أن تنحصر فى احتواء المشكلة بمعنى محاولة حلها عندما تكون قد وصلت إلى نقطة الأزمة.

وقد يكون الحال أن أساسيات تسوية نزاع ما على أساس احترام مصالح الأطراف تصبح واضحة، حتى فى مرحلة مبكرة، على الأقل بالنسبة للغرباء. وقد يكون من الضرورى وجود وسيط للمساعدة لتوضيح ذلك للأطراف المعنية. وبهذا المعنى قد يقتضى الأمر وجود ثلاثة أطراف ليتم التفاوض: الوسيط وطرفا النزاع. وقد يقتضى الحال أيضا أن تكون طريقة تسوية النزاع واضحة للأطراف انفسهم، ولكنهم لسبب أو لآخر يمنعون من استخدامها. وقد وضع سير أنطونى بارسونز **Anthony Parsons** السفير البريطانى الأسبق فى الأمم المتحدة "نظرية بارسونز" التى تقرر أن أى نزاع يمكن حله عندما تصل الأطراف - فى وقت واحد - لأسباب خاصة بهم - إلى نتيجة بأن الوقت قد حان للتسوية على أساس شروط كانت متاحة منذ وقت طويل. واللازمة لهذا الطرح هى أن المجتمع الدولى يجب، باستخدام هذه الوسائل باعتباره جماعة اتصال - على سبيل المثال - أن يعملوا على التوصل إلى تسوية المنازعات والاحتفاظ بأساس الاتفاق على أهبة الاستعداد للاستخدام فى الوقت الذى يشعر فيه كل طرف بأنه آن الأوان للتوصل إلى تسوية. وقد لا يكون فى هذا تصوير مباشر للقاعدة السلوكية القائلة بأن المشكلة التى تؤجل عن وعى قد تكون هى المشكلة القابلة للحل. وهذا، على أى حال، تذكرة بأن عنصر التوقيت قد يكون أكثر مراوغة من الجوهر. وهناك قول مأثور عن الحكم **government** يقول إن كل شىء يستغرق مدة أطول مما كان متوقعًا له بشكل معقول. ولا يعنى بالضرورة أن نكون انهزاميين إذا راعينا ما يحمله هذا القول لنا.

القاعدة الثالثة : لكل شىء تاريخ طويل :

لقد سبق أن أشرنا إلى التأكيد بأن رجال الدولة مشغولون بصنع التاريخ حتى إنه لا وقت لديهم لكى يتعلموا منه. ولكن الدبلوماسيين قد لا يسمح لهم بهذا التقصير. ولا يعنى هذا ببساطة ان حقائق أى موقف معين لا تمتد جذورها فى تعقيدات الماضى وصعوباته فحسب، بل يعنى أيضا أن مفاهيم الماضى تؤثر بقوة على اتجاهات الحاضر.

وأحد التعريفات الأكثر إثارة للخيال والخاصة بالأمة هى أن الأمة ما هى إلا "مجتمع الذاكرة" a Community of Memory . وفضلا عن ذلك فإن "الذاكرة" ليست مرادفًا فى هذا السياق لدقة التذكر. فالوعى الجماعى بأخطاء الماضى أو صعوباته، وما يستتبعه ذلك من كتمان التظلمات فى الصدور قد لا يضعف من كونها قائمة على أساس واه. والعكس قد يكون صحيحًا فى الغالب. وعلينا أن نفهم لماذا يفكر الناس ويتصرفون بالطريقة التى يفكرون فيها ويتصرفون. ولا يعنى هذا أننا نحتاج إلى أن نوافق على قراءة الآخرين الخاطئة أو المجزأة للماضى. وليس شعارنا "أن فهم كل شىء معناه أن نغفر أى شىء" : "est tout pardonner'tout comprendre" ولكن الفهم الجيد لسوابق أى قضية معينة أمر جوهرى لإمكان اتخاذ إجراء حكيم بشأنها.

وفى عبارات بيروقراطية، نحتاج إلى التأكد من حقائقنا وتواريخنا واقتباساتنا. ونحن فى حاجة إلى أن تجمع أوراق المراجع بطريقة تظهر الصعوبات وتشير إلى طريق الحلول. ومن السهل أن نقلل من قيمة النفوذ الذى يمكن أن يتمتع به أعضاء السلك الدبلوماسى الصغار فى صنع السياسات حيث إنهم يقدمون خلفيات أى موضوع فى شكل متماسك ومفيد. وقد أكد سير هنرى تيلور – الذى ذكرنا عنه فى نهاية المحاضرة السابقة – أهمية الملخصات summaries أو التلخيصات "abridgements" كما يحب أن يسميها ، وأضاف أن "الذى يقوم بالتلخيصات يجب أن تكون(٢) له يد خبير ويجب أن يسمى رجل دولة statesman وليس مجرد كاتب يقوم بالتلخيص precis writer ... وأن من يتناول مسألة بهذه الطريقة، هو بوجه عام صاحب القرار فيها".

وكما أن قانون السوابق والأحكام القضائية هام فى الفقه القانونى، فإن السوابق مهمة فى الممارسة الدبلوماسية. وقد تمت مناقشة أهميتها فى الصياغة فى المحاضرة السابقة. أما عن المضمون، فقد أشرنا فى المحاضرة الثالثة إلى العوامل التى يجب أن تضعها محكمة العدل الدولية فى الاعتبار عند التعامل مع المنازعات المشارة إليها. وهى تشمل "العرف الدولى، باعتباره دليلاً على ممارسة عامة تقبل باعتباره قانونًا" و "القرارات القضائية وتعاليم خبراء القانون المشهور لهم بالكفاءة العالية فى مختلف الدول". ولهذا من الواضح أن المعرفة التفصيلية بالتاريخ القديم لأى مسألة تتصل بفهم مادتها فضلا عن العملية التى تطبق عليها.

ومع هذا فإن هناك نقطة تقف عندها فائدة "السابقة" precedent ويقال إنه فى موقع قنصلى للولايات المتحدة فى إحدى الدول الإفريقية كان هناك نقص فى عدد الموظفين السلكيين (أعضاء السلك الدبلوماسى والقنصلى) للولايات المتحدة فبدلا من أن يكون هناك ثلاثة موظفين كما هو المعتاد لم يكن هناك غير موظف واحد. وأراد هذا الموظف الذى يعمل فى الموقع الأمريكى وحده أن يقوم باجازة. ورفض طلبه على أساس مفهوم بأنه لا توجد سابقة على ترك موقع بدون بديل يكون موظفًا مقيمًا تابعًا للولايات المتحدة. وبعد رفض طلب الاجازة، تلقت وزارة الخارجية الأمريكية برقية مختصرة من الموظف الوحيد جاء فيها: "الآن أصبحت هناك سابقة".

(فقد قام الموظف بالإجازة تاركًا موقعه بدون بديل وبهذا أصبحت هناك سابقة لا يمكن لأحد أن ينكرها – المترجم).

القاعدة الرابعة : نظرية الاضطراب فى السياسة هى دليل أفضل بوجه عام من نظرية المؤامرة :

يجب على كل دبلوماسى أن يتذكر التحذير الذى أطلقه رجل الدولة والإدارة السويدى المرموق فى القرن السابع عشر كونت أكسل أوكسنستيرنا Count Axel Oxenstlerna لابنه، الذى كان أحد ممثلى السويد فى المفاوضات التى أدت إلى صلح وستفاليا عام ١٦٤٨: "ألا تعرف يابنى كيف أن العالم يحكم بقليل من الحكمة ؟". إن تصرفات الحكومات قد يتم ترشيدها بعد الحدث. ولكن هذا لا يعنى بالضرورة أن القرارات التى ستستخدم ستكون رشيدة عندئذ. والمذكرات والسير الذاتية والأعمال التاريخية العامة قد تسعى إلى شرح العوامل التى شاركت فى وضع سياسة معينه أو اتخاذ تصرف ما بشىء من البحث الدقيق والمنطق. ومع هذا فبقدر الافتراض بوجود نوع من الرشد من جانب صانعى القرارات فإن هذه الأعمال توغل فى الأمور المجردة أكثر من تمسكها بالأمور الملموسة. فالشئون الدبلوماسية المتجانسة ليست أكثر واقعية من الشئون الاقتصادية المتجانسة. والدور الذى يلعبه الحظ والمصادفة والمنافسة المدمرة للطرفين، والتشتت، والجهل والإرهاق، والمرض، وحتى النزوات أحيانا، قد تكون من الأمور الحاسمة، والصعبة فى التقييم وغير المرضية فى تقبلها كتفسير للأحداث.

وليس هذا ببساطة أمر يتعلق بالدقة التاريخية. فالمغزى العملى يكمن فى تقديم السياسات الحالية للحكومات. فعندما كانت الحرب الباردة فى أوجها، كان هناك إغراء دائما بأن ينسب إلى حكومة الاتحاد السوفيتى أنها تتميز بتماسك وعلم بكل شىء وقدرة على أى شىء فى إدارة السياسات فى الخفاء والعلن. ولكن بفضل "الجلاسنوست" (وهى السياسات التى جاء بها الزعيم السوفييتى جورباتشوف عام ١٩٨٥ وحاول بها إصلاح الاتحاد السوفييتى سياسيًا واقتصاديًا – المراجع)، استطعنا الآن أن نرى أن الحقيقة مختلفة تمام الاختلاف. وهذا مجرد مثال صارخ عن الخطإ فى أن تنسب إلى حكومة ما قدرات تآمرية تفوق طاقة البشر، بينما يكمن التفسير الحقيقى لأعمالها فى الجهل والارتياب والفساد وعدم الكفاءة. فالعالم ليس مليئًا بأتباع مكيافيللى. بل إنه يحتاج أكثر إلى أفضل قنوات اتصال المعلومات بين أولئك الذين عليهم مسئوليات متفاعلة. إن المثل يقول "إن علاقاتنا قائمة على الثقة والتفاهم. فأنت لا تثق بى، وأنا لا أفهمك". وهذا موقف ينبغى على الدبلوماسيين أن يؤدوا دورهم كاملاً فى تجنبه.

وحتى إن لم تفهم موقف متحدثك، فيجب عليك أن توضح له أين تقف بما لا يدع مجالا للشك (أو ما ترغب فى أن يتصور أنه موقفك، ولا يمكن إنكار الدور الذى يلعبه أحيانا الغموض البناء أو التوتر الخلاق). وإنها لفكرة طيبة أن تقدم نصا – على شكل وريقة (ورقة صغيرة) أو مفكرة أكثر رسمية – بحيث يتضح موقفك بدقة، وبحيث لا يكون فهم هذا الموقف عند المستويات العليا لحكومة محدثك متوقفًا على مدى فهم متحدثك أو مدى الاعتماد عليه وحده.

القاعدة الخامسة : فكر فى الالتفاف حول المشكلة بقدر ما تفكر من خلالها :

إن "المبادئ" التى ناقشناها فى هذه المحاضرة حتى الآن تشكل تحذيرًا جماعيًا ضد مدخل للدبلوماسية يبالغ فى المعقولية. إن مفهوم قدرة السياسات قائم على تحليل وتشخيص صارمين. ولكن العمل الفعال يتوقف أيضا على ملكة خاصة وقوة فى التخيل والتحلى بالصبر، إلى جانب الخبرة. والوقت والطريق الحكيم هو – مرة أخرى – الطريق المائل وليس المباشر. ومنذ عدة سنوات ميز فيلسوف كمبردج : ألفرد نورث هوايتهد Alfred North Whwithead بين "الذكاء" و"المقدرة". ووصف "الذكاء" بأنه سرعة الفهم،

بينما "المقدرة" هى القدرة على التصرف بحكمة فيما يتعلق بالشىء المفهوم. ويرى هوايتهد أن المقدرة بهذا الوصف أندر من الذكاء. وإذا كان هذا صحيحًا بالنسبة للبشر، فإنه أصح بالنسبة للحكومات وللهيئات الضخمة فى عصر زادت فيه سرعة فهمنا بسبب تدفق المعلومات، وإن عاق قدرتنا صعوبة معالجة هذه المعلومات. والحكمة ليست مستمدة من المنطق وحده. فعلينا أن نفكر فى الالتفاف حول مشكلاتنا بقدر ما نفكر من خلالها.

ولنعد إلى المزج المعتاد الذى لا فكاك منه بين المضمون والعملية. فبالنسبة للمضمون، من الحيوى فحص الافتراضات التى تقوم عليها معالجة مسألة ما، وهى ربما مستترة أكثر منها واضحة. وفى الأغلب الأعم فإن هذه الافتراضات لا تخضع للفحص الدقيق. وهناك افتراضات بديلة قد تؤدى إلى خطوط مختلفة من التحقق. وكلما أمكنك أن تستخرج بوضوح أكثر الاحتمالات المختلفة والمزايا النسبية لخطوط العمل التى تشير هذه الاحتمالات إليها، كلما استطعت أن تكون مفيدا أكثر لرؤسائك.

إن السياق الذى يمكن أن تساق فيه توصية أو يتخذ فيه قرار أمر حيوى. فالاعتبارات طويلة الأمد قد تكون مختلفة عن الاعتبارات قصيرة الأمد. وقد تزداد العقبات أو تقل مع الزمن. وقد يكون للشخصيات أثر هام. فهم يتغيرون. والإشارة إلى العقبات التى تعترض مسارًا مرضيًا فى العمل ربما يكون عملا غير بطولى أو حتى مكروها. "فالبيروقراطى هو الشخص الذى يجد صعوبة فى كل حل". ولكن تبقى حقيقة أن المدخل "الخطى" linear المستقيم لمسألة واضحة ظاهريًا قد يكون أمرًا غير مثمر وقد يجانب الحكمة.

أما عن العملية، فإن مدى ضرورة الالتفاف حول مشكلة ما، بقدر ما تفكر من خلالها، إنما يوضح بلا شك ظهور كتابات كثيرة وشيقة عن كيف تحقق هدفك بالوسائل غير المباشرة. والخبرة فى الإجراءات تعنى إجادة المدخلين: المدخل المباشر ومدخل الالتفاف. وقد يكون من المبالغ فيه القول بأن هذه الحيل الإجرائية أو الخطوات التمهيدية من الأمور الجوهرية فى إدارة الأعمال. ولكن من غير الواقعى أن نتخيل أن الاتفاق الذى يتم التوصل إليه بين الأمم إنما يقوم فقط على أساس المناقشات المباشرة و"العقلانية".

وعلى مستوى أكثر عملية من المفيد أن تكون قادراً على أن تميز متى كان الآخرون الذين تتناقش معهم يلجأون إلى الحيل الإجرائية والخطوات التمهيدية. فالإنذار المسبق هو بمثابة التسلح المسبق.

وليس هناك مثال أكثر امتاعًا عن النصيحة الاجرائية من كتاب ضئيل الحجم بعنوان : Microcosmographia Academica وهو مرشد للسياسي الأكاديمي الشاب، وقد كتبه عام ١٩٠٨ ف. م. كونفورد F .M. Conford ، وهو من العلماء الكلاسيكيين المتميزين في جامعة كمبريدج. ونقطة الانطلاق عند كونفورد هي أن هدف السياسة في الجامعة هو منع اتخاذ أى اجراء، على الأقل قبل أن يوافق كل شخص على أنه لابد من اتخاذ هذا الإجراء (وعلى الأرجح يتم ذلك بعد أن يكون قد سبق السيف العزل). ولهذا السبب أصدر سلسلة من الاستراتيجيات لمعارضة أى ابتكار. وأنا شخصيًا يمكن أن أشهد على أن استراتيجيات كونفورد تستخدم في كثير من المناقشات حول الشئون الخارجية، ولكن نادراً ما يتم ذكر المصدر، كما أن ذلك لا يحدث دائمًا بالكفاءة الكافية.

القاعدة السادسة : الدبلوماسية لها طابع انسانى وليست مجرد نشاط ذهنى cerebral :

تتطلب الدبلوماسية قدراً كبيراً من النشاط الذهني. ولكنها لا تتوقف عند ذلك. كما أنها تتطلب التمرين على جميع الصفات الشخصية تقريبًا. فأنت تتعامل مع بشر، وأنت نفسك بشر مثلهم. ويستدعى تفاعلك مع الأخرين كل المهارات والصفات التى تمتلكها والتى يمتلكها الآخرون. والخطباء والوعاظ والدعاة والممثلون والموسيقيون يعلمون أن الأثر الذى يتركونه فى نفوس المستمعين هو نتيجة لكثير من العوامل، أقلها ما يظهرونه من إخلاص وإقناع ودفء. وينطبق الشيء نفسه على الدبلوماسية، فصفاتك الإنسانية قد تكون فاصلة. فإن لم يكن لديك اهتمام أصيل بالآخرين، فإن الآخرين سرعان ما يدركون ذلك. وقدرتك على إقناع الآخرين هى وظيفة للاحترام الذى يعتقدون أنك تشعر به نحوهم.

والقدرة على إشعار الآخرين بالاحترام والعاطفة يتم بناؤها بالتدريج ولا يتحقق ذلك بين يوم وليلة، والتبرير الذى يعطى لاستمرار التمثيل الدبلوماسى فى دولة أخرى أو على مستوى واسع من المنظمات المتعددة الأطراف هو زيادة التأثير الذى يمكن أن يتحقق فى التأثير على من تحدثهم على الصعيدين الإنسانى والفكرى. وليس هذا طريقا ذا اتجاه واحد. وليس دليلا على الضعف أن تتأثر بالآخرين، بل إنه جزء من عملية مفيدة للطرفين تساعد على انسجام مصالح الدول المختلفة.

والمشاركة فى الجهد المشترك، وهو ما يميز عمل البعثات فى المنظمات الكبرى، يمكن أن يحدث الكثير لبناء الدرجة الضرورية من الثقة والائتمان. ويختلف عمل السفارات المعتمدة لدى الحكومات فى العواصم اختلافًا طفيفًا فى أن هناك علاقة وظيفية متباينة. ذلك أن ممثلى الدولة الموفدة هم بطبيعتهم الذين لديهم طلبات. ولكن لديهم أيضا ميزة أنهم أجانب، ومتميزون. ويعطيهم هذا مجالاً إضافيًا للتأثير على أولئك الذين يتصلون بهم. وفى الوقت نفسه، فإنه كلما استطاعوا أن يندمجوا بطريقة أو بأخرى بالدولة التى أوفدوا اليها، بدون - بالطبع - أن ينسوا الدولة التى يخدمونها، والتى من واجبهم أن يحافظوا على مصالحها، كلما كان تأثيرهم أكبر باعتبارهم دبلوماسيين، وكلما زاد استمتاعهم بعملهم.

وغالبًا ما تكون حفلات الترفيه الرسمية هى هدف لتندر العامة، ومع هذا فإن تأثيرها باعتبارها وسيلة لاتمام المعاملات، هو الذى سيضمن استمرارها. وفى الدبلوماسية الحديثة فإن الترفيه يأخذ عادة شكل حفل استقبال أو "بوفيه"، حيث يمكن إجراء أكبر قدر من الاتصالات الشخصية بسرعة ونسبيا بتكاليف غير باهظة، أكثر من حفلات الغداء أو العشاء، وحيث تتاح الفرصة لمحادثات غير رسمية مع عدد أصغر. ومع هذا، فإن القول بأن "تقديم الطعام هو روح الدبلوماسية" يبقى باعتبارها حقيقة جوهرية. فلا بديل للتحدث مع الزملاء الدبلوماسيين على أرض وطنهم. فهذا يمكن أن يبنى فهما مشتركًا واحترامًا متبادلاً، ويتيح ذلك فهما جديداً لدوافعهم. يقول بريلات - سافارين **Brillat-Savarin** وهو أكبر الذواقة الفرنسيين للطعام: "قل لى ماذا تأكل، أقل لك من أنت". ويمكن أن يقال الشىء نفسه عن الكتب التى يقرأها شخص ما، ويقال أكثر من ذلك عن بيته.

القاعدة السابعة : يجب أن تكون مستعدًا لإحلال الالتزام محل الانعزال :

قد تبدو هذه القاعدة – إلى حد ما – متناقضة مع القاعدة السابقة. فإذا كانت فاعلية الدبلوماسى هى دالة لقدرته على المشاركة الوجدانية، وعلى أن يراه الآخرون مشاركًا وجدانيًا مع بلده الذى يخدمه، ألا تكون هناك مغالاة فى حق الطبيعة البشرية اذا أصررت فى الوقت نفسه على أهمية الانعزال ؟ الاجابة هى أن فى ذلك فعلا مغالاة كبيرة. ولكن هذا أمر لا فكاك منه اذا وضعنا فى الاعتبار طبيعة العمل الدبلوماسى. فمنطق التحليل فى هذه المحاضرات لا يكمن فحسب فى أن هناك حدودا للنشاط الدبلوماسى المفيد فى أية ظروف بعينها، وانما أيضا فى أنه قد تكون هناك تغييرات فى هذه الظروف. وباعتبارها نتيجة لذلك فإن جهد المرء كله قد يبدو أنه ذهب هباء. فانتهاك العلاقات الدبلوماسية، بما فى ذلك إغلاق البعثات الدبلوماسية، هو مثال صارخ على ذلك. وتغيير الحكومة فى الدولة الموفدة أو المستقبلة قد تتبعه تغييرات جوهرية فى السياسة، مع تأثير مهم على السلوك العام للعلاقات بين الدولتين. وأى دبلوماسى قد يكون مضطرا إلى التكيف بين يوم وليلة، فيتحول من الاندماج فى المجهود إلى التخلى عن بذل المجهود دون أن يطرف له جفن.

وهذا التقارب بين الانعزال والالتزام ليس مسألة جلد أو صبر على حظ عاثر عندما يحيق بالانسان، فهو يؤثر على التوازن الذى يجب أن يحتفظ به الدبلوماسى.

فالدبلوماسية، كما توصف غالبًا، هى أسلوب حياة وليست مجرد وظيفة. وفى هذا الصدد فإن الدبلوماسية تشترك فى هذا مع بعض المهن الأخرى ولكنها غالبًا ما تختلف عن المهن الأخرى فى درجة "المسئولية المحدودة" التى تتطلب توافرها فى ممارسيها. فالدبلوماسى المعين فى منصب فى الخارج يجد نفسه فى موقف مصطنع إلى حد كبير فهو يعتمد على اتفاق محدد بين الحكومات وعلى اتفاقية وعلى سوابق. وهذا الاصطناع قد لا يبدو ذا صلة فى كثير من الأوقات. ولكنه موجود. أحيانًا يكون له أهمية جوهرية.

وتتطلب الخدمة الدبلوماسية المحترفة من أعضائها استعدادًا لتغيير المناصب، أو الدول، أو التخصصات، فى فترات منتظمة أو غير منتظمة. وهذه التغيرات قد لا تحكمها المتطلبات الذاتية للمسائل أو الظروف التى يجد الدبلوماسى نفسه منغمسًا

فيها فى وقت ما. فقد تكون استجابة لمتطلبات الخدمة الدبلوماسية، أو التقلبات التى لابد أن يحسب حسابها. فحياة الدبلوماسى فى الخارج تحكمها أولويات واهتمامات فى ديوان عام وزارة الخارجية وقد تكون مدعاة للحيرة إذا نظر إليها عن بعد. فالمرء يجب أن يوطن نفسه على أن يتلقى من آن لآخر تعليمات تبدو مقيدة أو قد تؤدى إلى ضياع فرص. ولكن لا يمكن الالتفاف حول ذلك. فعلى المرء أن يكون ممتنا لوجود الفرصة للإسهام بشكل مفيد، بدلاً من أن ينعى ما يبدو أنه حرمان من فرصة للوصول شخصياً ببعض الجهود إلى نتيجة ناجحة. وقد نحقق على مدى مهنتنا بعض الأشياء فى هذا الصدد. ولكن ليس هذا هو الهدف المحورى لمهنتنا. ولنتذكر أن سير ارنست ساتو قد عرّف الدبلوماسية بأنها "تطبيق الذكاء والمهارة فى إدارة علاقات رسمية بين حكومات دول مستقلة"، وهى شأن مجرد من الهوى، ومجهول الاسم، تتطلب منا أفضل ما فينا فى كل وقت، حتى وإن قادنا ذلك – وهو نادرا ما يحدث – إلى جائزة مرئية تتمثل فى عقود تصدير ضخمة، أو إلى عقد معاهدات تصحبها مظاهر ابتهاج من الجماهير.

القاعدة الثامنة : أحبب ما تحصل عليه بدلاً من أن تسعى دائمًا إلى الحصول على ما تحب :

إن أولئك الذين يتمتعون بموهبة غير عادية وقدرة على استخدامها ، قد يقدمون عند القيام بمجهود معين، على تثبيت عيونهم على أعلى منصب يمكن الحصول عليه ، بل وأن يشقوا طريقهم لتحقيق ذلك بنجاح. والغالبية العظمى منا توجه إليهم نصيحة أفضل بأن ينظروا إلى ذلك باعتباره سياسة محفوفة بمخاطر عالية من الممكن أن تحدث صداعًا ولا تحقق إرضاء. وربما لا يظهر هذا فى أى مهنة أخرى كما يحدث بوضوح فى الدبلوماسية، بكل ما فيها من أمور غير يقينية أو من الصعب التنبؤ بها. وهناك قدر معقول من الطموح يتمثل فيما تتوقعه الخدمة الدبلوماسية من أعضائها المعينين حديثًا. ولكن من الأفضل أن يتم متابعة هذا الطموح بوجه عام وليس تحديداً. فمن التجارب الشائعة أن المنصب الذى يسعى إليه الإنسان لمدة طويلة ينتهى عند الوصول إليه بشعور بخيبة الأمل أو هبوط التوقعات. وعلى العكس فإن منصبًا يجىء من حيث

لا يحتسب الإنسان قد يثبت أن فيه عوامل جاذبية ومصالح لم تكن متوقعة تماما. والوصفة لمستقبل وظائف سعيدة ومثمرة لمعظمنا هو ألا تكون لدينا أفكار عظيمة مسبقة عن الوظائف التي يجب أن نحاول أن نشغلها ونضمن استمرارها، بل يجب أن نضع المهام التي نكلف بها في إطار ذهني إيجابي. والاندماج في السؤال عن أين نتجه بعد ذلك يمكن أن تلهيك عن تقديم أفضل ما لديك فيما تقوم به الآن. فالفرص تدق على الأبواب بطرق غير معتادة تماما. وأولئك الذين يسحبون ما يبدو أنه قشة قصيرة قد يكونون هم الفائزون. وإني لأتذكر ظروف زيارة في الخريف للمملكة المتحدة منذ سنوات قام بها نائب رئيس الولايات المتحدة. وكان من المقرر أن تهبط طائرة نائب الرئيس في مطار هيثرو بلندن، وذهب جميع أعضاء السفارة الأمريكية بقضهم وقضيضهم لينتظروا وصولها. وكان فصل الخريف العليل مغلقًا بالضباب الرقيق والشبورة، وتم إرسال أحد أعضاء السفارة من الشباب إلى مطار جاتويك (بالقرب من لندن) باعتباره نوعًا من الاحتياط. ولعن الشاب حظه العاثر، إلا أنه حدث فعلاً أن طائرة نائب الرئيس تحولت من مطار هيثرو إلى مطار جاتويك. وسعد الدبلوماسي الشاب بصحبة ممتعة وجها لوجه مع نائب الرئيس الأمريكي في القطار إلى محطة فيكتوريا، بينما كان رؤساؤه يهرعون من مطار هيثرو وهم في حالة اكتئاب. وكان لهذا أثر كبير على مستقبله الوظيفي.

إن بعض النباتات تترعرع إذا قمت أحيانا بالحفر حولها ورفعها وتشذيب جذورها ثم إعادة زرعها في مكان آخر. ولكن بالنسبة لنباتات أخرى فمثل هذه المعاملة تؤدي إلى موتها. والدبلوماسيون إذا أرادوا أن يكونوا سعداء، يجب أن ينتموا إلى الفئة الأولى، وليس الفئة الثانية. والشيء نفسه ينطبق على زوجات الدبلوماسيين أو أزواج الدبلوماسيات وعائلاتهم. وليس هذا صحيح فقط بالنسبة للتمتع الحالي بالحياة. إن هذا مفتاح لبناء مستقبل دبلوماسي. وإن ما يحدث من تمزق وتقلبات يتم تقديره فيما بعد. وأن القلق الذي نتقاسمه مع البشر الآخرين إنما يتمثل في أننا لا نستطيع أن نفهم حياتنا إلا إذا أعدنا النظر إلى ما مضى منها. ولكن علينا أن نعيش حياتنا وأنظارنا متعلقة بما هو آت وليس بما مضى.

القاعدة التاسعة : لا تنسق وراء زخارف الحياة الدبلوماسية :

"تعامل مع عملك وليس مع ذاتك، بجدية". فهناك قدر كبير من الحقيقة فى هذا القول. فاحترام الذات الضرورى والطموح يجب أن يواكبهما روح مرحة وابتعاد عن الغرور. فالغرور عند الآخرين يمكن استغلاله ضدهم بسهولة. فهو ضعف يجب أن نحذر منه دائماً. وفى التمييز الذى نما بحق بين أدوار الوزراء المنتخبين والمسئولين المعينين، فإن الدعاية والمجد والتصفيق والهتاف أمور تعود الوزراء على تقبلها بينما يحرم منها غيرهم من المسئولين. وهذا نظام مفيد للمسئولين. ولكن لن أتكهن بتأثيرها على الوزراء.

وعلى الرغم من أن الدبلوماسية هى الآن أقل سحراً وجاذبية عما كانت عليه فى الماضى، فإنها ما تزال تضفى على كيار ممارسيها قدراً عظيماً من الشرف والتكريم. و"صاحب السعادة" H.E. (His Excellency) هى صيغة فى مخاطبة السفراء يجب أن نتقبلها باعتباره دلالة على احترام بلد الدبلوماسى وليس تقديراً لصفاته وقيمته الشخصية. وأعترف أن الأمر استغرق معى وقتًا قصيراً للتعود على ذلك. وكنت أتلفت حولى فى الغرفة لأبحث عمن يوجه إليه هذا اللقب الرفيع. (يطلق لقب His Excellency) فى العالم على: رئيس الجمهورية وتترجم: "صاحب الفخامة"، وعلى رئيس الوزراء وتترجم : "صاحب الدولة"، وعلى الوزير وتترجم: "صاحب المعالى"، وعلى السفير وتترجم: "صاحب السعادة" – المترجم). وقد تجد نفسك مرتديا زيا غير ملائم وتشعر أن مكانك يجب أن يكون بين صفوف جمعية لهواة الأوبرا أو المسرح. وقد تجد نفسك أيضاً، وأنت تؤدى واجباتك الخاصة بالتمثيل الدبلوماسى، خاضعاً لشتى أنواع المعاملة المتنوعة، والتى يرجع بعضها إلى تردد وعصبية أولئك الذين يستقبلونك أو يضايقونك. لا تتمسك بالرسميات. فالأهم هو أن تجعل مضيفك يشعر بالراحة والاطمئنان. وعندما تكون الحفلة جلوساً لا تهتم بأين تجلس: "فحيث يجلس السفير يكون رأس المائدة".

وأسرة الشخص هى أكبر عون له فى هذا الشأن. فلا يوجد شىء يشبه التشكك الصحى للمراهقين الذى يضع مزايا الدبلوماسية فى منظورها الصحيح. "قل لى يا أبى، ما هو عملك بالضبط؟". ويجيب الأب: "إننى أحاول أن أجعل العالم مكانا أقل خطورة لك

لتعيش فيه آمنا" . على الأقل كان هذا يعطينى فرصة أستطيع فيها أن أدبر إجابة أقل عمومية.

والإحالة إلى التقاعد أيضا تضع كل شيء فى موضعه الحقيقى : ففى لحظة، أو فى غمضة عين، تختفى السيارة والسائق والسكرتيرة والموظفون والمؤسسة، ويحل محلهم معاش متواضع وضرورة أن تفعل كل شيء بنفسك. "من فرو المنك إلى الحضيض فى قفزة واحدة" From Mink to sink in one bound ، هو شعار الأيام التى لا وعى فيها بالبيئة المحيطة. وبالنسبة لرجال الدولة فإن التغيير يمكن أن يكون مباغتًا أكثر. فالانتخابات العامة يمكن أن تحدث تغيراً فى نزيل مقر رئاسة الوزراء البريطانى (١٠ داوننج ستريت) بين يوم وليلة بالفعل. ويوم الاقتراع فى بريطانيا يكون دائما يوم خميس. وينقل النزيل يوم الجمعة إلى مقر الرئاسة. ويتم نقل كم كبير من الأدوات المنزلية أمام الباب الخارجى بينما الأدوات المنزلية للوافد الجديد تصل إلى الفناء الخارجى.

القاعدة العاشرة : وفضلا عن أى شيء آخر لتكن صادقًا مع نفسك :

بوجه عام لا يعتبر بولونيوس بطلا لمسرحية شكسبير: هاملت. ولكن "قواعد السلوك" التى قدمها إلى ابنه المسافر ليرتس تستحق الفحص[٣]. وخاتمة هذه القواعد تتسم بالشمول : "فضلاً عن أى شيء آخر لتكن صادقًا مع نفسك، ويترتب على ذلك، كما يترتب على ظهور الليل بعد النهار، أنك لن تستطيع أن تخدع أى إنسان". ولا يوجد شعار أفضل من هذا الشعار للدبلوماسى. وإنى أكرر أن تأثيرنا، هو دالة للأثر الكلى الذى نتركه فى نفوس الذين نتصل بهم. وأن نكون صادقين مع أنفسنا هو الضمان للنزاهة التى تثبت صحة وتعزز قدرات قدراتنا على الإقناع. إنها الصفة التى تحمل فى النهاية معظم الثقل.

وفى بداية هذه المحاضرات أشرت إلى ميل خبراء الدبلوماسية إلى وضع قوائم طويلة ونرجسية للصفات الجوهرية للدبلوماسيين. وهذه القوائم يمكن أن

تختصر بشكل مفـيد. ولكن هناك صفة لا يمكـن حذفها وهى الـنزاهة Integrity . وقد قيل بحق أنه لا يوجد مكسب دبلوماسى متاح لأية حكومة أفضل من "كلمة رجل صادق" (أو سيدة صادقة)[٤]. والكلمة هنـا لا تعنى مجرد ما ينطـق به المتحدثون. إنها تحتوى أيضا على ما تخفيه من شخصية والتزام. "فالكلمة" تعبر عن المجمل العظيم للطموح الإنسانى والجهد الإنسانى. وفى مهمتنا (الدبلوماسية) فإنها تسخر للمهمة الأعظم للعالم والمتمثلة فى بناء سلام مزدهر ودائم .

الهوامش

(١) انظر Alfred Marshall,Principles of Economics,Macmillan, Book IV,Chapter XIII. الطبعة الثانية - صدر عام ١٩٢٠ .

(٢) انظر المحاضرة الخامسة .

(٣) انظر كتاب : صدر عام ١٩٥٥ Lord Strang, The Foreign Office, Allem and Unwin .

تمهيد : العمل كهدف نهائى للدبلوماسية

(١) تم اقتباس الجملة من كتاب : Philarète Chasles, Voyages d'un Critique - A Travers la Vice et les Livres ، صدر عام ١٨٦٨ مجلد ٢ صفحة ٤٠٧ .

(٢) انظر كتاب : الذى صدر عام ١٨٢٧ Macaulay, Essays on Machiavelli, Edinburgh Review,

(١) الدبلوماسية ابنة الأزمنة المتغيرة

(١) انظر كتاب : Sir Emest Satow, Guide to Diplomatic Practice, 5Th edition, Longmann صفحة ٣ . والذى صدر عام ١٩٧٩ عن دار نشر Longmann.

(٢) انظر رواية : Lewis Carrol, Alice's Adventures in Wonderland, ، التى صدرت عام ١٨٦٥ وهى رواية خرافية ممتازة .

(٣) انظر كتاب : Sir Harold Nicolson, The Evolution of Diplomatic Method, Constable ، صفحة ٧٣ حتى ٧٦ وقد صدر عام ١٩٥٤ .

(٤) انظر كتاب : John Locke, The Second Treatise on Civil Government, 1690 الذى صدر عام ١٦٩٠ .

(٥) انظر كتاب : Sir Victor Wellesley, Diplomacy in Fetters, Hutchinson, . الذى صدر عام ١٩٤٤ .

(٦) إن الكتاب الأبيض بعنوان Proposal for the Reform of the Foreign Service ، صدر فى يناير ١٩٤٣وكان أساس الإصلاحات التى أدخلت فى نهاية الحرب العالمية الثانية. النص الكامل الذى جاء فى كتاب Lord Strang, The Foreign Service ، وانظر أيضا المحاضرة الثامنة لمناقشة تنظيم الخدمة الدبلوماسية الحديثة.

(٧) هذه هى أول نقطة من "النقاط الأربع عشرة" فى خطاب ويلسون إلى الكونجرس فى ٨ يناير ١٩١٨ . وفى ذلك الوقت تخلى ويلسون عن الدبلوماسية العلنية فى مؤتمر الصلح فى نهاية الحرب العظمى. وقد أدرك أن المحاولات للتوصل علانية إلى اتفاقات علنية مآلها إلى الفشل.

(٨) انظر كتاب : Macaulay, Essay on Hallam's Constitutional History, Edinburgh, Review, الذى صدر عام ١٨٢٨ .

(٩) هذا الجانب من السياسة الخارجية البريطانية عولج بشكل مفيد وممتع فى كتاب : Sir Robert Marett Through the Black Door, Pergamon ، الصادر عام ١٩٦٨ ولقد كان ماريت رجل أعمال وصحفى قبل أن ينضم إلى الخدمة الخارجية.

(١٠) انظر كتاب : World Commission on Environment and Development Our Common Future, Oxford University Press, ، الصادر عام ١٩٨٧ .

(١١) إن أدبيات الموضوعات البيئية تفوق الحصر. وهناك مسح ممتاز للسياسة الدولية للبيئة نشر فى كتاب Brenton, The Greening of Michiavelli, Earthscan Publications and the Royal Institute of International Affairs, 1994 ، والمؤلف مستر برنتون عضو فى الخدمة الدبلوماسية البريطانية .

(١٢) فى خطاب ألقاه وزير الخزانة الأمريكى روبرت روبن فى واشنطون فى ١٢ ديسمبر ١٩٩٥ صنف الجريمة العالمية "Global Crime" على أنها منطقة ذات أولوية بالنسبة للتعاون الاقتصادى العالمى. "فالجريمة المنظمة تشترى وتبيع المخدرات والأسلحة والسياسيين" .

(١٣) انظر كتاب : Stuart Eldon, From Quill Pen to Satellite, The Royal Institute of International Affairs, 1994.

(١٤) يمكن أن تكون هناك مبالغة – بسهولة – فى الفرق. فكلمة "أعمال" Business استخدمت تقليدياً فيما يتعلق بالسياسة، مثلا فى حكم ماكولاى على ميكيافللى ص ٨ . ومع هذا فإن الإدارة Management أصبحت لها أهمية متزايدة. انظر المحاضرة ٨ .

(٢) طبيعة المجتمع الدولى اليوم

(١) انظر مقال: Samuel P. Huntington, The Clash of Civilizations?, Foreign Affairs, الصادر فى صيف عام ١٩٩٣ ، المجلد ٣ العدد رقم ٧ .

(٢) انتج الفرع التاريخى للمكتبة وإدارة السجلات سلسلة من البحوث المهمة المثيرة للاهتمام عن تاريخ وزارة الخارجية والكومنولث وشخصياتها، وكذلك عن قضايا السياسات. وبالذات فإن الملاحظات التاريخية رقم ٢ بعنوان "وزارة الخارجية والكومنولث: السياسات والناس والأماكن، ١٧٨٢-١٩٢٣" ذات صلة بالموضوع بشكل خاص. وهناك تفاصيل تاريخية أكثر فى كتاب Tilly and Gaselee, The Foreign Office, Putnam, 1933 ، وكان سير جون تيللى كبير كتاب وزارة الخارجية، ١٩١٣-١٩١٨، وكان ستيفن جازلى أمين المكتبة والمؤتمن على الأبحاث، من ١٩٢٠ إلى ١٩٤٢ .

(٣) إن كتاب Adam Smith, The Theory of Moral Sentiments, 1759 . صدر قبل كتابه Wealth of Nations بسبع عشرة سنة. وقد حصل على قدر من الشهرة بعد سنوات من الإهمال، وقت الاحتفال بمرور مائتى سنة على كتابه الشهير وذلك عام ١٩٧٦ . وكتابه الأول جوهرى لفهم كامل لكتابه الثانى .

(٤) هذا عنصر أساسى فى ديباجة ميثاق الأمم المتحدة، انظر المحاضرة الرابعة .

(٥) إن مستقبل هونج سيكون له دلالة فى هذا الشأن .

(٦) انظر : The Rt. Hon. David Howell, MP, Easternisation, Demos, 1995 .

(٧) هذه القضية العامة تقدم مثالاً ممتازًا للطريقة التى بها يظهر أن ما يبدو أنه مسألة خاصة أساسًا بالنقاش الداخلى، إنما تحتوى على تداعيات دولية فى عالم اليوم الذى يقوم على الاعتماد المتبادل.

(٨) هذه جملة اشتهرت عن مستر فرانسيس فوكوياما، العالم السياسى وأحد المسئولين فى وزارة الخارجية الأمريكية. وقد نشرت كتابه The End of History and the Last Man دار نشر Hamish Hamilton عام ١٩٩٢ . وتعتبر جملة "نهاية الجغرافيا" جملة أكثر دقة فى وصف عالم تقلصت فيه المسافات وأصبحت الاتصالات فيه تتم فى الحال. انظر : Richard O Brien, Global Financial Integration: The End of Geography, Chatham House Papers, pinter, 1992, P.7.

(٩) نسبت هذه الجملة لادموند بيرك الكاتب السياسى ورجل الدولة البريطانى فى القرن الثامن عشر .

(٣) السيادة الوطنية وحدودها

(١) إن واضع النظريات الرياضية المعروف بهذا الاسم هو جون فون نيومان. انظر : Neumann and Oskar Morgenstern, Theory of Games and Economic Behaviour, 3rd edition, 1953 .

(٢) انظر كتاب : Sir Harold Nicolson, Diplomacy, Oxford University Press, الصادرة عام ١٩٥٠ من الطبعة الثانية صفحة ٥٢-١٢٩ حتى ١٥٣ .

(٣) نوقشت خصائص السياسة الخارجية البريطانية بشكل مطول فى المحاضرة ٧ .

(٤) انظر كتاب : Nicolson, Diplomacy صفحة ١٣١ .

(٥) انظر كتاب : J. L. Brierly, The Law of Nations, Oxford University Press, 1955 صفحة ١ من الطبعة الخامسة .

(٦) أنشأ ميثاق الأمم المتحدة : محكمة العدل الدولية باعتبارها "الجهاز القضائى الرئيسى للأمم المتحدة" (المادة ٩٢). واللائحة التى تعمل المحكمة بمقتضاها مرفقة بالميثاق. انظر المحاضرة الرابعة .

(٧) انظر مقال : Sir Ian Sinclair, "International Law: The Court, Commission and Judges", in The United Kingdom - The United Nations (ed. E. Jensen and T. Fisher), Macmillan صفحة ١٤٣ إلى ١٤٤الصادر عام ١٩٩٠ .

(٨) انظر كتاب : Hans Kung, Global Responsibility in Search of a New World Ethic, Student Christian Movement Press ، الصادر عام ١٩٩١ .

(٩) انظر كتاب : David Mitrany, A Working Peace System : An Argument for the Functional Development of International Organisation, Royal Institute of International Affairs ، عن الصادر ١٩٤٣ .

(١٠) انظر كتاب : Brierly, The Law of Nations صفحة ٦٠ .

(١١) انظر كتاب : Dr. Jonathan Sacks, Faith in the Future, Darton Longman and Todd, الصادر عام ١٩٩٥ .

(١٢) هذا الشعار المألوف قد أخرج من سياقه الطبيعى. لقد كان الكوين Alcuin رجل الدين والتعليم الإنجليزى فى القرن الثامن عشر مستشاراً مرموقا لشارلمان. وفى أحد خطاباته كتب يقول: "لا يجب الإنصات إلى أولئك الذين لا يفتأون يكررون أن صوت الشعب هو صوت الله، لأن عمليات الشغب التى تقوم بها الجماهير هى أقرب دائما إلى الجنون".

(١٣) انظر مسرحية شكسبير: هنرى الرابع الجزء الثانى .

(١٤) نسب هذا القول إلى سير جيمس فيتزجيمس ستيفن وهو فقيه قانونى ومؤلف إنجليزى عاش فى القرن التاسع عشر .

(٤) الأمم المتحدة

(١) تم تلخيص نتائج مؤتمر دمبرتون أوكس فى كتاب أبيض للمملكة المتحدة على المقترحات برقم ٦٥٧١ عام ١٩٤٤ . كما أن التعليق الرسمى للمملكة المتحدة على ميثاق الأمم المتحدة نفسه (تحت رقم ٦٦٦٦ علم ١٩٤٥) تضمن شرحا قيما للفرق بين النص النهائى والفقرات ذات الصلة فى مقترحات دمبرتون أوكس .

(٢) مما يثير الاهتمام أنه لا توجد ديباجة فى النص نابعة من دمبرتون أوكس. لقد أضيفت الديباجة فى مؤتمر سان فرنسيسكو، ومن المعتقد إنه إلى حد كبير من وضع رئيس وزراء جنوب أفريقيا جان سموتس، فى أعقاب اجتماع لرجال الدولة من الكومنولث "الذى عقد فى لندن قبيل المؤتمر، فى أبريل ١٩٤٥" .

(٣) لم تذكر كلمة "الديموقراطية" فى الميثاق. ومع هذا فإن الطابع الديموقراطى لأغراضه ومواده، كان واضحًا. وكانت الكلمات الافتتاحية للميثاق هى "نحن شعوب الأمم المتحدة" .

(٤) انظر قول سير شارلز وبستر كما جاء فى كتاب : Lord Gladwyn, The United Kingdom - The United Nations, Macmillan الصادر عام ١٩٩٠ .

(٥) أصدرت الأمم المتحدة آخر طبعة من "حقوق الإنسان : تجميع للوثائق الدولية" عام ١٩٩٤ (ST / HR / 1 Rev 5, 2 vols) وقد تم تبنى الإعلان العالمى باعتباره قرارًا صادرًا من الجمعية العامة رقم ٢١٧ أ (٣) فى ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ . و تم تبنى العهود باعتبارها القرار رقم ٢٢٠٠ أ (١٩) فى ١٦ ديسمبر ١٩٦٦ . وأدبيات هذه المسألة كثيرة. ومما يستحق الذكر كتاب : The United Nations and Human Rights : A Critical Appraisal, Oxford University Press الصادر فى ١٩٩٢ .

(٦) لا يوجد إلا عدد قليل من الشخصيات المتنفذة فى مجال الدفاع عن الاستقلال غير جان مونيه رجل الأعمال والسياسى ورجل الدولة الفرنسى (١٨٨٨ - ١٩٧٩). وكان إصراره على تجنب الأضواء أسطوريًا. وكان يفضل "أن ينجز شيئًا من أن يكون مشهورًا" .

(٧) مازال نشوب الحرب العظمى يمثل موضوعًا شائقًا للدراسة بالنسبة للمؤرخ والدبلوماسى. ويرى سير فكتور ويلزلى أن تلك الحرب كانت عدة حروب "اتخذت شكل حرب واحدة: فهناك الحرب بين ألمانيا وروسيا، والحرب بين ألمانيا وبريطانيا العظمى، والحرب بين إيطاليا والنمسا، والحرب بين روسيا والنمسا، والحرب بين فرنسا وألمانيا". انظر كتاب : Diplomacy in Fetters, Hutchinson صفحة ٣٥ الصادر عام ١٩٤٤ .

(٨) الحقيقة أن دعوى الأمم المتحدة يمكن اعتبارها الأقوى. ولقد كان السلام الأوروبى بعد مؤتمر فيينا سلامًا محفوفًا بالمخاطر. انظر ملاحظات مستر ريكفند والملاحظة رقم ٨٨ مما جاء فى المحاضرة السابقة .

(٩) قارن ما يقال من أن الأمم المتحدة كان لها تأثير فى ميل الميزان لصالح الدولة ضد دعاوى الاعتماد المتبادل .

(١٠) وثيقة مجلس الأمن S/23500 فى ٣١ يناير ١٩٩٢ .

(١١) جدول أعمال للسلام، وثيقة الجمعية العامة رقم A/47/277 . ووثيقة مجلس الأمن ذات الصلة التى صدرت بعد ذلك فى مجلد رائع بعنوان جدول أعمال للسلام An Agenda for Peace . نشرته إدارة المعلومات العامة للأمم المتحدة فى فبراير ١٩٩٥ .

(١٢) نشرت الوثائق ذات الصلة فى مجلد مصاحب بعنوان جدول أعمال للتنمية An Agenda for Development صادر عن إدارة المعلومات العامة للأمم المتحدة فى فبراير ١٩٩٥ .

(٥) الاقتصاد العالمى

(١) انظر مقال يحتوى على تحليل قيم للعوامل التى أثرت على عولمة الحكومات ومسئولياتها، وهو Vincent Cable, "What Future for State?," Daedelus, of the Proceedings of the American Academy of Arts and Science المجلد ١٢٤ رقم ٢ الصادر فى ربيع ١٩٩٥ .

(٢) يبدو أن هذا تنبؤ - لا يخلو من المخاطر - ولكنه متعقل أكثر من "نهاية" التاريخ (المحاضرة الثانية، ملاحظة رقم ٢٥) .

(٣) إن النص الذى وقع فى النهاية بالحروف الأولى فى ١٥ ديسمبر ١٩٩٣، بعد ٧ سنوات من المفاوضات، تصل عدد صفحاته إلى ٤٥٠ صفحة .

(٤) إن الإسراع بإصدار "الإعلان" كان مخيبًا للآمال مثل دورة أورجواى نفسها. وقد طرحت فكرة دورة أخرى للمفاوضات للمناقشة من جديد على إثر اكتمال الدورة السابقة، دورة طوكيو عام ١٩٧٩ . وكان ذلك فى منتصف اجتماع وزارى للجات اتسم بالفوضى فى نوفمبر ١٩٨٢ .

(٥) تم التوصل إلى حجر الزاوية بنشر الكتاب الأبيض للمملكة المتحدة فى مايو ١٩٤٤ عن "سياسة التشغيل" (برقم ٦٥٢٧). وقد أعلن منذ البداية أن الحكومة قد قبلت "أن يكون من بين أهدافها الأساسية المحافظة على مستوى عالٍ ومستقرٍ من التشغيل بعد الحرب". ومن المرجح أن كينز هو أشهر عالم اقتصاد بريطانى. ومن أهم كتبه : Keynes,"The General Theory of Employment, Interest and Money",Macmillan, الصادر عام ١٩٣٦ .

(٦) ينشر بنك التسويات الدولية بشكل دورى الأرقام التقديرية لدورة رأس المال فى أسواق التبادل الخارجى. وفى أبريل ١٩٩٥ وصل الإجمالى إلى ١٢٣٠ بليون دولار أمريكى، وكان أكبر نصيب (٣٠ فى المائة) تمثله لندن .

(٧) بعد أن كتب لورد بيفريدج تقريره : Report on Social Insurance and Allied Services أعقبه بتقرير آخر بعنوان Report on Full Employment in a Free Society ونشرته دار النشر : Allen and Unwin عام ١٩٤٤ .

(٨) نشر نص مشروع منظمة التجارة الدولية فى الكتاب الأبيض للمملكة المتحدة بعنوان "القانون النهائى وميثاق هافانا لمنظمة التجارة الدولية" ، تحت رقم ٧٣٧٥ فى أبريل ١٩٤٨ .

(٩) للحصول على مسح سياسى للعلاقات بين الدول المتقدمة والدول النامية - الحوار بين الشمال والجنوب - انظر فصل للمؤلف (سير بيتر مارشال) فى كتاب : The United Kingdom - The United Nations, ed. E. Jensen and T. Fisher .

(١٠) أن مؤتمر قمة الأرض وتشعبات الأمم المتحدة قد تم بحثها بشكل مفيد فى Profesor Patricia Birnie, "The UN and the Environment", in "United nations - Divided World" (ed. A Roberts and B. Kingsbury), Oxford University Press الصادر عام ١٩٩٣ . See also A Brenton, The Greening of Machiavelli, Earthscan, الصادر عام ١٩٩٤ .

(١١) انظر :
Baroness Chalker, speech to the All-Party Group on Population and Development, House of Commons, ٢٢ نوفمبر عام ١٩٩٥ .

(١٢) كانت الاجتماعات المنظمة التى عقدها وزراء مالية دول الكومنولث قبيل الاجتماعات السنوية للبنك والصندوق تشكل فرصة لإطلاق المبادرات. وهناك مثال بارز حديث يتمثل فى وضع الشروط للتخفيف من الديون – هو شرط ترينداد – الذى وضع فى اجتماع وزراء مالية دول الكزمنزلث فى بورت أوف سبين عام ١٩٩٣ .

(١٣) صدر البيان عن "رؤساء دول وحكومات سبع دول صناعية كبرى ورئيس المفوضية الأوروبية" فى هاليفاكس فى نوفاسكوتيا فى ١٧ يونيو ١٩٩٥، الفقرة ١٢ . وكان ترتيب مؤتمر قمة هاليفاكس الواحد والعشرين فى سلسلة المؤتمرات. وقد تم تحليل دور مؤتمرات القمة هذه بشكل مفيد جدا فى كتاب : N. Bayane and R. Putman, "Hanging Together", Sage ، الصادر عام ١٩٨٧ وكان سير نيكولاس باين المندوب السامى البريطانى فى أتوا ٩٢ – ١٩٩٦ .

(١٤) انظر كتاب : John Gordon, Green Knight to the Rescue Center for Study of Global Govemance ورقة نقاشية رقم ١٢ صفحة ١١ وقد عمل مستر جوردون عضوا فى الخدمة الدبلوماسية البريطانية .

(١٥) انظر تقـــرير : Our Global Neighborhood, Report of the Commission on Global Govemance, Oxford University Press, صادر عام ١٩٥٥ .

(٦) العمارة الهندسية الأوروبية

(١) استخدم كاننج وزير الخارجية البريطانية هذه العبارة فى مجلس العموم فى ١٢ ديسمبر ١٨٢٦ ليبرر سياسته للتحرر من النمسا وبروسيا وروسيا، التى كانت بريطانيا العظمى ترتبط بها فى التحالف المقدس. ولم يكن كاننج يأخذ بالرأى القائل بأن هذا التحالف له دور يؤديه غير هـزيمة نابليون. وهو بهذا يختلف عن سلفه Castlereagh . وبدلاً من ذلك ظهـر باعتبـاره زعيمًا وحاميًا للروح التحـررية العالمية، وخاصةً فى أمريكا اللاتينية . وليس من الواضح أن مجلس العموم قد فهم تماما ما كان كاننج يقوله .

(٢) أن الوثائق الرسمية المتعلقة بهذه التطورات عديدة بالطبع. وفى هذه المحاضرة سنشير إلى الحد الأدنى من المراجع .

(٣) كان ديجول شخصية شامخة فى أوروبا بعد الحرب. وقد ظهرت سـيرة حـياته بعد ٢٥ سنة بعد وفاته عام ١٩٧٠ بعنوان مناسب هو "آخر عظماء الفرنسيين" .

(٤) يجتمع رؤساء الدول والحكومات الأعضاء كل ستة أشهـر، أى مرة كل رئاسة متنـاوبة تستغرق ستة أشهر كما يفعـل "المجلس الأوروبى". ونتائج هـذه الاجتمـاعات متضمنة فى : Presidency Conclusions ص ١٣٤ الملحق الخامس .

(٥) أصدرت مؤسسة بيانات الإدارة البريطانية عام ١٩٩٢ مطبوعة مفيدة جدا بعنوان The Maastricht Treaty in Perspective . تتضمن النص الكامل لكل التغييرات والإضافات التى تقترحها معاهدة ماستريخت والتى أدمجت فى : Treaty of Rome and the Single European Act مع تحليل للسلطات الإضافية المقترحة لمؤسسات الجماعة الأوروبية .

(٦) ظهر عام ١٩٧٠ تقرير ويرنر عن الاتحاد الاقتصادى والنقدى (والذى سمى باسم رئيس اللجنة التى أعدته وهو رئيس وزراء لكسمبورج). وعندما اجتمعوا فى باريس فى أكتوبر ١٩٧٢ قبل التوسع الرسمى فى عضوية الجماعة الأوروبية من ٦-٩ أعضاء، إعادة رؤساء الدول والحكومات تأكيد "أن الدول الأعضاء للجماعات الأوربية الموسعة عازمة عزما أكيدا على تحقيق الاتحاد الاقتصادى والنقدى .... وأنه يجب اتخاذ القرارات الضرورية خلال عام ١٩٧٣ للسماح بالانتقال إلى المرحلة الثانية للاتحاد الاقتصادى والمالى فى ٣١ ديسمبر ١٩٨٠" (وقد صدر نص البيان فى صورة كتاب أبيض برقم ٥١٠٩) .

وفى مؤتمر قمة الدول التسع فى كوبنهاجن فى ديسمبر ١٩٧٤، ظهر واضحًا أن هذا الجدول الزمنى غير واقعى، مثله مثل المشروعات الأخرى الخاصة بتكامل أوروبى أوثق. وقد أدى تعميم تعويم العملات، وحرب الشرق الأوسط فى أكتوبر ١٩٧٣، وأزمة البترول إلى تخفيض تعاون المجموعة الأوروبية إلى أدنى حد. ومع هذا فإن اجتماع رؤساء الحكومات فى باريس فى ٩ و ١٠ ديسمبر "قد لاحظ أن الصعوبات الداخلية والدولية قد حالت عام ١٩٧٣ - ١٩٧٤ دون تحقيق التقدم المتوقع على الطريق إلى الاتحاد النقدى الأوروبى مما أكد أن إرادتهم فى هذا الميدان لم تضعف وأن هدفهم لم يتغير منذ مؤتمر باريس ١٩٧٤ ولم يظهر إلى الوجود مفهوم النظام النقدى الأوروبى الأكثر تواضعا إلا عام ١٩٧٩ .

(٧) P. Fontaine, Europe in Ten Lessons, European Documentation, 1992 .

(٨) أجرى Evgeny Chossudovsky تقييمًا معاصرًا مفيدًا فى تقريره :

The Helsinki Final Act Viewed in the United Perspective, Unitar Research Report. رقم ٢٤ صادر عام ١٩٨٠ .

(٩) انظر كتاب : H. Kissinger, Diplomacy, Simon and Schuster صادر عام ١٩٩٤ صفحة ٨١٢ . والكتاب بوجه عام مزيج ثمين من الحقائق والتثقيف والحوافز.

(١٠) انظر كتاب : H. Rieben, Des Guerres Européenes a L'Union de l'Europe, Fondation Jean Monnet pour l'Europe, صادر ١٩٨٧ صفحة ٢٢٠ .

(١١) أرسل الممثل الدائم للولايات المتحدة النص إلى الأمين العام، وتم توزيعه باعتباره وثيقة للجمعية العامة برقم A / 50 / 790 ووثيقة لمجلس الأمن برقم S / 1995 / 999 .

(١٢) أرسل المندوب الدائم للمملكة المتحدة النص إلى الأمين العام وتم توزيعه باعتباره وثيقة لمجلس الأمن برقم S / 1995 / 1029 .

(١٣) انظر البيان الصحفى : الصادر ١٩٩٥ . الصادر فى ديسمبر NATO Press Communique (برقم M - NAC - 2 (95) 118, 5) .

(١٤) المسألة هل سيمثل هذا سابقة. قارن التوصية فى تقرير اللجنة الخاصة بالحكومة العالمية الصادر عن مجلس الأمن ص ٨٨ .

(١٥) هذا القرار يستند إلى اتفاقية دايتون، نتائج مؤتمر لندن وتقرير الأمين العام (برقم S / 1995 / 1031) .

(٧) صنع السياسة الخارجية

(١) انظر تقرير : Foreign and commonwealth Office, including Overseas Development Administration, الصادر فى ١٩٩٦ Departmental Report مارس ١٩٩٦ .

(٢) ١٠ سبتمبر ١٩٩٤ صفحة ٣٤ .

(٣) انظر Vache's Parliamentary Companion, No.1080, November صادر عام ١٩٩٥ صفحة ١٤٤ حتى ١٤٨ . وهذا المرجع عن البرلمان ووزارات الخارجية وكبار موظفى الدولة والمكاتب العامة هو منجم من المعلومات. ويتم نشره فصلياً .

(٤) اقتبسه لورد بولدوين (ابنه) فى كلمة فى جمعية كبلنج، فى أكتوبر ١٩٧١ .

(٥) مسألة سياسة الاتصالات الدولية المستقبلية هى موضوع دراسة جديدة قيمة من إعداد Vincent Cable Royal Institute of International Affairs,.Global Superhighway.and Catherine Distler . 1995

(٦) إن ميزان القوى الذى له فضل حفظ السلام فى أوروبا، تم الاعتراف بهمنذ البداية على أنه يحتوى على عنصر حافة الهاوية. وقد اعتمد على دقة تقديرات الدول الكبرى لنوايا بعضها البعض وكفاءة الأجهزة الدبلوماسية لكل منها فى نقل الإشارات الصحيحة (انظر المحاضرة الرابعة) .

(٧) انظر Hansard صادر فى ١٨ ديسمبر ١٩٩٥ مجلد ٢٢٨ رقم ٢٢ .

(٨) انظر المراجع الخاصة بالمحاضرة السادسة .

(٨) منظمة الخدمة الدبلوماسية

(١) انظر كتاب : Lord Strang, The Diplomatic Career, Andre Deutsch,1962 صادر ١٤صفحة .

(٢) من المهم أن نذكر فى هذا الصدد نبوءة أطلقها لورد بلفور رئيس الوزراء البريطانى، ووزير الخارجية. فقد تكهن بمستقبل بالتنمية المستقبلية للمنظمات واسعة النطاق، وأوحى بأن التعقيد المتزايد فى عملها، سيؤدى فى النهاية إلى إخراجها من نطاق السيطرة الفعالة للإنسان، بسبب الأساليب الجديدة للاتصالات وغيرها من الاختراعات الحديثة. وكان المثالان اللذان قدمهما لورد بلفور عن هذه الفكرة هما "تجمعات Combines الأعمال العملاقة ووزارة الخارجية البريطانية (انظر : Introduction by Sir John Simon to Tilly and Gaselee, The Foreign Office, Putnam, 1933, p. vii) .

(٣) قال رجل حكيم ربما كان أيضا من كبار مؤلفى الكتب المشكوك فى صحتها أنه راغب حقا بأن يقال له إن نصف ما صرفه على الإعلانات ذهب هباء، ولكنه لم يجد شخصا يخبره أى نصف منهما .

(٤) جاء فى ١٩٩٥ .Departmental Report cm 2802, p.10 أنه فى عام ١٩١٤ بلغ عدد العاملين فى وزارة الخارجية البريطانية ١٧٦، ويشمل ذلك البوابين وعمال النظافة .

(٥) انظر تقـــرير : Report by the Central Policy Review of Overseas Representation, Review Staff, HMSO 1977. See the author's The Dynamics of Diplomacy, Diplomatic Academy of London, 1990 صادر فى ١٩٩٠ صفحة ١٣ حتى ٢٠ .

(٦) أن إدارة أعمال الاتحاد الأوروبى كان لها طابع واضح هو أن العاملين من الوزارات. فمكتب الممثل الدائم للمملكة المتحدة فى بروكسل يزخر بموظفين من عدد من الوزارات. وحتى الآن فإن الممثل الدائم كان دائماً أحد أعضاء الخدمة الدبلوماسية .

(٧) قد يردد سريعو البديهة بأن المقترح يمكن أن يعرض بشكل عكسى .

(٨) كان جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكى فى الخمسينات من المؤيدين لهذه الممارسة. وقيل لأنه كان لديه قدرة لا حدود لها على ركوب الطائرات. كما قيل بالنسبة لوزير خارجية ألمانيا Hans-Dietrich الذى قضى مدة خدمة طويلة فى المنصب، أنه لو اصطدمت طائرتان فوق منتصف الأطلنطى، فإن اسمه سيكون مسجلا فى قائمتى الطائرتين .

(٩) انظر : Tilley and Gaselee, The Foreign Office صفحة ٢٥٧ .

(١٠) قال سير إدوارد جراى، وزير الخارجية البريطانى فى ٣ أغسطس ١٩١٤، وهو يحدق من نوافذ مكتبه عشية نشوب الحرب العظمى، عندما رأى العاملين فى إضاءة المصابيح :"إن المصابيح ستنطفئ فى كل أنحاء أوروبا، ولن نراها مضاءة طيلة حياتنا" .

(١١) انظر كتاب : Lord Morrison, Government and Parliament, Oxford University Press الصادر فى ١٩٥٩ صفحة ٦٣ .

(١٢) انظر صفحة ١٢٦ وصفحة ١٧٦ من كتاب : Sir Harold Nicolson, Diplomacy, Oxford University Press, الصادر عام ١٩٥٠ .

(١٣) تحتوى القائمة الدبلوماسية، لندن، ديسمبر ١٩٩٥ على "قائمة مرتبة أبجديا لممثلى الدول الأجنبية وبلاد الكومنولث المقيمين فى لندن مع أسماء وتخصصات باقى الدبلوماسيين". وترتب القائمة الممثلين حسب أقدميتهم بناءً على تاريخ تقديم أوراق اعتمادهم. كما تضم القائمة الأعياد القومية، ودليل المنظمات الدولية التى مقارها لندن، وأشهرها الأمانة العامة للكومنولث والمنظمة البحرية الدولية .

(١٤) قدم Ian Soutar عرضاً ضافياً عن "آثر تكنولوجيا المعلومات على الممارسة الدبلوماسية" وهو رئيس مكتبة وإدارة السجلات بوزارة الخارجية البريطانية، وذلك أمام ندوة عن "الدبلوماسية فيما بعد ٢٠٠٢"، التى عقدت فى جامعة ويستمنستر فى ٦ أبريل ١٩٩٥ .

(١٥) انظر كتاب : See: Beryl Smedley, Partners in Diplomacy, Harley Press, الصادر ١٩٩٠ وهو مسح ممتع جدا .

(١٦) توجد اتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية (١٩٦٣)، وهى مختلفة عن اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية (١٩٦١) .

(٩) اكتساب المهارات الدبلوماسية : الصياغة

(١) سير هارولد نيكلسون يتحدث إلى الملحقين الجدد بالخدمة الخارجية البريطانية ، ١٩٤٥ .

(٢) انظر كتاب : Blaise Pascal, Lettres Provinciales الصادر ١٦٥٧ .

(٣) انظر صفحة ١٠٩ من مسرحية : Shakespeare,Troilus and Cressida,I, iii .

(٤) إن نطاق عمل رؤساء اللجان في كل ذلك هو مثـــال على المقـولة الشائعة في دوائر الأمم المتحدة : "رئيس اللجنة الذي لا يستغل منصبه يفقد هيبته" .

(٥) هذا القول لمجهول، وقد اقتبس في صفحة ٧٣ من كتاب : John Chadwick, The Unofficial Commonwealth, Allen and Unwin, الصادر في ١٩٨٢ وهو سرد شامل ومقروء للسنوات الأولى لمؤسسة الكومنولث، وهي المؤسسة الخاصة بتنشيط التعاون غير الحكومي داخل الكومنولث .

(٦) انظر: Sir Henry Taylor, The Statesman, 1836, Chapter XIII .

إن ملاحظات تيلور التي تمزج بين الحكمة والعظمة، وما قد تطلق عليه الأجيال التالية "التفوق في اللعب دون غش" gamesmanship ، كانت تهدف إلى تخريج موظفي حكومة من نوعيات أعلى (أو كما يسميهم رجال دولة في خلوة (closet statesmen) وهم بالضبط ما كانت تحتاجهم تعقيدات الحكومة المتزايدة .

(١٠) عشر قواعد للدبلوماسي

(١) انظر رواية شارلز ديكنز : ديفيد كوبرفيلد الفصل الحادي عشر .

(٢) انظر الفصل الرابع والعشرين من كتاب : الصادر عام ١٨٣٦ Sir Henry Taylor, The Statesman .

(٣) انظر مسرحية هاملت لشكسبير الفصل الثالث .

(٤) من بين أكبر الهفوات الدبلوماسية تلك التي ارتكبها سير هنـــري وتـــون Sir Henry Wotton ، السفير البريطاني في البندقية، الذي توقف في أوجوســبرج عام ١٦٠٤، وكتب في "البوم" صديق له جملة: "السفير هو رجل أمين يرسل إلى الخارج ليكذب lie من أجل بلاده". ولكنه كتبها باللاتينية، فلم يعد هناك لبس مع المعنى الآخر لكلمة lie وهو "يقيم"، ويبقى فقط معناها الآخر وهو "يكذب". وقد عنفه الملك جيمس الأول على قوله هذا. (أصبحت هذه الجملة من أشهر الجمل الدبلوماسية ولكن هناك شك في مدى صحة وجدوى ما تشير إليه. فالممارسة الدبلوماسية تؤكد أن السفير الذي يكذب يفقد مصداقيته واحترام الدولة المعتمد لديها واحترام زملائه من سفراء الدول الأخرى، ويكون مدعاة لتعليقات لاذعة من رجال الصحافة والإعلام إذا نشروا له تصريحا وثبت كذبه. ولهذا بدلاً من الكذب وللخروج من الحرج في موقف صعب يمكن أن يجيب السفير على أية أسئلة لا يود الإجابة عليها قائلاً "لا تعليق" "No Comment" التي تعفيه من الحرج وتوحي بأن لديه معلومات ولكنه لا يريد البوح بها لأسباب مختلفة، وفي الوقت نفسه لا يجب على السفير أن يفشي سراً لرجال الإعلام ويطلب منهم عدم النشر off record – المترجم) .

المراجع

تتسم أدبيات العلاقات الدولية بالضخامة. وأى مراجع شاملة يمكن أن تنشر في كتاب قائم بذاته. والمراجع المنوه عنها هنا هي انتقاء مختصر تضم مطبوعات ليست ذائعة الصيت بالإضافة إلى عدد محدود من النصوص المألوفة. وقد قسمنا القائمة لسهولة الرجوع إليها حسب الضرورة بشكل تحكمي إلى حد ما، على أساس فصل موضوعات كل محاضرة على حدة. وسيتضح للقارىء مدى انطباق المؤلفات على المحاضرات الأخرى.

LECTURE 1 DIPLOMACY: A CHILD OF CHANGING TIMES

Bull. H. and Watson, A.: *The Expansion of International Society,* Oxford University Press،1984

Busk, D.: *The Craft of Diplomacy,* Pall Mall Press, 1967

Jackson, G.: *Concorde Diplomacy,* Hamish Hamilton, 1981

Nicolson, H.: *Diplomacy,* 2nd edition،Oxford University Press, 1950

——— *The Evolution of Diplomatic Method, Constable,* 1954

Satow, E.: *Guide to Diplomatic Practice, 5th edition, Longman,* 1979

Wellesley, V.: *Diplomacy in Fetters,* Hutchinson, 1944

LECTURE .2 THE NATURE OF INTERNATIONAL SOCIETY TODAY

Fukuyama, F.: *The End of History and the Last Man,* Hamish Hamilton, 1992

Huntington, S.P.: "Clash of Civilisations?" *Foreign Affairs,* Vol. 72, No. 3, Summer 1993

Kennedy, P.: *Prepairing for the Twenty-First Century,* Harper Collins,1993

LECTURE 3 NATIONAL SOVEREIGNTY AND ITS LIMITS

Brierly, J.L..: *The Law of Nations*, 5th edition, Oxford University Press, 1950.

Frankel, J..,: *International Relations in a Changing World*, 3rd edition, Oxford University Press, 1979.

Henkin, L.: *How Nations Behave*, Praeger, 1969.

Kung, H.,: *Global Responsibility in Search of a New World Ethic*, SCM Press, 1991.

Mitrany, D.: *A Working Peace System: an Argument for the Functional Development of International Organisation*, Royal Institute of International Affairs, 1943.

Sen, B.: *A Diplomat's Handbook of International Law and Practice*, Nijhof, 1965.

Sinclair, L.: "International Law: The Court, Commission and Judges", in *The United Kingdom - The United Nations*, ed. E. Jensen and T. Fisher, Macmillan, 1990.

Taylor, P. and Groom, A.: *International Organisation*, Frances Pinter, 1978.

LECTURE 4 THE UNITED NATIONS

The United Nations Charter

The Statute of the International Court of Justice

The Rules of Procedure of the General Assembly

Annual Report of the Secretary-General on the Work of the United Nations (submitted to the General Assembly).

Boutros-Ghali, B.: *An Agenda for Peace* (2nd edition) United Nations 1995.

——— : *An Agenda for Development*, United Nations, 1995.

Commonwealth Secretariat: *The Commonwealth at the Summit*.

(Communiqués of Heads of Government Meetings 1944-86), 1987.

Independent Commission on Disarmament and Security Issues (The Palme Commission): *Common Security: A Programme for Disarmament*, Pan Books, 1982.

Independent Commission on International Humanitarian Issues: *Winning the Human Race?* Zed Books, 1988.

Jensen, E. and Fisher T. (eds): *The United Kingdom - The United Nations*, Macmillan, 1990.

Roberts, A. and Kingsbury, B. (eds): *United Nations - Divided World,* 2nd edition, Oxford University Press, 1993.

Smith, A. with Sanger, C.: *Stitches in Time,* General Publishing, 1981.

(memoirs of the First Commonwealth Secretary-General, 1965-75).

Urquhart, B.: *A Life in Peace and War,* Weidenfeld and Nicolson, 1987.

LECTURE 5 THE WORLD ECONOMY

International Commission Reports:

(i) **The Pearson Commission,** *Partners in Development,* Praeger, 1969.

(ii) **The Brandt Commission,** *North-South:* A Programme for Survival, Pan, 1980.

———, *Common Crisis,* Pan, 1983.

(iii) **The Bruntland Commission,** *Our Common Future,* Oxford University Press, 1987.

(iv) **The Carlsson-Ramphal Commission,** *Our Global Neighbourhood,* Oxford University Press,1995.

Bayne, N. and Putman, R.: *Hanging Together,* 2nd edition, Sage, 1987 (a history o the G7).

Brenton, A.: *The Greening of Machiavelli,* Earthscan, 1994.

Commonwealth Secretariat: *International Development Policies,* review of the activities of international organisations (quarterly).

The Economist: *Pocket World in Figures* (annually).

Galbraith, J.K.: *A History of Economics,* Hamish Hamilton, 1987.

List, F.: *The National System of Politica /* Economy, 1840.

Marshall, P.: "The North/South Dialogue: Britain at Odds" in the *The United Kingdom - The United Nations,* ed. E. Jensen and T. Fisher, Macmillan, 1990.

OECD.: *Twenty-Five Years of Development Cooperation,*OECD, Paris, 1985.

———: *World Economy Interdependence and the Evolving North-South Relationship,* OECD, Paris, 1983.

United Nations: *The History of UNCTAD 1964-1984,* UN publications, 1985.

World Bank: *The World Bank Atlas* (annually).

LECTURE 6 EUROPEAN ACHITECTURE

The Treaty of Maastricht, 1992

HMSO: *Developments in the European Union* (a comprehensive six-monthly survey).

——— : *Presidency Conclusions issued at the end of regular meetings of the European Council.*

Kitzner, U.: *Diplomacy and Persuasion*, Thomas and Hudson, 1973 (the story of how the UK joined the EEC).

Monnet, J.: *Memoirs* (translated by Richard Mayne) Doubleday, 1978.

Williams, C.: *The Last Great Frenchman: A Life of General de Gaulle.* Abacus. 1993.

LECTURE 7 FOREIGN POLICY-MAKING

Acheson, D.: *Present at the Creation*, Hamish Hamilton, 1969 (an account of his years at the State Department 1941-7 and 1949-53).

"Britain in the World", Proceedings of a one-day conference organised by the Royal Institute of International Affairs in association with HMG, 29 March 1995.

Clarke, M.: *British External Policy-Making in the 1990s*, Macmillan, 1992.

Kissinger, H.: *Diplomacy*, Simon and Schuster, 1994.

Strang, W.: *Britain in World Affairs*, Faber and Faber and André Deutsch, 1961.

Tugendhat, C. and Wallace, W.: *Opinions for British Foreign Policy in the 1990s*, Royal Institute of International Affair /Routledge, 1988.

Woodward, L.: *British Foreign Policy in the Second World War*, HMSO, 1962.

LECTURE 8 DIPLOMATIC SERVICE ORGANISATION

FCO: *Departmental Report* (annual) HMSO

FCO, Historical Branch : *The FCO, Policy, People and Places*, 1783-1993, 3rd edition, 1993,1993 (one of a series of "History Notes". Inter alia it contains very useful bibliographical information).

Official reports:

Proposals for the Reform of the Foreign Service, Cmd 6420, HMSO, 1943.

Report of the Committee on Overseas Information Services (the Drogheda Report) Cmd 9138, HMSO, April 1954.

Report of the Committee on Representational Services Overseas (the Plowden Report) Cmnd 2276. HMSO, February 1964.

Report of the Review Committee on Overseas Representation 1968-9 (the Duncan Report), Cmnd 4107, HMSO, July 1969.

Review of Overseas Representation: Report by the Central Policy Review Staff (the "Think Tank" report), HMSO, 1977.

The United Kingdom's Overseas Representation, Cmd 7308, HMSO, August 1978 (this is principally the government's reply to the "Think Tank" report).

Foreign Affairs Committee of the House of Commons: Cultural Diplomacy Fourth Report, Session 1986-87, HMSO.May 1987 (a very useful analysis of the cultural aspects of international relations).

Boyace, P.: *Foreign Affairs for New States,* University of Queensland Press,1977.

Commonwealth Secretariat: *Diplomatic Service Formation and Operation. Report on Commonwealth Seminar, Singapore,* 1970, Longman, 1971.

Eldon, S. *From Quill Pen to Satellite,* Royal Institute of International Affairs, 1994.

Garner, S.: *The Commonwealth Office, 1925-68, Heinemann, 1978.*

Marett, R.: *Through the Back Door,* Pergamon, 1968.

Strang, W.: *The Foreign Office,* Allen and Unwin, 1955.

———: *The Diplomatic Career,* André Deutsch, 1962.

Tilley, J. and Gaselee, S.: *The Foreign Office,* Putnam, 1933.

LECTURE 9 THE ACQUISITION OF DIPLOMATIC SKILLS: DRAFTING

Bacon, F.: Essays, 1597-1625.

Cornford, F.: *Microcosmographia Academica, Being a Guide for the Young Academic Politican,* Bowes and Bowes, 1953.

Gower, E.: *The Complete Plain Words,* HMSO, 1954.

Kaufmann, J.: Conference Diplomacy, 3rd edition, Macmillan, 1996.

———: *United Nations Decision Making,* Sijthoff and Nordhoff, 1980.

Taylor, H.: *The Statesman,* 1836.

LECTURE 10 DIPLOMAT'S DECADE

Connell, J.: *The "Office". A Study of British Foreign Policy and its Makers, 1919-1951,* Allan Wingate, 1958.

Dickie, J.: *Inside the Foreign Office, Chapmans,* 1992.

Dudley Edwards, R.: *True Brits,* BBC Books, 1994 (accompanying an entertaining and informative TV series).

Keens-Soper, M. and Schweizer, k. (Eds): *The Art of Diplomacy* (translation of De la Manière de Négocier avec les Souverains, 1716 by Francois de Callières, an eighteenth-century classic), Leicester University Press, 1983.

Machiavelli, N.: *The Prince,* 1532.

Oudendyk, W.: *Ways and By-ways in Diplomacy,* Peter Davis, 1939 (memoris of a Netherlands diplomat exemplifying the "Old Diplomacy").

Smedley, B: *Partners in Diplomacy,* Harley Press, 1990 (the "story of many generations of women who have been married to British diplomats serving abroad").

Trevelyan, H.: Diplomatic Channels, Macmillan, 1974 (light-hearted reflections of one of the most eminent of twentieth-century British Diplomats).

اختصارات

ACP : (countries of Africa, Caribbean and Pacific associated with European Union).
BBC : British Broadcasting Corporations.
BSE : (Bovine Spongiform Encephalopathy, or 'mad cow disease)'.
CEEC : Committee for European Economic Co-operation.
CJD : Creutzfed Jakob Disease.
CPRS : Central Policy Review Staff.
CSCE : Conference on Security and Co-operation in Europe.
ECE : Economic Commission for Europe.
ECOSOC : Economic and Social Council.
ECSC : European Coal and Steel Community.
EDC : European Defence Community.
EEA : European Economic Area.
EEC : European Economic Community.
EFTA : European Free Trade Association.
EMS : European Monetary System.
ERM : Exchange Rate Mechanism.
EURATUM : European Atomic Energy Community.
FCO : Foreign and Commonwealth Office.
FO : Foreign Office.
GATT : General Agreement on Tariffs and Trade.
GDI : Gender Development Index.
GEM : General Empowerment Measure.
G7 : (Group of Seven major industrial countries).
G77 : (Group of Seventy-Seven developing countries).
HABITAT : UN Conference on Human Settlements.
HDI : Human Development Index.
ICRC : International Committee of the Red Cross.

IFOR : multinational Military Implementation force.
IGC : Intergovemmental Review Conference.
IMF : International Monetary Fund.
IMO : International Maritime Organisation.
ITO : International Trade Organiation.
MERCOSUR : South American Common Market.
NATO : North Atlantic Treaty Organisation.
NGOs : non-governmental organizations.
NIEO : New International Economic Order.
NIIO : New International Information Order.
NPC : National Press Club (Washington, D.C.).
OAU : Organisation of African Unity.
ODA : Overseas Development Administration.
OECD : Organisation for Economic Co-operation and Development.
OEEC : Organisation for European Economic Co-operation.
OIC : Organisation of Islamic Conference.
OSCE : Organisation for Security and Co-operation in Europe.
PIC : Peace Implementation Conference (Bosnia).
UEFA : Union of European Football Association.
UNCTAD : UN Conference on Trade and Development.
UNDP : UN Development Programme.
Unesco : (UN Educational.Scientific and Cultural Organisation).
UNHCR : UN High Commissioner for refugees.
UNPROFOR : UN Protection Force in former Yugoslavia).
WEU : Western European Union.
WTO : World Trade Organisation.

المؤلف فى سطور

سير بيتر مارشال

- التحق بالسلك الدبلوماسى البريطانى عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٨٣ وعمل فى سفارات بريطانيا فى واشنطون وبغداد وجنيف وباريس والبعثة الدائمة فى الأمم المتحدة بنيويورك .
- تولى منصب نائب سكرتير عام منظمة الكومنولث للشئون الاقتصادية من ١٩٨٣ - ١٩٨٨ ، ورئيسًا لمجلس إدارة جمعية الكومنولث الملكية من ١٩٨٨ حتى ١٩٩٢ .
- منذ عام ١٩٨٩ عمل أستاذًا زائرًا فى أكاديمية لندن الدبلوماسية بجامعة وستمنستر .
- زميل فخرى بكلية كوربى كريستى بجامعة كمبريدج وجامعة وستمنستر .
- ألف وحرر عدة كتب منها "ديناميكيات الدبلوماسية"، و "هل هناك ضرورة حقا للدبلوماسيين ؟"، و "الدبلوماسية فيما بعد ٢٠٠٠" ، وكذلك "الانفجار الإعلامى - تحد للدبلوماسية" (تحرير بالمشاركة مع أ. د. نبيل عياد مدير أكاديمية لندن الدبلوماسية بجامعة وستمنستر) .

المترجم فى سطور

الدكتور أحمد مختار الجمال

- حصل على ليسانس فى الأدب الإنجليزى بجامعة القاهرة ودبلوم فى العلاقات الدولية من جامعة أوكسفورد ، ودكتوراة فى العلاقات الدولية والدبلوماسية من جامعة ريدنج ببريطانيا. وزمالة كلية الدفاع الوطنى بأكاديمية ناصر العسكرية العليا فى الاستراتيجية القومية .

- التحق بالسلك الدبلوماسى عام ١٩٦٠ ، وعمل بسفارات مصر فى باكستان والهند والأردن وقطر ومونتفيديو ووزير مصر المفوض فى لندن وسفير ومدير معهد الدراسات الدبلوماسية ومدير الصحافة والإعلام بوزارة الخارجية .

- انتدب عضواً بالمكتب الفنى لرئيس الجمهورية ومستشاراً لرئيس مجلس الشورى والمجلس القومى للسكان والصندوق الاجتماعى برئاسة مجلس الوزراء وحالياً مستشار وعضو مجلس المحافظين بالمجلس المصرى الأوروبى .

- نشر له ٢٠٠ قصة قصيرة و ٦٠ كتاباً (مؤلفة ومترجمة) فى العلاقات الدولية والدبلوماسية والاستراتيجية والتنمية والسكان، منها "حرب السويس" للدكتور محمود فوزى (ترجمة : عن الإنجليزية، دار الشروق) و"نماذج التنمية فى جنوب شرق آسيا" (تأليف : وصدر عن جامعة القاهرة) و "دليل الدبلوماسى فى القانون الدولى والممارسة" (بسن) و "مقدمة للسياسة" و "أجرومية السياسة" (هارولد لاسكى) و"جوهر الأمن" (روبرت مكنامارا) ، ونشر عدداً كبيراً من الأبحاث منها "إدارة الأزمات" بمجلة السياسة الدولية و "الأسس الفكرية لحوار حضارى بين العرب والغرب" و "الإعلام العربى الإليكترونى" بمجلة "شئون عربية" التى تصدر عن جامعة الدول العربية .

- ألف "القاموس السياسي والدبلوماسي" (بالاشتراك مع أ. د. شوقي السكري و أ. محمد الخطيب عباس) و "قاموس التنمية والسكان" (بالاشتراك مع أ. د. محاسن مصطفى حسنين، والتي كان لجهودها المشكورة فضل صدور كتاب "الدبلوماسية الفاعلة" بالصورة التي ظهر بها) .
- حاصل على وسام الجمهورية عام ١٩٨٢ .

المراجع فى سطور

الدكتور السيد أمين شلبى

- حصل على ليسانس الآداب وماجستير فى العلوم السياسية من جامعة القاهرة وعلى دبلوم العلاقات الدولية من جامعة أكسفورد والدكتوراة فى العلاقات السياسية من جامعة القاهرة .

- التحق بالسلك الدبلوماسى عام ١٩٦١ وعمل فى سفارات مصر فى براغ وموسكو ولاجوس ووزيراً مفوضاً فى سفارة مصر فى واشنطون وسفيراً فى النرويج .

- أصدر العديد من الكتب حول العلاقات الدولية والدبلوماسية والشخصيات من أبرزها: الوفاق الأمريكى السوفييتى، قراءة جديدة للحرب الباردة، من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولى جديد، الدبلوماسية المعاصرة، هنرى كيسنجر حياته وفكره، داج همرشولد، جورج كينان الدبلوماسى المؤرخ، التسعينات وأسئلة ما بعد الحرب الباردة .

* حاصل على وسام الاستحقاق النرويجى .

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومــى للترجمــة مشــروع تنميــة ثقافيــة بالدرجــة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعـارف الإنسانية فى المجـالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحـيـاز إلى كل مـا يؤسس لأفكار التـقـدم وحـضـور العلم وإشـاعـة العـقـلانيـة والتشجيع على التجريب .

٤- ترجـمـة الأصـول المعرفـيـة التى أصـبـحت أقـرب إلى الإطار المرجـعى فـى الثـقـافـة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١- اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢- الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣- التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤- كيف تتم كتابة السيناريو	إنجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضرى
٥- ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦- اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧- العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨- مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩- التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠- خطاب الحكاية	جيرار جينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١- مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢- طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣- ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤- التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥- الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦- أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧- مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨- الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩- الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠- قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١- خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣- تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤- ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥- مثنوى (٦ أجزاء)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦- دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧- التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨- رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩- الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢- الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣- التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤- الرواية العربية	روجر ألن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥- الأسطورة والحداثة	پول ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦- نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

-٣٧	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
-٣٨	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
-٣٩	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
-٤٠	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
-٤١	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
-٤٢	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
-٤٣	اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	المهدى أخريف
-٤٤	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
-٤٥	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
-٤٦	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
-٤٧	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
-٤٨	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
-٤٩	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
-٥٠	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
-٥١	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
-٥٢	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
-٥٣	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
-٥٤	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
-٥٥	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
-٥٦	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
-٥٧	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
-٥٨	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
-٥٩	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
-٦٠	التصميم والشكل	چوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
-٦١	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
-٦٢	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
-٦٣	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
-٦٤	برتراند راسل (سيرة حياة)	ألان وود	رمسيس عوض
-٦٥	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
-٦٦	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
-٦٧	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
-٦٨	نتاشا العجوز وقصص أخرى	ڤالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
-٦٩	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
-٧٠	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
-٧١	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
-٧٢	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
-٧٣	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
-٧٤	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومى

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمري
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوي
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	محمود السيد علي
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالي
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقي	أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العناني
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوي
٩٥-	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
٩٨-	الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحي
١٠١-	النص الروائي: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبي	عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣-	قبر ابن عربي يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجني (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوي
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسي	ماريا خيسوس روبييرامتي	أشرف علي دعدور
١٠٧-	صورة الفدائي في الشعر الأمريكي اللاتيني المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدي
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من المؤلفين	محمود علي مكي
١٠٩-	حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	إكرام يوسف

١١٣- راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥- غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: روف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	چوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنيل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦- فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد ڤاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦- الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالروف البمبى
١٤٧- مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠- التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان بروديل	بشير السباعي
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابي
١٥٣-	غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥-	الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسي
١٥٦-	المدارس الجمالية الكبرى	جي أنبال وآلان وأوديت فيرمو	مي التلمساني
١٥٧-	خسرو وشيرين	النظامي الكنجوي	عبدالعزيز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان بروديل	بشير السباعي
١٥٩-	الأيديولوجية	ديفيد هوكس	إبراهيم فتحي
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومي
١٦١-	مسرحيتان من المسرح الإسباني	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوي	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣-	موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهري
١٦٤-	شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦-	العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧-	في عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكري محمد عياد
١٦٨-	دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكري محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكري محمد عياد
١٧٠-	الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١-	وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢-	حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابي
١٧٣-	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التليفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنري ترويا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨-	مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدي إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١-	النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحي العشري
١٨٤-	القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقي سعيد
١٨٥-	أسفار العهد القديم في التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرضة (رواية)	بُزرج علوي	محمد علاء الدين منصور
١٨٨-	موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩- العمى والبصيرة: مقالات فى بلاغة النقد المعاصر	بول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١- الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣- عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧- سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	چيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦- الهيولية تصنع علماً جديداً	چيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧- ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فردينان دوسوسير	جوناثان كللر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢- قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧- مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨- لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثار	على إبراهيم منوفى
٢١٩- بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠- الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١- شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢- فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣- العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤- دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥- حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى

٢٢٧- المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣- فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	آرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦- الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاى حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١- فى انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزى	ابتسام عبدالله
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤- الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس وآخرون	توفيق على منصور
٢٤٦- مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩- لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	حسن بيومى
٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨- الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١- رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن	جون جريبين	على يوسف على
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم جيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم جيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	چوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جابيجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧-	الجينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الروف البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوربيديس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديڤيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	چورچ مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روچر ألن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	چوزيف كامبل وبيل مورير	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	چين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	أقدم لك: فتجنشتين	چون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣- أقدم لك: بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧- أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكى
٣٠٨- أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتى وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٣١٠- أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٣١١- مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٣١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥- جرامشى فى العالم العربى	ميشيل برونديتو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٣١٦- محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٣١٧- بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايترى سبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢- وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو بوجين كلينباور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٣٢٤- اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٣٢٥- عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢- شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣- الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤- لقطات من المستقبل	أرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٣٣٦- متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٣٣٩- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠- اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

٣٤١-	قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا ريلكه	حسن حلمى
٣٤٢-	سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٤٣-	العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤-	الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٣٤٥-	الركض خلف الزمان (شعر)	يونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٣٤٧-	الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩-	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وأخرون	أحمد عمر شاهين
٣٥٠-	بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٣٥١-	مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢-	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣-	الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونالدو	على إبراهيم منوفى
٣٥٤-	الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونالدو	على إبراهيم منوفى
٣٥٥-	التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٣٥٦-	الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧-	متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٣٥٨-	أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩-	محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠-	أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١-	التصحر: التهديد والمجابهة	الان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢-	تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣-	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤-	حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥-	سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦-	نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧-	القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادى رضا
٣٦٨-	المصطلح السردى: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٣٦٩-	المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠-	الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢-	عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣-	كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤-	اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥-	الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦-	الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٣٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨-	المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩- ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد اسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣- هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥- مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦- دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩- تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١- الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣- فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥- آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦- السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧- أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨- أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩- أقدم لك: كامى	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠- مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	تودور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤- تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥- إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧- الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨- معجم تاريخ مصر	چوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩- انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠- خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١- همس من الماضى	چينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤- الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكيافللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى	شبلى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	ملحمة السيِّد	تراث شعبى إسبانى	الطاهر أحمد مكى
٤٤٨-	الفلاحون (ميراث الترجمة)	الأب عيروط	محى الدين اللبان ووليم داوود مرقس
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧-	التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفن ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد النة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	ڤرچينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩-	المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠-	تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١-	بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسرل	محمود رجب
٤٩٠-	أسمار البيغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى ڤارچيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد پالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى: الخروج فى النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	أرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦-	ربما كان قديسًا (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضى الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان فى علاج الإدمان	أرنولد واشنطون وبونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	أرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦-	أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	أقدم لك: كافكا	ديڤيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفِلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١- ما الذي حَدَثَ في «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	صفاء فتحي
٥٣٢- المغامرُ والمستشرق	هنري لورنس	بشير السباعي
٥٣٣- تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوي
٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥- مخزن الأسرار (شعر)	نظامي الكنجوي	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦- الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقي جلال
٥٣٧- للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوي
٥٣٨- النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني	كيت دانيلر	محمد الحديدي
٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحي
٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١- هي تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤- أقدم لك: ميلاني كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدي الجابري
٥٤٥- يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦- ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧- أقدم لك: بارت	فيليب تودي وآن كورس	جمال الجزيري
٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدي الجابري
٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلي وليتاجانز	جمال الجزيري
٥٥٠- أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدي الجابري
٥٥١- الموسيقى والعولمة	سايمون ماندي	سمحة الخولي
٥٥٢- قصص مثالية	ميجيل دي ثربانتس	على عبد الرءوف اليمبي
٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤- مصر في عهد محمد على	عفاف لطفي السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي
٥٥٦- أقدم لك: جان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدي الجابري
٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كرولي	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردار وبورين فان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩- الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجي	عبدالحي أحمد سالم
٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦١- جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦٢- بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٤- عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧- الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨- الأصولي في الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩- موقع الثقافة	هومى بابا	ثائر ديب
٥٧٠- دول الخليج الفارسى	سير رويرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١- تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤- مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعى
٥٧٥- الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦- فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكى	جون ماهر وجودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج١)	جون فيذر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١- الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣- الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤- سفر (رواية)	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥- الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى آرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨- أمنحوتب الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩- تمبكت العجيبة	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١- الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢- الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣- قصائد ساحرة	بول ڤاليرى	بكر الحلو
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥- الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦- الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧- مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨- مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩- فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوى
٦٠٠- الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١- النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢- ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣- النقد الثقافى	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦- قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩- الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠- العمارة المدجنة	رفائيل لوبث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١- النقد والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢- رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣- السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤- بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥- عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩٦٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦- أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧- الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨- نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩- مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠- السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١- رباعيات الخيام (ميراث الترجمة)	عمر الخيام	محمد السباعى
٦٢٢- أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣- نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤- شعر المرأة الأفريقية	نخبة	غادة الحلوانى
٦٢٥- الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧- حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨- أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩- قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠- سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١- مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢- المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣- الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤- مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥- التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦- حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧- مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨- الديمقراطية والشعر	روبرت بن وارين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩- فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠- ألكسياد	الأميرة أنّاكومنينا	حسن حبشى
٦٤١- برتراند رسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢- أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين ڤان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣- سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤- العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سيهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	چون نينيه	فتحى العشرى
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	چى دى موباسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روچر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود تروونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساستري	ممدوح البستاوى
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا آرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	رينشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى
٦٦٢-	رحلة إلى الجذور	داسو سالديبار	صبرى التهامى
٦٦٣-	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولمة	فريدريك چيمسون وماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطى
٦٧١-	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	چيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤-	ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦-	أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	المدينة الفاضلة (ميراث الترجمة)	كارل ل. بيكر	محمد شفيق غربال
٦٨١-	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن

٦٨٣-	سكين واحد لكل رجل (رواية)	تى. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤-	الأعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٥-	الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦-	امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧-	محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨-	الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩-	الملف (مسرحية)	تادوش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠-	محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١-	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢-	أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣-	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حاثيم برشيت وآخرون	جمال الجزيرى
٦٩٤-	أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥-	أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦-	أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧-	أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودى جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨-	أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩-	أقدم لك: التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زارايت	جمال الجزيرى
٧٠٠-	الكاتب وواقعه	ماريو بارجاس يوسا	بسمة عبدالرحمن
٧٠١-	الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢-	مدونة جوستنيان فى الفقه الرومانى (ميراث الترجمة)	جوستينيان	عبد العزيز فهمى
٧٠٣-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد جرانفيل براون	أمين الشواربى
٧٠٤-	فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥-	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	عبدالحميد مدكور
٧٠٦-	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧-	أقدم لك: فالتر بنيامين	هوارد كاليجل وآخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨-	فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩-	معنى الحياة	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠-	الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	إيان هاتشباى وجوموران - إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١-	درة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢-	الإلياذة (جـ١) (ميراث الترجمة)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٣-	الإلياذة (جـ٢) (ميراث الترجمة)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٤-	حديث القلوب (ميراث الترجمة)	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥-	سر تقدم الإنكليز السكسونيين (ميراث الترجمة)	إدمون ديمولان	أحمد فتحى زغلول
٧١٦-	جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧-	جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨-	جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩-	مسرح الأطفال: فلسفة وطريقة	م. جولدبرج	جميلة كامل
٧٢٠-	مداخل إلى البحث فى تعلم اللغة الثانية	دونام جونسون	على شعبان وأحمد الخطيب

٧٢١- فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبد الغنى
٧٢٢- الصفيحة وقصص أخرى	يشار كمال	الصفصافى أحمد القطورى
٧٢٣- تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمنى	أحمد ثابت
٧٢٤- اليسار الفرويدى	پول روبنسون	عبده الريس
٧٢٥- الاضطراب النفسى	چون فيتكس	مى مقلد
٧٢٦- الموريسكيون فى المغرب	غييرمو غوثالبيس بوستو	مروة محمد إبراهيم
٧٢٧- حلم البحر (رواية)	باچين	وحيد السعيد
٧٢٨- العولمة: تدمير العمالة والنمو	موريس آليه	أميرة جمعة
٧٢٩- الثورة الإسلامية فى إيران	صادق زيباكلام	هويدا عزت
٧٣٠- حكايات من السهول الأفريقية	آن جاتى	عزت عامر
٧٣١- النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	مجموعة من المؤلفين	محمد قدرى عمارة
٧٣٢- قصص بسيطة (رواية)	إنجو شولتسه	سمير جريس
٧٣٣- مأساة عطيل (مسرحية)	وليم شيكسبير	محمد مصطفى بدوى
٧٣٤- بونابرت فى الشرق الإسلامى	أحمد يوسف	أمل الصبان
٧٣٥- فن السيرة فى العربية	مايكل كوبرسون	محمود محمد مكى
٧٣٦- التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ١)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٣٧- الكوارث الطبيعية (مج٢)	پاتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٧٣٨- دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية	چيرار دى چورچ	محمد عواد
٧٣٩- دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى القرن العاشر	چيرار دى چورچ	محمد عواد
٧٤٠- خطابات السلطة	بارى هندس	مرفت ياقوت
٧٤١- الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	أحمد هيكل
٧٤٢- أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسى
٧٤٣- الثقافة: منظور دارويني	روبرت أونجر	شوقى جلال
٧٤٤- ديوان الأسرار والرموز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
٧٤٥- المآثر السلطانية	بيك الدنبلى	محمد أبو زيد
٧٤٦- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج١)	جوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٧٤٧- الاستعارة فى لغة السينما	تريڤور وايتوك	إيمان عبد العزيز
٧٤٨- تدمير النظام العالمى	فرانسيس بويل	سمير كريم
٧٤٩- إيكولوچيا لغات العالم	ل.ج. كالڤيه	باتسى جمال الدين
٧٥٠- الإلياذة	هوميروس	بإشراف: أحمد عتمان
٧٥١- الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى	نخبة	علاء السباعى
٧٥٢- ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	جمال قارصلى	نمر عاروري
٧٥٣- التنمية والقيم	إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
٧٥٤- الشرق والغرب	أنّا مارى شيمل	عبدالسلام حيدر
٧٥٥- تاريخ الشعر الإسبانى خلال القرن العشرين	أندرو ب. دبيكى	على إبراهيم منوفى
٧٥٦- ذات العيون الساحرة	إنريكى خارديل بونثيلا	خالد محمد عباس
٧٥٧- تجارة مكة	پاتريشيا كرون	آمال الروبى
٧٥٨- الإحساس بالعولمة	بروس روبنز	عاطف عبدالحميد

٧٥٩-	النثر الأردى	مولوى سيد محمد	جلال الحفناوى
٧٦٠-	الدين والتصور الشعبى للكون	السيد الأسود	السيد الأسود
٧٦١-	جيوب مثقلة بالحجارة (رواية)	فيرجينيا وولف	فاطمة ناعوت
٧٦٢-	المسلم عدوًا و صديقًا	ماريا سوليداد	عبدالعال صالح
٧٦٣-	الحياة فى مصر	أنريكو بيا	نجوى عمر
٧٦٤-	ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	غالب الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٥-	ديوان خواجه الدهلوى (شعر تصوف)	خواجه مير درد الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٦-	الشرق المتخيل	تييرى هنتش	غازى برو وخليل أحمد خليل
٧٦٧-	الغرب المتخيل	نسيب سمير الحسينى	غازى برو
٧٦٨-	حوار الثقافات	محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى
٧٦٩-	أدباء أحياء	فريدريك هتمان	رندا النشار وضياء زاهر
٧٧٠-	السيدة بيرفيكتا	بينيتو بيريث جالدوس	صبرى التهامى
٧٧١-	السيد سيجوندو سومبرا	ريكاردو جويرالديس	صبرى التهامى
٧٧٢-	بريخت ما بعد الحداثة	إليزابيث رايت	محسن مصيلحى
٧٧٣-	دائرة المعارف الدولية (جـ٢)	جون فيزر وبول ستيرجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٧٧٤-	الديموقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات	مجموعة من المؤلفين	حسن عبد ربه المصرى
٧٧٥-	مرآة العروس	نذير أحمد الدهلوى	جلال الحفناوى
٧٧٦-	منظومة مصيبت نامه (مج١)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٧٧٧-	الانفجار الأعظم	جيمس إ. ليدسى	عزت عامر
٧٧٨-	صفوة المديح	مولانا محمد أحمد ورضا القادرى	حازم محفوظ
٧٧٩-	خيوط العنكبوت وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشى
٧٨٠-	من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠	غلام رسول مهر	سمير عبد الحميد إبراهيم
٧٨١-	الطريق إلى بكين	هدى بدران	نبيلة بدران
٧٨٢-	المسرح المسكون	مارفن كارلسون	جمال عبد المقصود
٧٨٣-	العولمة والرعاية الإنسانية	فيك جورج وبول ويلدنج	طلعت السروجى
٧٨٤-	الإساءة للطفل	ديفيد أ. وولف	جمعة سيد يوسف
٧٨٥-	تأملات عن تطور ذكاء الإنسان	كارل ساجان	سمير حنا صادق
٧٨٦-	المذنبة (رواية)	مارجريت أتوود	سحر توفيق
٧٨٧-	العودة من فلسطين	جوزيه بوفيه	إيناس صادق
٧٨٨-	سر الأهرامات	ميروسلاف فرنر	خالد أبو اليزيد البلتاجى
٧٨٩-	الانتظار (رواية)	هاجين	منى الدروبى
٧٩٠-	الفرانكفونية العربية	مونيك بونتو	جيهان العيسوى
٧٩١-	العطور ومعامل العطور فى مصر القديمة	محمد الشيمى	ماهر جويجاتى
٧٩٢-	دراسات حول القصص القصيرة لإدريس ومحفوظ	منى ميخائيل	منى إبراهيم
٧٩٣-	ثلاث رؤى للمستقبل	جون جريفيس	رءوف وصفى
٧٩٤-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ٢)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٩٥-	مختارات من الشعر الإسبانى (جـ١)	نخبة	على عبد الرءوف البمبى
٧٩٦-	آفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن	نعوم تشومسكى	حمزة المزينى

٧٩٧-	الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)	نخبة	طلعت شاهين
٧٩٨-	الإرشاد النفسى للأطفال	كاترين جيلدرد ودافيد جيلدرد	سميرة أبو الحسن
٧٩٩-	سلم السنوات	أن تيلر	عبد الحميد فهمى الجمال
٨٠٠-	قضايا فى علم اللغة التطبيقى	ميشيل ماكارثى	عبد الجواد توفيق
٨٠١-	نحو مستقبل أفضل	تقرير دولى	بإشراف: محسن يوسف
٨٠٢-	مسلمو غرناطة فى الآداب الأوروبية	ماريا سوليداد	شرين محمود الرفاعى
٨٠٣-	التغيير والتنمية فى القرن العشرين	توماس پاترسون	عزة الخميسى
٨٠٤-	سوسيولوجيا الدين	دانيل هيرفيه-ليجيه وچان بول ويلام	درويش الحلوجى
٨٠٥-	من لا عزاء لهم (رواية)	كازو إيشيجورو	طاهر البربرى
٨٠٦-	الطبقة العليا المتوسطة	ماجدة بركة	محمود ماجد
٨٠٧-	يحى حقى: تشريح مفكر مصرى	ميريام كوك	خيرى دومة
٨٠٨-	الشرق الأوسط والولايات المتحدة	ديڤيد دابليو ليش	أحمد محمود
٨٠٩-	تاريخ الفلسفة السياسية (جـ١)	ليو شتراوس وچوزيف كروپسى	محمود سيد أحمد
٨١٠-	تاريخ الفلسفة السياسية (جـ٢)	ليو شتراوس وچوزيف كروپسى	محمود سيد أحمد
٨١١-	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج٢)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمى
٨١٢-	تأمل العالم: الصورة والأسلوب فى الحياة الاجتماعية	ميشيل ماڤيزولى	فريد الزاهى
٨١٣-	لم أخرج من ليلى (رواية)	آنى إرنو	نورا أمين
٨١٤-	الحياة اليومية فى مصر الرومانية	نافتال لويس	آمال الروبى
٨١٥-	فلسفة المتكلمين (مج٢)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبدالغنى
٨١٦-	العدو الأمريكى	فيليپ روچيه	بدر الدين عرودكى
٨١٧-	مائدة أفلاطون: كلام فى الحب	أفلاطون	محمد لطفى جمعة
٨١٨-	الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ١)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨١٩-	الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ٢)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨٢٠-	هملت (مسرحية) (ميراث الترجمة)	وليم شكسبير	طانيوس أفندى
٨٢١-	هفت بيكر (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٨٢٢-	فن الرباعى (شعر)	نخبة	محمد نور الدين عبد المنعم
٨٢٣-	وجه أمريكا الأسود (شعر)	نخبة	أحمد شافعى
٨٢٤-	لغة الدراما	داڤيد برتش	ربيع مفتاح
٨٢٥-	عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١) (ميراث الترجمة)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٦-	عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١) (ميراث الترجمة)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٧-	أهل مطروح البدو والمستوطنون والذين يقضون العطلات	دونالد پ.كول وثريا تركى	محمد على فرج
٨٢٨-	النظرية النسبية (ميراث الترجمة)	ألبرت أينشتين	رمسيس شحاتة
٨٢٩-	مناظرة حول الإسلام والعلم	إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى	مجدى عبد الحافظ
٨٣٠-	رق العشق	حسن كريم بور	محمد علاء الدين منصور
٨٣١-	تطور علم الطبيعة (ميراث الترجمة)	ألبرت أينشتين وليوپولد إنفلد	محمد النادى وعطية عاشور
٨٣٢-	تاريخ التحليل الاقتصادى (جـ٣)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمى
٨٣٣-	الفلسفة الألمانية	ڤرنر شميدرس	محسن الدمرداش
٨٣٤-	كنز الشعر	نبيح الله صفا	محمد علاء الدين منصور

٨٣٥-	تشيخوف: حياة فى صور	بيتر أوربان	علاء عزمى
٨٣٦-	بين الإسلام والغرب	مرثيدس غارثيا	ممدوح البستاوى
٨٣٧-	عناكب فى المصيدة	ناتاليا فيكو	على فهمى عبدالسلام
٨٣٨-	فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى	نعوم تشومسكى	لبنى صبرى
٨٣٩-	أقدم لك: النظرية النقدية	ستيوارت سين وبورين فان لون	جمال الجزيرى
٨٤٠-	الخواتم الثلاثة	جوتهولد ليسينج	فوزية حسن
٨٤١-	هملت: أمير الدانمارك	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٨٤٢-	منظومة مصيبت نامه (مج٢)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٨٤٣-	من روائع القصيد الفارسى	نخبة	محمد علاء الدين منصور
٨٤٤-	دراسات فى الفقر والعولمة	كريمة كريم	سمير كريم
٨٤٥-	غياب السلام	نيكولاس جويات	طلعت الشايب
٨٤٦-	الطبيعة البشرية	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٨٤٧-	الحياة بعد الرأسمالية	مايكل ألبرت	أحمد محمود
٨٤٨-	تاريخ الدولة العربية (ميراث الترجمة)	يوليوس فلهاوزن	عبد الهادى أبو ريدة
٨٤٩-	سونيتات شكسبير	وليم شكسبير	بدر توفيق
٨٥٠-	الخيال، الأسلوب، الحداثة	مقالات مختارة	جابر عصفور
٨٥١-	الطب التجريبى (ميراث الترجمة)	كلود برنار	يوسف مراد
٨٥٢-	العلم والحقيقة	ريتشارد دوكنز	مصطفى إبراهيم فهمى
٨٥٣-	العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج١)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٤-	العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج٢)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٥-	فهم الاستعارة فى الأدب	چيرارد ستيم	محمد أحمد حمد
٨٥٦-	القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى	فرانثيسكو ماركيث يانو بيانويا	عائشة سويلم
٨٥٧-	نادچا (رواية)	أندريه بريتون	كامل عويد العامرى
٨٥٨-	جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية	ثيو هرمانز	بيومى قنديل
٨٥٩-	السياسة فى الشرق القديم	إيف شيمل	مصطفى ماهر
٨٦٠-	مصر وأوروبا	ڤان بملن	عادل صبحى تكلا
٨٦١-	الإسلام والمسلمون فى أمريكا	چين سميث	محمد الخولى
٨٦٢-	ببغاء الكاكادو	أرتور شنيتسلر	محسن الدمرداش
٨٦٣-	لقاء بالشعراء	على أكبر دلفى	محمد علاء الدين منصور
٨٦٤-	أوراق فلسطينية	دورين إنجرامز	عبد الرحيم الرفاعى
٨٦٥-	فكرة الثقافة	تيرى إيجلتون	شوقى جلال
٨٦٦-	رسائل خمس فى الآفاق والأنفس	مجموعة من المؤلفين	محمد علاء الدين منصور
٨٦٧-	المهمة الاستوائية (رواية)	ديڤيد مايلو	صبرى محمد حسن
٨٦٨-	الشعر الفارسى المعاصر	ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى	محمد علاء الدين منصور
٨٦٩-	تطور الثقافة	روبن دونبار وآخرون	شوقى جلال
٨٧٠-	عشر مسرحيات (جـ١)	نخبة	حمادة إبراهيم
٨٧١-	عشر مسرحيات (جـ٢)	نخبة	حمادة إبراهيم
٨٧٢-	كتاب الطاو	لاوتسو	محسن فرجانى

٨٧٣-	معلمون لمدارس المستقبل	تقرير صادر عن اليونسكو	بهاء شاهين
٨٧٤-	النهر الخالد (مج١)	جاويد إقبال	ظهور أحمد
٨٧٥-	النهر الخالد (مج٢)	جاويد إقبال .	ظهور أحمد
٨٧٦-	دراسات فى الموسيقى الشرقية (جـ١)	هنرى جورج فارمر	أمانى المنياوى
٨٧٧-	أدب الجدل والدفاع فى العربية	موريتس شتينشنيدر	صلاح محجوب
٨٧٨-	ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ١، مجـ١)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٨٧٩-	ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ١، مجـ٢)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٨٨٠-	الواحات المفقودة	أحمد حسنين بك	عبد الرحمن حجازى وأمير نبيه
٨٨١-	المستنيرون : خدمة وخيانة	جلال آل أحمد	سلوى عباس
٨٨٢-	أغانى شيراز (جـ١) (ميراث الترجمة)	حافظ الشيرازى	إبراهيم الشواربى
٨٨٣-	أغانى شيراز (جـ٢) (ميراث الترجمة)	حافظ الشيرازى	إبراهيم الشواربى
٨٨٤-	تعلم الأطفال الصغار	باربرا تيزار ومارتن هيوز	محمد رشدى سالم
٨٨٥-	روح الإرهاب	جان بودريار	بدر عروبكى
٨٨٦-	الترجمة والإمبراطورية	دوجلاس روبنسون	ثائر ديب
٨٨٧-	غزليات سعدى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٨٨٨-	أزهار مسلك الليل (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت
٨٨٩-	سارتورس (ميراث الترجمة)	وليم فوكنر	ميخائيل رومان
٨٩٠-	منتخبات أشعار فراغى	مختومقلى فراغى	الصفصافى أحمد القطورى
٨٩١-	مفاوضات مع الموتى	مارجريت آتوود	عزة مازن
٨٩٢-	تاريخ المسيحية الشرقية	عزيز سوريال عطية	إسحاق عبيد
٨٩٣-	عبادة الإنسان الحر	برتراند راسل	محمد قدرى عمارة
٨٩٤-	الطريق إلى مكة	محمد أسد	رفعت السيد على
٨٩٥-	وادى الفوضى (رواية)	فريدريش دورينمات	يسرى خميس
٨٩٦-	شعر الضفاف الأخرى	نخبة	زين العابدين فؤاد
٨٩٧-	اختراق الجزيرة العربية	ديفيد جورج هوجارث	صبرى محمد حسن
٨٩٨-	الإسلام والعلم	برويز أمير على	محمود خيال
٨٩٩-	الدبلوماسية الفاعلة	بيتر مارشال	أحمد مختار الجمال

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢١١٥٠ / ٢٠٠٥